

الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

التطور التاريخي للعلاقات السياسية السورية - اللبنانية بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٩

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إشراف
أ . د . نجاح محمد

إعداد
وفيق صالح ناصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الرئيس القائد بشار الأسد الذي ما فتئ
مدافعاً عن العمل القومي العربي، والأمة العربية،
من أجل أن يظلّ قرارها حراً وطنياً مستقلاً، وكرّس
جُلَّ اهتمامه للارتقاء بالعلاقات السورية ـ اللبنانية
إلى أعلى مستويات التنسيق والتكامل، وترفع في
سبيل ذلك عن الكثير، فكان ولا يزال الحافظُ
والحامي لأمن واستقرار البلدين...

وفيق صالح ناصر

كلمة شكر:

في النهاية لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساعدني ومدّ لي يد العون للوصول إلى غايتي في بحثي هذا، وفي مقدمتهم السادة الأساتذة المحترمون في قسم التاريخ في جامعة دمشق، والذين ما ادخروا جهداً، وما بخلوا عليّ بالعون. وأشكر أيضاً العاملين في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في تونس وفي القاهرة، أولئك الذين قدموا لي كل عون ودعم ومساندة. والشكر الجزيل لكل السادة المسؤولين الذين منحوني من وقتهم الثمين لإجراء بعض المقابلات معهم وتسليط الضوء على مجمل القضايا المتعلقة بالعلاقات بين البلدين مما كان له الأثر الكبير في إغناء البحث، وبخاصة السيد الأستاذ وليد المعلم وزير الخارجية السوري، والسيد الأستاذ نصري الخوري الأمين العام للمجلس الأعلى السوري - اللبناني.

كما أشكر السادة في: مركز المعلومات القومي، وفي القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي . مكتب الثقافة والإعداد الحزبي، وفي وزارة الخارجية العربية السورية . دائرة الوطن العربي، وفي مركز الدراسات الفلسطينية، ومركز الدراسات العسكرية، والسادة في مكتبة الأسد مديراً وموظفين لما قدموه من تسهيلات أسهمت بإغناء البحث.

والآن كل الشكر للأستاذة المشرفة الدكتورة نجاح محمد على الجهود المضاعفة التي بذلتها معي، وعلى إسهامها في إخراج البحث على الشكل الذي بين أيديكم الآن، لها ولجميع أعضاء لجنة الحكم الموقرين، والذين سيفيدونني بملاحظاتهم القيّمة، عظيم الشكر والتقدير، وأحييهم جميعاً.

الشكر الأخير لشريكتي في كل شيء (زوجتي) التي وقفت إلى جانبي
وتحملت الصعاب من أجل إنجاز هذا البحث.

مخطط البحث:

المقدمة: حول أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته وإشكالياته وأهدافه	
ومنهجيته وأبرز مصادره.....	٢٦ . ١٤
الفصل الأول التمهيدي: "موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية والمحلية لسوريا ولبنان والعلاقات بينهما منذ بداياتها حتى عام ١٩٧٠: عناصر التقارب وعناصر التباعد".	٨٥ . ٢٧
مدخل الفصل الأول التمهيدي.....	٢٨
أولاً) . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية حتى عام ١٩٧٠.....	٢٩
١ . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية حتى حرب ١٩٦٧.....	٢٩
٢ . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية من حرب ١٩٦٧ حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠.....	٣٨
ثانياً) . موجز عن التطور التاريخي لسوريا ولبنان وللعلاقات السياسية بينهما حتى عام ١٩٧٠: عناصر التقارب والتباعد.....	٤٤
١ . موجز عن التطور التاريخي لسوريا، ولبنان كجزء منها، حتى الانفصال وتشكل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠: عناصر التقارب والتباعد.....	٤٤
٢ . موجز عن العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ عام ١٩٢٠ حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠: عناصر التقارب والتباعد.....	٥٤
أ . الفترة الأولى (١٩٢٠ . ١٩٤٣).....	٥٤
ب . الفترة الثانية (١٩٤٣ . ١٩٥٢) ..	٦٨
ج . الفترة الثالثة (١٩٥٢ . ١٩٥٨).....	٧٤
د . الفترة الرابعة (١٩٥٨ . ١٩٧٠).....	٧٧
ثالثاً) . خاتمة في بيان أهم عناصر التقارب والتباعد السوري . اللبناني ..	٨٢

مدخل عام

حول أبرز معطيات الواقع الدولي والإقليمي والعربي فيما بين عامي (١٩٧٠ و ١٩٨٩)..... ٨٦

أولاً). أبرز المعطيات الدولية والإقليمية والعربية بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩): من الحرب الباردة إلى النظام العالمي الجديد..... ٨٧

ثانياً). الوطن العربي والتآمر الاستعماري الغربي . الصهيوني بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٩..... ٩١

ثالثاً). سوريا ولبنان والصراع العربي . الصهيوني والتسوية..... ٩٧

الفصل الثاني: "الحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ والعلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ رئاسة فرنجية في لبنان حتى الغزو "الإسرائيلي" عام ١٩٧٨..... ١٠٧

مدخل الفصل الثاني..... ١٠٩

أولاً). الحركة التصحيحية في سوريا والمنطلقات المعرفية والمنهجية لإدارة الأسد..... ١٠٩

١ . المنطلقات السياسية المعرفية للرئيس الأسد..... ١١٢

٢ . المنطلقات السياسية المنهجية للرئيس الأسد..... ١١٣

٣ . مصدر وطبيعة القرار السياسي في سوريا ولبنان..... ١١٨

ثانياً). العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة فرنجية في لبنان ١٩٧٠ حتى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨..... ١٢١

١ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة

فرنجية في لبنان عام ١٩٧٠ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥..... ١٢١

أ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية حتى حرب تشرين التحريرية

..... ١٩٧٣ ١٢١

١- ر غم تحفظي على تسمية "إسرائيل" وعلى كل ما يتلق بها من اشتقاقات، فإنني أجد نفسي مضطراً إلى استخدامها لسببين: أولهما ضرورة الالتزام بقواعد التوثيق، وثانيهما ضرورة التعبير في توصيف بعض الأحداث والمواقف بما يبرز حقيقتها العدوانية وخرقها للمشروعية الدولية ولحقوق الإنسان والشعوب، ولكنني أضعها، وكل اشتقاقاتها، داخل أقواس صغيرة، وذلك كدلالة على هذا التحفظ.

ب . حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣: المسار والممارسات الساداتية	
والنتائج.....	١٢٧
ج . سوريا ولبنان من انتصار تشرين عام ١٩٧٣ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام	
١٩٧٥.....	١٣٥
٢ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ بداية الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ حتى	
الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨.....	١٣٩
أ . الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥: الأسباب والمقدمات والبدائية.....	١٣٩
ب . أطراف الحرب الأهلية اللبنانية: تنظيمات وتحالفات.....	١٤٤
ج . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساعي السورية لإيقافها حتى الغزو الصهيوني	
للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨.....	١٤٧
١ . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساعي السورية الأولية لإيقافها... ١٤٧	
٢ . من إنجازات المساعي السورية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية: الوثيقة	
الدستورية.....	١٥١
٣ . دخول القوات السورية تلبيةً للنداءات اللبنانية ومساعيها لإيقاف الحرب	
الأهلية.....	١٥٥
د . المساعي العربية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية.....	١٥٦
هـ . من زيارة السادات للقدس المحتلة وقيام "جبهة الصمود والتصدي" عام ١٩٧٧ حتى	
الغزو "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨.....	١٦٠
ثالثاً) . أبرز نتائج الفصل الثاني.....	١٦٢
الفصل الثالث: "العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الغزو "الإسرائيلي"	
للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ إلى الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان وحتى انسحابه من	
بيروت عام ١٩٨٢".....	١٦٩
مدخل الفصل الثالث.....	١٧١

أولاً) . الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان ١٩٧٨ : الأهداف والتهئية والتنفيذ وردود الفعل وأبرز النتائج..... ١٧١

- ١ . الأهداف الصهيونية لغزو الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ والتهئية له..... ١٧١
- ٢ . الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان عام ١٩٧٨ وإنشاء الشريط الحدودي..... ١٧٥
- ٣ . التصدي اللبناني . السوري للغزو "الإسرائيلي" ١٩٧٨ : التضحيات السورية..... ١٧٩
- ٤ . ردود الفعل الدولية على الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان ١٩٧٨..... ١٨٢
- ٥ . الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان واتفاقيتا كامب ديفيد ١٩٧٨ والموقف العربي: مؤتمر القمة العربية التاسع عام ١٩٧٨..... ١٨٤
- ٦ . أبرز نتائج الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان..... ١٨٨

ثانياً) . العلاقات السياسية السورية - اللبنانية من مؤتمر القمة العربية العاشر عام ١٩٧٩

- حتى الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢..... ١٩٠
- ١ . مؤتمر القمة العربية العاشر عام ١٩٧٩..... ١٩٠
 - ٢ . الحرب الباردة والمتغيرات فيما بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠..... ١٩١
 - أ . الحرب الباردة والمتغيرات حتى نظام صدام حسين ١٩٧٩..... ١٩١
 - ب . الإدارة الأمريكية ونظام صدام حسين في العراق عام ١٩٧٩ واندلاع حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠..... ١٩٤
 - ٣ . الموقف العربي وملابسات مؤتمر القمة العربية الحادي عشر عام ١٩٨٠..... ١٩٨
 - ٤ . مشروع الأمير فهد للسلام ومؤتمر القمة العربية الثاني عشر عام ١٩٨١..... ٢٠٢
 - ٥ . قرارات دولية حول الصراع العربي . الصهيوني في لبنان وفلسطين وازدياد التحالف الأمريكي . الصهيوني قبيل الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢..... ٢٠٥
 - أ . قرارات دولية حول الصراع العربي . الصهيوني في لبنان وفلسطين..... ٢٠٥
 - ب . ازدياد التحالف الأمريكي . الصهيوني قبيل الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢..... ٢٠٨

٦ . الأوضاع اللبنانية وسوريا قبيل الاجتياح "الإسرائيلي" عام ١٩٨٢..... ٢١٠

ثالثاً) . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية من اجتياح "إسرائيل" للبنان في حزيران ١٩٨٢

حتى انسحابها من بيروت في تشرين الأول ١٩٨٢ ٢١٤

١ . الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢ : الأهداف والتنفيذ ٢١٤

٢ . مقاومة وردود الفعل اللبنانية والفلسطينية على الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام

١٩٨٢ ٢١٨

٣ . المقاومة السورية ضدّ الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢ ٢٢٠

٤ . ردود الفعل الدولية على الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢ : الوساطة الأمريكية

والموقف السوري واللبناني ٢٢٤

٥ . ردود الفعل العربية على الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان : قمة فاس الثانية عام ١٩٨٢

والموقف السوري واللبناني ٢٢٩

٦ . نتائج اجتياح "إسرائيل" للبنان على العلاقات السورية . اللبنانية حتى انسحابها من

بيروت في تشرين الأول ١٩٨٢ ٢٣٤

أ . التلاحم السوري . اللبناني . الفلسطيني في التصدي للعدو الصهيوني في

لبنان ٢٣٤

ب . رئاسة أمين الجميل وتداعياتها على علاقة لبنان مع سوريا ٢٣٥

ج . تنظيم المقاومة اللبنانية وتشكّل حزب الله حتى الانسحاب "الإسرائيلي" من

بيروت في تشرين الأول ١٩٨٢ ٢٣٦

رابعاً) . أبرز نتائج الفصل الثالث ٢٣٨

الفصل الرابع: "العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الانسحاب "الإسرائيلي"

من بيروت عام ١٩٨٢ حتى اتفاق الطائف

عام ١٩٨٩" ٢٤٠

مدخل الفصل الرابع ٢٤٢

أولاً) . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الانسحاب "الإسرائيلي" من بيروت عام

١٩٨٢ حتى إلغاء اتفاق أيار عام ١٩٨٣: تردّي العلاقات مع سوريا..... ٢٤٢

١ . مسألة الانسحاب "الإسرائيلي" من المناطق اللبنانية المحتلة: الموقف الدولي والعربي

ومنه السوري والفلسطيني..... ٢٤٢

٢ . مسألة الانسحاب "الإسرائيلي" والمواقف اللبنانية..... ٢٤٦

٣ . اتفاق ١٧ أيار بين لبنان . الجميل و"إسرائيل": المقدمات والمضمون والإقرار عام

١٩٨٣ وتنامي الحرب الأهلية..... ٢٤٨

أ . المقدمات لاتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣..... ٢٤٨

ب . اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ بين لبنان . الجميل و"إسرائيل" : المضمون والإقرار

ورود الفعل..... ٢٥١

ثانياً) . التلاحم السوري . اللبناني الوطني وإنجازاته: إلغاء اتفاق ١٧ أيار ومحاولات الإصلاح

السياسي اللبناني ومشاريع الوفاق الوطني حتى نهاية رئاسة الجميل عام

١٩٨٨..... ٢٥٣

١ . التلاحم السوري . اللبناني الوطني المقاوم وإلغاء اتفاق ١٧ أيار: منذ مؤتمر الحوار

الوطني اللبناني عام ١٩٨٣ إلى مؤتمر لوزان عام ١٩٨٤..... ٢٥٥

٢ . التلاحم السوري . اللبناني الوطني ومحاولات الإصلاح السياسي اللبناني ومشاريع

الوفاق الوطني حتى نهاية رئاسة الجميل عام ١٩٨٨..... ٢٥٩

أ . تحوّل القوات اللبنانية والجميل نحو سوريا عام ١٩٨٤ وتنامي التلاحم

السوري . اللبناني..... ٢٦٠

ب . التلاحم السوري . اللبناني: منذ انعقاد القمة العربية في المغرب حتى

"الاتفاق الثلاثي" عام ١٩٨٥..... ٢٦٥

ج . التلاحم السوري . اللبناني الوطني: "الاتفاق الثلاثي" عام ١٩٨٥ .. ٢٦٨

د . التلاحم السوري . اللبناني: وثيقة"الميثاق الوطني" إلى وثيقة

١٣حزيران ١٩٨٧..... ٢٧١

هـ . التلاحم السوري . اللبناني: ورقة ١١/١١/١٩٨٧ للوفاق الوطني والقمة

العربية عام ١٩٨٧..... ٢٧٥

و . التلاحم السوري . اللبناني حتى نهاية رئاسة الجميل عام ١٩٨٨: مشروع

"مبادئ الوفاق الوطني" والقمة العربية عام ١٩٨٨..... ٢٧٧

ثالثاً) . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ نهاية رئاسة الجميل عام ١٩٨٨ حتى التدخل العربي واتفاق الطائف ووقف الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٨٩ ٢٧٩

١ . نهاية رئاسة أمين الجميل ومشكلة الاتفاق على الرئيس الجديد والمؤثرات الدولية والعربية والموقف السوري واللبناني الوطني عام ١٩٨٨ ٢٧٩

٢ . سوريا ولبنان والتدخل العربي حتى إنجاز اتفاق الطائف في تشرين الأول ١٩٨٩ ٢٨٢

أ . سوريا واشتداد الأزمة اللبنانية والتدخل العربي: تشكيل اللجنة السداسية في كانون الثاني ١٩٨٩ وفشلها وبروز حكومة عون ٢٨٣

ب . سوريا والتدخل الدولي والعربي والقمة العربية وتشكيل اللجنة الثلاثية في أيار ١٩٨٩ حتى إنجاز اتفاق الطائف في تشرين الأول عام ١٩٨٩ ٢٨٥

٣ . سوريا وإنجاز اتفاق الطائف ووقف الحرب الأهلية اللبنانية في تشرين الأول ١٩٨٩ ٢٩٣

رابعاً) . أبرز نتائج الفصل الرابع ٢٩٨

١ . اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ هو نتاج العلاقات السياسية السورية . اللبنانية على الصعيد الرسمي والحزبي ٢٩٩

أ . الدور السوري في اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ ٢٩٩

ب . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية وأبرز مضامين اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ ٣٠٠

٢ . دعم سوريا للمقاومة اللبنانية الوطنية ونجاحاتها هما نتاج العلاقات السياسية السورية اللبنانية على الصعيد الشعبي ٣٠٢

الخاتمة: حول أهم نتائج البحث ودروسه ٣١٢

أولاً) . النتائج والدروس الخاصة بعناصر الوحدة والتقارب في العلاقات السياسية السورية اللبنانية ٣١٣

ثانياً) . النتائج والدروس الخاصة بعناصر الفرقة والتباعد في العلاقات السياسية السورية اللبنانية ٣١٦

ثالثاً) . النتائج والدروس الخاصة بإشكاليات البحث ٣١٨

رابعاً) . النتائج والدروس العامة ٣٢٣

.....	خامساً) . كلمة الختام	٣٣١
.....	. ملاحق البحث	٣٣٢
.....	. قائمة المصادر والمراجع	٣٩٣

المقدمة:

حول أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته وإشكاليته وأهدافه ومنهجيته وأبرز مصادره

أولاً) . حول أسباب اختيار موضوع البحث وأهميته:

صحيح أن ما يربط بين الجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية هو نفسه ما يربط بين بلدان الوطن العربي ككل، بحكم الانتماء الواحد إلى الأمة العربية الواحدة، من وحدة التاريخ واللغة وبقية معطيات الثقافة المشتركة إلى وحدة الواقع المادي ووحدة المصالح على كل المستويات الخارجية والداخلية، لكن يبقى للروابط بينهما خصوصية تجعلها أكثر عمقاً بحكم معطيات ما يجمع بينهما منذ كانتا كلاً سورياً واحداً، منذ بدايات تاريخهما حتى عام ١٩٢٠ الذي شهد تجزئة هذا الكل في مؤتمر سان ريمو تطبيقاً لمعاهدة سايكس . بيكو عام ١٩١٦، وشُكّلت دولة لبنان الكبير، دولة لبنان^٢ الحالية، كأحد نتاجات هذه التجزئة.

وإيماناً من الوطنيين في البلدين بتلك الروابط فقد كان من الطبيعي أن يسعوا باستمرار إلى تحقيق أوسع مجالات التعاون والتنسيق بما يخدم مصالحهما ويوفر السبل لضمان تطورها وتقدمهما وحماية أمنهما القومي والوطني، ويوفر الازدهار والاستقرار لشعبيهما، ويمكنهما من مواجهة جميع التطورات الإقليمية والدولية ويستجيب لتطلعاتهما النهضوية. لكن قوى التآمر الخارجي كانت ومازالت بالمرصاد لتفشيل مساعاهم هذا، ولتخريب العلاقات الودية بين الدولتين لما لها من أهمية كبيرة على مستقبل مصالح هذه القوى في المنطقة العربية ومنطقة ما يدعى ب"الشرق الأوسط"^٣ من جهة، وعلى مستقبل هذه المنطقة من جهة أخرى.

من هنا يأتي المعطى الأول لأهمية موضوع البحث هذا حول التطور التاريخي للعلاقات السياسية السورية . اللبنانية بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩)، والتي كان إدراكي له ولجميع معطياتها

(٢) . يقصد بتسمية لبنان، قبل تشكّل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، جبل لبنان مما يفسّر التعامل معه بصيغة المذكّر، أما بعد هذا التشكّل فيقصد بها دولة لبنان هذه والجمهورية اللبنانية، مما يفسّر التعامل معها بصيغة المؤنث.

(٣) . رغم تحفظي على هذا المصطلح، فإنني أجد نفسي مضطراً إلى استخدامه لسببين: أولهما ضرورة الالتزام بقواعد التوثيق من حيث أنه المعتمد في كثير من الوثائق والمراجع التي أنا ملزم، وفق هذه القواعد، بعرض محتوياتها كما هي. وثانيهما لأنه يدلّ على منطقة ذات مضمون جغرافي . سياسي قد تكون هي المعنية في كثير من الأحيان، فهو يضم تركيا وإيران إضافة إلى دول المشرق العربي، أي دول بلاد الشام والعراق ووادي النيل وشبه الجزيرة العربية، وهناك متغيرات في مضمونه هذا وفق المصالح الاستعمارية لا مجال لذكرها هنا، وأنا أضعه داخل أقواس صغيرة كدلالة على هذا التحفظ.

الأخرى هو الدافع بالطبع إلى اختياره، فما هي هذه المعطيات التي من الطبيعي أن تتعلق بأهمية سوريا ولبنان والعلاقات بينهما أولاً، وبأهمية المرحلة التاريخية التي يتناولها البحث والممتدة ما بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩) ثانياً، ونقف قليلاً عند كلٍّ منهما؟

١ . أهمية سوريا ولبنان والعلاقات بينهما:

في حديثي عن أهمية سوريا ولبنان والعلاقات بينهما أرى من الضروري التذكير بحقيقتين تاريخيتين: أولاًهما تضمنها، أي هذه الأهمية، لجانبين اثنين: الجانب المتعلق بأهمية الوطن العربي الذي هما جزء أساس فيه من جهة، والجانب المتعلق بأهمية خصوصيتهما القطرية والإقليمية من جهة أخرى. والحقيقة الثانية هي ارتباطها، وبجانبها هذين، بمعيارين أساسين: الأول هو الموقع الجغرافي الاستراتيجي الهام، والثاني هو الدور التاريخي الفاعل والمؤثر.

تتمثل أهمية الموقع الجغرافي الاستراتيجي لسوريا ولبنان والوطن العربي ككلّ في تميّز دوره في مواصلات العالم واتصالاته وبالنسبة لجميع قاراته الخمس، من حيث كونه متوضّعاً في مركزه، ومسيطرّاً على شرايين التجارة عموماً وعلى البحرية منها خصوصاً، عبر بحاره المتصلة بمعظم بحار العالم ومحيطاته: البحر المتوسط في اتصاله بالبحر الأسود، والبحر الأحمر والخليج العربي في اتصالهما وامتدادهما الواسع في بحر العرب في اتصاله بالمحيط الهندي شرقاً وبالمحيط الأطلسي غرباً.

لم تعد أهمية الموقع الجغرافي الاستراتيجي لسوريا ولبنان، بشكل خاص والوطن العربي بشكل عام تقتصر، على معطى درجة فاعليته الكبرى في التجارة والمواصلات البرية والبحرية عسكرياً وتجاريّاً، كما كان الحال في المراحل الممتدة قبل قيام الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثامن عشر، وإنما تضمنت معطيات أخرى بعدها تمثلت بامتلاك أرضه للمواد الأولية أولاً، وباتساع سوقه الاستهلاكية ثانياً، وبامتداد درجة فاعليته الكبرى إلى المواصلات الجوية بعد اختراع الطائرة ثالثاً، وبامتلاكه، قبل هذا وذاك، للقوة النفطية رابعاً، التي أصبحت عنصر الطاقة المحوري في كلّ الشؤون العلمية والاقتصادية والاتصالية والحياتية عموماً، وعنصر الوجود في آلية النظام العالمي الرأسمالي الاستعماري خصوصاً، ودون أن ننسى أهمية بقية ثرواته الاقتصادية وطاقاته العلمية المهاجرة.

وعليه، فإنّ قوى هذا النظام، سواء بزعامته البريطانية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، أو بزعامته الأمريكية بعدها، إن في مرحلة الحرب الباردة التي شهدت صراعها مع الزعامة السوفييتية للمعسكر الاشتراكي، أو في مرحلة ما دعي بالنظام العالمي الجديد التي بدأت بانحيار الاتحاد السوفييتي نهاية عام ١٩٩٠ والممتدة حتى يومنا هذا، والتي شهدت وما زالت

تشهد سيادة القطب العالمي الواحد والمسيطر، إذ تضع مخططاتها الاستعمارية الكفيلة باستمرار سيطرتها في الوطن العربي، فإنها تتعامل مع دوله، ومنها سوريا ولبنان، ككلّ موحد في إطاره، لتضمن تعطيل الفعل القومي الذي قد يهدد نجاح هذه المخططات، ولتعرف كيف تمنع الوحدة القومية الفعلية التي من شأنها نجاح العرب في تحقيق مشروعهم النهضوي المتوجه إلى تكوين دولتهم العربية القوية الحديثة الديمقراطية الحضارية الواحدة. مما يفسر مساعي هذه القوى إلى تفشيل أية مبادرات ومشاريع وحدوية، وأي تقارب عربي بين أي من الدول العربية، وبخاصة سوريا ولبنان لأهمية دورهما التاريخي الخاص.

إضافة إلى معطيات هذا الدور لسوريا ولبنان ماضياً، بحكم أمومة المشرق العربي ككلّ للإنسان والحضارة، وكون سوريا القديمة ومنها لبنان بالتالي مهد الحضارة، اقتصاداً وفكراً، لغةً وكتابةً وعلماً وفناً وأدباً وفلسفةً وديناً، وبحكم تضمن إقليمهما المشرقي لجميع الأماكن المقدسة عند كلّ أصحاب الديانات السماوية الذين يشكّلون الغالبية العظمى من سكان العالم بمختلف قاراته، وبحكم الدور المميز لحركة اليقظة العربية النهضوية فيهما، فقد برز دورهما التاريخي المعاصر في الكفاح ضدّ قوى النظام العالمي الاستعماري الجديد وزعامته الأمريكية، وفي التصدي لمخططاتها ضدّ الوطن العربي.

أهمّ هذه المخططات، وأكثرها خطورة، هو مخطط تكوين ما دعت الزعامة الأمريكية بـ"الشرق الأوسط الجديد أو الكبير"^٤ الذي أتت في إطاره أحداث التسويات المنفردة الجزئية المهينة للصراع العربي . الصهيوني، والضغوط الدولية على قوى الصمود، سوريا وقوى المقاومة اللبنانية والفلسطينية، والذي من مهامه ضمان سيطرة هذه الزعامة على النفط العربي وبقية الثروات العربية، وضمان سيادة الكيان الصهيوني المحتل والتطبيع العربي معه، من خلال إضعاف هذا الشرق بمؤامرات سايكس . بيكو جديدة تزيد في تجزئة المجرأ وتفرقة الموحد وضرب الممانع في جبهة الصمود في سوريا ولبنان وفلسطين وإيران، وتمنع قيام أي نموذج وحدوي عربي قد يشكّل منطلقاً لعملية التوحيد، وبخاصة بين سوريا قلب العروبة الممانع النابض، وبين لبنان قلب المقاومة النابض المشرف.

٢ . أهمية المرحلة التاريخية الممتدة ما بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩):

بداية موضوع البحث هي حدث الحركة التصحيحية في سوريا وحدث بداية رئاسة سليمان فرنجية في لبنان عام ١٩٧٠، ونهايته هي إنجاز اتفاق الطائف وإنهاء الحرب الأهلية عام ١٩٨٩. ترتبط أهمية المرحلة المعنية بالبحث بالطبع بأهمية أحداثها على كلّ المستويات، الدولية

^٤ انظر المدخل العام للبحث.

والعربية والمحلية، والمترابطة جدلياً. أهم الأحداث على الصعيد الدولي كان التزام المعسكر الاشتراكي وزعامته السوفييتية بما دعي بـ"سياسة التعايش السلمي" مع المعسكر الرأسمالي وزعامته الأمريكية التي عرفت تماماً كيف تستغل هذه السياسة لصالح زيادة سيطرتها العالمية في البلدان النامية أو فيما دعي ببلدان "العالم الثالث". ثم كانت بدايات ما دعي بالنظام العالمي الجديد، نظام أحادية الزعامة والسيطرة الأمريكية العالمية، مع نهاية فترة الحرب الباردة إثر انهيار المعسكر الاشتراكي وتفكك زعامته السوفييتية، فيما بين بداية حكم غورباتشوف عام ١٩٨٥ وبين تحول الاتحاد السوفييتي من فيدرالية إلى رابطة الدول المستقلة "كومونولث" عام ١٩٩١. وكان من الطبيعي أن تتزايد المخططات الأمريكية - الصهيونية تأمراً وخطورة لتكوين "الشرق الأوسط الجديد" الذي كنا قد تحدثنا عنه.

الحدث الأول الأهم لانعكاسات هذا الوضع الدولي في الوطن العربي والإقليمي كان عقد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وبين "إسرائيل" عام ١٩٧٨، والتي سبقتها زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس والكنيست الصهيوني عام ١٩٧٧، وسبقها نجاح كيسينجر في تحقيق بعض الحوارات العربية المنفردة مع "إسرائيل" كحوار المغرب ومصر والأردن وغيرها. أما الحدث الثاني الأهم فكان الحرب العراقية - الإيرانية أو حرب الخليج الأولى ما بين عامي (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، وبعد تحوّل السياسة الإيرانية لصالح القضية الفلسطينية بشكل فاعل وملموس بعد قيام ثورة الخميني في إيران ضدّ الشاه الحليف لـ"إسرائيل" على كلّ المستويات.

وإذا كان اتفاق كامب ديفيد قد عزل الدولة العربية الكبرى مصر عن ساحة الصراع العربي - الصهيوني فإن حرب الخليج الأولى قد أسست لعزل الدولة العربية الكبرى الثانية أي العراق عن هذه الساحة، وكذلك القوة الإيرانية، وليصبّ كل ذلك لصالح الاتجاه الصهيوني الكيسنجري المتطلع إلى المزيد من المكتسبات المستندة إلى استمرار وتنامي الضعف العربي.

ومن أهم الأحداث العربية التي تصدّت لهذا الاتجاه تنامي حركة المقاومة في فلسطين المحتلة، لتكون انتفاضة الحجارة عام ١٩٨٧، والتي حوربت بعنف من قبل "إسرائيل" وحلفائها من القوى الغربية وبخاصة الأمريكية، ولتتلاشى كلّ ادعاءات هذه القوى حول احترام الديمقراطية وحقوق الإنسان، تماماً كتلاشيها في السكوت المستمر عن خرق "إسرائيل" الدائم لها ولمبادئ الشرعية الدولية.

أهم الأحداث على الصعيد اللبناني المحلي كان حدث بداية رئاسة سليمان فرنجية عام ١٩٧٠، ثمّ قيام الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٩٧٥، والغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان

واحتلاله عام ١٩٧٨، وبعده الاجتياح "الإسرائيلي" ومحاصرة بيروت عام ١٩٨٢ واتفاق ١٧ أيار الاستسلامي مع "إسرائيل"، وبروز الدور السوري في إجبار القوات "الإسرائيلية" على الانسحاب، وفي الوفاق الوطني اللبناني وإلغاء هذا الاتفاق في عام ١٩٨٤، ثم في إنجاز اتفاق الطائف ووقف الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٨٩. والحدث الأهم الذي يجب أن يذكر أيضاً هو الدعم السوري لكفاح المقاومة الوطنية اللبنانية منذ الغزو في عام ١٩٨٢، والتصدي للعدوان "الإسرائيلي" ذلك الدعم الذي مازال مستمراً حتى يومنا هذا .

أما أهم الأحداث على الصعيد السوري المحلي، فكان أولها الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠. ثم الانتصار الكبير في حرب تشرين عام ١٩٧٣ وما رافقه من تضامن عربي ومن استخدام ل سلاح النفط أبرز مدى أهميته، وما أعقبه من إصرار سوري على وجوب أن تتم تسوية الصراع العربي . الصهيوني من خلال مؤتمر عالمي للسلام تشترك فيه الولايات المتحدة وأوروبا ومنظمة الأمم المتحدة بالإضافة إلى الاتحاد السوفيتي قبل انهياره وروسيا بعده، وعلى أساس الانطلاق من تنفيذ القرارات الدولية ومنها رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥، وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام، وتحقيق السلام العادل والشامل لكل الأطراف، ومن خلال وحدة الموقف العربي.

ومن أهم الأحداث أيضاً تصاعد الصمود السوري ورفضه تقديم التنازلات، وتوالي النجاحات السورية كما رأينا في وقف الحرب الأهلية في لبنان، وفي إسقاط اتفاق ١٧ أيار الاستسلامي مع "إسرائيل"، وفي دعم المقاومة الوطنية في لبنان ممثلة بالدرجة الأولى بحزب الله، وفي فلسطين ممثلة بالدرجة الأولى بحماس. وكذلك، وبالمقابل، حدث تنامي الضغوط الغربية علي سوريا، وبحجج مختلفة ومزعومة، لعرقلة استكمال عملية بنائها النهضوي لدولتها الديمقراطية القوية الحديثة التي تطمح إلى إقامتها .

إنّ هذه الأهمية لموضوع البحث، "التطور التاريخي للعلاقات السياسية السورية - اللبنانية بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٩" توضح السبب الأساس في اختياري له. وهنا لا بأس من الإشارة إلى أنّ اختياري للبحث ككلّ قد تعلّق، كما هو الحال في اختيار موضوع أي بحث، بثلاثة أسباب رئيسة مترابطة: الأول إدراكي لأهميته هذه التي رأيناها. والثاني فضولي المعرفي وتوقي إلى تقديم دراسة متواضعة تقوم بجلاء الحقائق وفهم الأحداث وحلّ أهم الإشكاليات المتعلقة بهذه العلاقات. والثالث تطلعي إلى تحقيق أهداف علمية ووطنية وقومية إنسانية. ولي وقفة مع أبرز هذه الإشكاليات وهذه الأهداف.

ثانياً) . حول أبرز إشكاليات البحث وأهدافه:

الإشكالية الأولى للبحث تتعلق بأسباب الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، حيث أنّ البعض من السياسيين والباحثين يرى أنّ أسبابها الأولى هي داخلية فقط ومتعلقة بالنظام الطائفي. والبعض يرى أنّها تعود إلى خلفيات إقليمية ودولية. وآخرون يرون أنّه كان لها ولأطرافها ارتباط ما باحتلال "إسرائيل" لجنوب لبنان ثم غزوها للبنان حتى بيروت عام ١٩٨٢. وهناك من يربط بين توقيت حدوثها واستمراريتها، وبين توقيت مسيرة السادات الاستسلامية ومنها اتفاقيات كامب ديفيد في عام ١٩٧٨، وعلى أنّها قد أتت، أي هذه الحرب الأهلية، كحدث لتحويل الاهتمام والغضب الشعبي العربي ضدّ هذه المسيرة وهذه الاتفاقيات.

الإشكالية الثانية تتعلق بشرعية وأغراض التدخل السوري السياسي والعسكري في لبنان بعد الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥. الغالبية ترى هذا التدخل شرعياً بناءً على قرارات لبنانية، والقلّة تراه تدخلاً سورياً غير مشروع في الشؤون اللبنانية. الغالبية من السياسيين والباحثين ترى أنّه قد تمّ بهدف إيقاف الحرب الأهلية، والقلّة ترى أنّه كان لأغراض أخرى متعلقة بعدم اعتراف سوريا بدولة لبنان المستقلة، وبتطلعها إلى السيطرة عليها.

الإشكالية الثالثة تتعلق بالاختلاف حول تقييم دور الوجود السوري في لبنان منذ اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ حتى إيقافها بعد التوقيع على اتفاق الطائف عام ١٩٨٩: هل كانت سوريا على مسافة واحدة من كل الأطراف، أم دعمت طرفاً ضدّ طرف آخر؟ هل كانت أسباب سوريا في وقف الغزو الصهيوني للبنان، وإلغاء اتفاق ١٧ أيار خدمة لمصالحها وحدها، أم خدمة لمصالح لبنان خصوصاً ومصالح الأمة عموماً؟ هل كان لسوريا دور في اتفاق الطائف وإيقاف الحرب الأهلية أم أتى رغماً عنها؟

أما بالنسبة لأبرز أهداف البحث فيمكن القول إنّّه بالرغم من أهمية ما قدمته معظم الدراسات المتعلقة بالعلاقات السورية - اللبنانية على كلّ صعيد، فقد بقي الكثير من الأسئلة بدون إجابات كافية، وبقي الكثير من القضايا الإشكالية بالتالي دون حلول، ولتستمر الحاجة بناءً عليه إلى مزيد من الدراسات المعمقة التي تجيب عن هذه الأسئلة وتحلّ هذه الإشكاليات. من هنا أتت أهدافي العلمية من إعداد بحثي هذا الذي آمل أن يشكل حلقة مهمة ضمن تلك الدراسات، الحلقة التي من شأنها، بالإضافة إلى حلّ الإشكاليات المذكورة، تحقيق هدف علمي وطني قومي إنساني مهم وأساس هو: الإسهام الجدي في بيان عناصر الوحدة والتقارب وعوامل الفرقة والتباعد في العلاقات السورية - اللبنانية، لنأخذ الدروس والعبر المفيدة في استبعاد عوامل التباعد، وتعميق وإغناء عناصر التقارب مستقبلاً.

ثالثاً) - حول منطلقات البحث المعرفية والمنهجية:

يمكنني إيجاز هذه المنطلقات، التي آمل أن أقدم من خلالها ولو بعض الجديد والمفيد علمياً ووطنياً، بالمنطلقات المعرفية والمنهجية المترابطة الآتية:

المنطلق الأول: هو القناعة بأن النظرة المنهجية العلمية الصحيحة للتاريخ هي التي تؤمن بغائيته، وبقوانين جدلية حركته وأحداثه، وبوحدة أبعاده، والتي ترفض بالتالي أن تختزل أحداثه في الحدث السياسي، وأن تختزل أبعاده في البعد الماضوي، وتستوعب بالتالي استمرارية وجدلية حركة التطور التاريخي من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل، مما يفسر حرصي على تقديم الفصل الأول التمهيدي الذي من شأنه الربط ما بين الأحداث التاريخية المتعلقة بالعلاقات السورية اللبنانية في المرحلة التاريخية المعنية والممتدة ما بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩)، وبين المرحلة التاريخية السابقة لها عبر التاريخ، (انظر الفصل التمهيدي ص ٤١ . و ص ٤٦). وبخاصةً منذ تشكّل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، ولمعرفة واستيعاب العامل المحوري في هذه العلاقات وهو عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرق والتباعد بين سوريا ولبنان.

المنطلق الثاني: هو الإيمان بأهمية وجدلية كلّ المضامين المتعلقة بالعلاقات بين البلدين في مرحلة دراستنا، وعلى كل الأصعدة، مما يعني أن تركيزي على العلاقات السياسية، والتي هي محور موضوع هذا البحث، لا يعني إهمالي لمضامينها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من حيث استحالة فهم طبيعة هذه العلاقات دون فهم طبيعة هذه المضامين.

المنطلق الثالث: متعلق بمضمون العلاقات السورية اللبنانية السياسية، من حيث ضرورة دراستها في مستوياتها الرئيسة، المستوى المباشر الممثل في العلاقات البينية الثنائية، والمستوى غير المباشر الممثل في علاقات سوريا ولبنان من خلال موقعهما في جامعة الدول العربية، ومواقفهما من القضايا العربية الأساس، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الدور المحوري للصراع العربي الصهيوني في هذه العلاقات ككلّ، من حيث أهمية الموقع والموقف لطرفيها فيه.

المنطلق الرابع: هو الإيمان بوحدة التاريخ الإنساني، من حيث كونه تاريخاً مترابطاً بفعل وجود علاقة جدلية، أي تبادلية لفعلي التأثير والتأثير، بين مختلف أقوامه وأممه ودوله ومؤسساته العالمية والإقليمية، وهذا ما يفسر حرصي على متابعة تطور العلاقات السورية اللبنانية من خلال وضعها في سياقها الصحيح في إطار الأوضاع الدولية المحيطة بها، المتأثرة بها، والمؤثرة عليها. (انظر النتائج في خاتمة البحث)

المنطلق الخامس: هو الإيمان بوحدة التاريخ العربي الذي لا يفي وحدة التفاصيل ونفي التنوع والخصوصية لتاريخ كل بلد من البلدان العربية، ومنها سوريا ولبنان، وإنما يعني وحدة التطور التاريخي للأمة العربية في خطوطه العامة المشتركة التي تشكل إطارها القومي العربي

التاريخي العام، مما فرض عليّ تناول العلاقات السورية . اللبنانية ضمن هذا الإطار أولاً، وضمن الخصوصية القطرية لكلّ من سوريا ولبنان ثانياً.

المنطلق السادس: هو القناعة بأن الكيفية المنهجية العلمية التي يجب أن أتبعها في هذه الدراسة، كما هي الحال بالنسبة لأية دراسة تاريخية، قائمة على الالتزام بجميع قواعد منهجية البحث العلمي التاريخي، أي قواعد المعرفة التاريخية المنظمة القائمة على الرؤية الشمولية والمعالجة الموضوعية المستندة إلى التوثيق والنقد والتحليل، وإلى صحة الصياغة والتركيب، عرضاً ولغةً. وكذلك إلى فهم المضمون النسبي لبعض المصطلحات، بمعنى تغييره من مرحلة تاريخية إلى أخرى، وإلى مشروعية استخدام مصطلحات حديثة للدلالة على ظواهر قديمة بشرط أن يكون هذا الاستخدام ضمن إطار دلالاتها العلمية الصحيحة.

المنطلق السابع: هو الإيمان بجدلية الداخل والخارج في فهم الأحداث التاريخية وتحليلها، وعلى أنّ الداخل هو الأساس ولا يكون تأثير الخارج إلّا من خلاله، مما يوجب على الباحث رفض التضخيم أو التحجيم لأيّ من العوامل الخارجية والداخلية، ومنها عامل المؤامرة، التي وكما عليه أن لا ينفي دورها في صنع الأحداث، فإن عليه أن لا يقوم بتضخيمها، وأن لا يقلل من دور العوامل الذاتية، لكن دون جلد للذات أو تعصب لها على حساب الحقيقة، متطلعاً إلى بيان الدور الحقيقي لجميع العوامل.

رابعاً) . حول مخطط البحث:

بعد مقدمة تعرّف بأسباب اختيار موضوع البحث وأهميته وإشكالياته وأهدافه ومنهجيته وأبرز مصادره، كان عليّ، التزاماً بالفهم الصحيح لحركة التاريخ الجدلية التي تعني أن لا شيء يأتي من فراغ، وتعني بالتالي ارتباط الحاضر بالماضي كما رأينا، ومن أجل فهم صحيح للعلاقات السورية . اللبنانية في المراحل المعنية بالدراسة، أن أقوم بتكريس الفصل الأول لتقديم عرض تاريخي تمهيدي لماضي هذه العلاقات الممتد قبل حدثي البداية في موضوع هذا البحث في عام ١٩٧٠، وهما حدث قيام الحركة التصحيحية في سوريا، وحكم الرئيس سليمان فرنجية في لبنان. وكنت مضطراً إلى أن أفصل قليلاً ببعض الأحداث الممتدة قبيل هذين الحدثين، لما كان لها من انعكاسات رئيسة بعدهما في المرحلة المعنية بهذا البحث، مما يفسر ازدياد عدد صفحات التمهيد قليلاً.

ثمّ يأتي مدخل عام للبحث يقدم الأرضية العامة لموضوعه، من خلال بيان أبرز معطيات الواقع الدولي والإقليمي والعربي والمحلي بما يخصّ سوريا ولبنان والصراع العربي . الصهيوني في المرحلة المعنية به بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩). بعد ذلك تتوزع دراسة العلاقات السورية .

اللبانية في هذه المرحلة في الفصل الثاني والثالث والرابع. الفصل الثاني يتناولها في المرحلة الممتدة منذ الحدثين المذكورين حتى الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان عام ١٩٧٨. والفصل الثالث يتناولها منذ هذا الغزو حتى رئاسة أمين الجميل عام ١٩٨٢. والفصل الرابع يتناولها في المرحلة الممتدة منذ هذه الرئاسة حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩. أخيراً تأتي الخاتمة حول أهم النتائج والدروس التي توصل إليها البحث.

خامساً . حول أبرز مصادر البحث:

من الطبيعي أن تتألف أبرز مصادر البحث، إن العربية أو الأجنبية، من أبرز المصادر الوثائقية الرسمية، أولاً، ومن المقابلات الشخصية مع سياسيين كان لهم شأن في العلاقات السورية . اللبنانية، ثانياً، إضافةً إلى مقابلات أجريت معهم في الصحف أو الدوريات أو البرامج التلفزيونية، ومن مذكرات السياسيين ممن أسهموا في صنع القرارات والأحداث، ثالثاً، ومن كتب المؤرخين المعاصرين لأحداث المرحلة المعنية بالدراسة، رابعاً، ومن أبرز المواقع الإلكترونية، خامساً. وسأقف قليلاً عند كلّ منها بالعربية والأجنبية منعاً من التكرار، ووفق الحروف الأبجدية بالطبع.

١ . أبرز المصادر بالعربية:

أ . أبرز المصادر الوثائقية الرسمية والحزبية بالعربية:

- . الجريدة الرسمية في سوريا ولبنان.
- . بعض محاضر جلسات كلّ من مجلس الشعب السوري ومجلس النواب اللبناني.
- . بعض خطب ولقاءات الرئيس حافظ الأسد، ورؤساء الجمهورية اللبنانية: بشارة الخوري، كميل شمعون، فؤاد شهاب، سليمان فرنجية، الياس سركيس، أمين الجميل.
- . بعض الوثائق المعنية في أرشيف وزارة الخارجية السورية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).
- . بعض الوثائق المعنية في أرشيف وزارة الخارجية اللبنانية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).
- . بعض وثائق وزارة الخارجية المصرية.
- . بعض الوثائق المعنية في أرشيف جامعة الدول العربية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).
- . بعض منشورات أهم الأحزاب السياسية اللبنانية والسورية.
- . وثائق الحركة الوطنية اللبنانية: ١٩٧٥ . ١٩٨١، بيروت: المجلس السياسي المركزي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان.
- . وثيقة الوفاق الوطني اللبناني: التي أقرها اللقاء النيابي في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٨٩.

. محفوظات محمد جميل بيهم الوثائقية.

ب . أبرز المقابلات مع سياسيين كان لهم شأن في العلاقات السورية . اللبنانية:

. مقابلة شخصية مع وزير الخارجية السوري وليد المعلم.

. مقابلة شخصية مع نصري الخوري الأمين العام للمجلس الأعلى السوري اللبناني.

. مقابلات منشورة.

. بعض مقابلات برنامج "شاهد على العصر" في قناة "الجزيرة"، مع شخصيات سورية ولبنانية

كان لهم دور في العلاقات السورية . اللبنانية في المرحلة الزمنية المعنية بالدراسة.

ج . أبرز المذكرات:

. مذكرات بشارة الخوري: حقائق لبنانية وهو رئيس جمهورية سابق للبنان.

. جوزيف أبو خليل: قصة الموارد في الحرب: سيرة ذاتية، وهو مسؤول مهم في حزب الكتائب.

. حسن الحكيم: رئيس وزراء سوري سابق.

. خالد العظم: شخصية سياسية واقتصادية معروفة، وهو قد استلم رئاسة الوزراء في سوريا عدة

مرات.

. سامي الصلح وكتابه : "أحتكم إلى التاريخ" وهو قد استلم رئاسة الوزراء في لبنان أكثر من مرة.

. سليم الحص في كتابيه: "ذكريات وعبر"، و"عقد القرار والهوى، تجارب الحكم في حقبة الانقسام

(١٩٨٧ . ١٩٩٠)، وقد استلم رئاسة مجلس الوزراء في لبنان عدة مرات.

. شارل حلو: "حياة في ذكريات"، وهو رئيس جمهورية سابق للبنان.

. كميل شمعون: مراحل الاستقلال . لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية، وهو رئيس

جمهورية سابق للبنان.

. فوزي القاوقجي: فلسطين في مذكرات القاوقجي، إعداد أ. د. خيرية قاسمية، وهو مجاهد عربي .

سوري وطني معروف وقائد جيش الإنقاذ العربي في الحرب العربية . الصهيونية

الأولى عام ١٩٤٨.

. مصطفى طلاس: وزير الدفاع السوري وشخصية هامة في القرار السوري.

د . أبرز المصادر من الكتب بالعربية: منشورات ذات صبغة وثائقية:

. أبو شقرا يوسف خطار: الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية: وهي شهادة درزية صريحة في

مخطوطة تلم بحوادث لبنان وأحواله يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحد

منهم لأول مرة في تاريخ لبنان (أفادني في التمهيد).

. أحمد سرحان: وثيقة الطائف: الوفاق الوطني ودستور الجمهورية الثانية.

- .أشتي فارس: الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسية اللبنانية، (١٩٤٩. ١٩٧٥)، المختارة.
- .البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب (١٩٢٦ . ١٩٨٤)، إعداد وتحقيق خوري يوسف قزما.
- .البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من (١٩٥٤ إلى ١٩٩٢): نصوص مختارة. جمعتها جوليت حداد؛ إشراف الأب أوغسطين دوبرة لاتور وهشام نشابة: جامعة القديس يوسف (بيروت): معهد الدراسات الإسلامية المسيحية.
- .الدستور اللبناني: الصادر في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦ مع جميع التعديلات التي أقرت في مجلس النواب اللبناني وفقاً لوثيقة الوفاق الوطني اللبناني (اتفاق الطائف).
- .إيلي سالم: وثيقة الوفاق الوطني بين بيروت ودمشق والطائف، وكتابه: الخيارات الصعبة، (١٩٨٢. ١٩٨٨): دبلوماسية البحث عن مخرج.
- .تقي الدين منير: الجلاء: وثائق خطيرة تنشر لأول مرة تكشف النقاب عن أسرار جلاء القوات الأجنبية عن لبنان وسورية عام ١٩٤٦ (أفادني في التمهيد).
- .جورج بكاسيني: أسرار الطائف من عهد أمين الجميل حتى سقوط الجنرال: مع وثائق ومحاضر.
- .جورج سعادة: قصتي مع الطائف. بيروت.
- .حلاق حسان: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، (١٩١٣ . ١٩٤٣): من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني اللبناني.
- .طلال سلمان: المحاضر السرية الكاملة: ثروة فوق بحيرة ليمان، أي المحاضر الكاملة لمؤتمر الوفاق الوطني في لوزان عام ١٩٨٤.
- .فارس ساسين: كتاب الاستقلال بالصورة والوثائق (أفادني في التمهيد) .
- .كريم بقرادوني: "لجنة وطن، من حرب لبنان إلى حرب الخليج"، وكتابه: "السلام المفقود: عهد الياس سركيس، ١٩٧٦. ١٩٨٢".
- .كمال جنبلاط: حقيقة الثورة اللبنانية.
- .لبنان بعد اتفاق الطائف: "الإيجابيات والسلبيات": حلقة دراسية، افتتحها خير الدين حسيب؛ وأدار الحلقة سليم الحص؛ قدم ورقة العمل منح الصلح؛ أعد التعقيب جوزيف أبو خليل. (مجلة المستقبل العربي: السنة ١٥، العدد ١٦٥ ، تشرين الثاني ١٩٩٢).
- .محمد حسنين هيكل: كتاب "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل" الكتاب الأول، وكتاب "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، عواصف الحرب وعواصف السلام"، الكتاب الثاني، وكتاب "أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة"، وكتاب "الطريق إلى رمضان".
- .نعيم قاسم: حزب الله المنهج، التجربة، المستقبل.

ما تقدم إضافةً إلى منشورات آثارية ولغوية وتاريخية عربية موثقة ومهمة جداً فيما يخص العودة إلى التاريخ، في القسم الأول التمهيدي، لمعرفة حقيقة عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرق والتباعد في العلاقات السورية . اللبنانية.

٢ . أبرز المصادر بالأجنبية:

أ . أبرز المصادر الوثائقية الرسمية بالأجنبية:

- United States Department of State - some documents
- U.S. Department of State - some documents
- British Foreign Office - some documents
- le Ministre des Affaires Etrangère Français - quelques documents

ب . أبرز المصادر من الكتب بالأجنبية:

- Ahmed Gomaa M., the Foundation of the League of Arab State: Wartime Diplomacy and Inter politics.
- George J. Tomah: United Nations Resolutions on Palestine and the Arab – Israel Conflict 1947-1974.
- Malcolm Kerr, America's Middle East Policy: Kissinger, Carter and the Future.
- Robert W. Macdonald, the League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization.
- White Paper on Treaty of Peace between Egypt and Israel.

٣ . أبرز المصادر المترجمة:

- . مذكرات السير أنطوني إيدن: استلم رئاسة الوزراء في بريطانيا أكثر من مرة.
- . شارل ديغول: رئيس فرنسا المعروف وممثل الاتجاه الديغولي .
- . كيسنجر هنري: وزير الخارجية الأمريكي والمهندس الصهيوني الرئيس في مشاريع تسوية الصراع العربي . الصهيوني.
- . شيمون شيفر: كرة الثلج: أسرار التدخل "الإسرائيلي" في لبنان.
- . كرين إيفلاند ويلبر: حبال من رمال.
- . كيرستين شولتز: دبلوماسية "إسرائيل" السرية في لبنان.
- . لورا زيتراين إيزنبرغ: عدو عدوي: لبنان في التصورات الصهيونية المبكرة.
- . لوسيان بيتزلان: حافظ الأسد مسيرة نضال.
- . هانف تيودور: لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة.
- . ويليام كوانت: أمريكا والعرب و"إسرائيل".

ما تقدم إضافةً، أيضاً وكما هي الحال في المصادر العربية، إلى منشورات آثارية وتاريخية أجنبية موثقة وهامة جداً، بلغاتها الأصلية أو مترجمة، فيما يخص العودة إلى التاريخ، في

القسم الأول التمهيدي، لمعرفة حقيقة عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرقة والتباعد في العلاقات السورية - اللبنانية.

٤ . أبرز مواقع الإنترنت:

- U.S. Department of State Archives website
- British Foreign Office Archives
- Archives du Ministre des Affaires Etrangère Français

. موقع المعرفة.

. مواقع بعض القيادات النضالية السياسية.

أخيراً لقد حرصت على تقديم الجديد والمفيد من المعلومات والآراء بما يخدم أحد أهم أهدافي العلمية والوطنية من إعداد بحثي، وهو الإسهام الجدي في بيان عناصر الوحدة والتقارب وعوامل الفرقة والتباعد في العلاقات السورية - اللبنانية، لنأخذ الدروس والعبر المفيدة مستقبلاً، في تعميق وإغناء الأولى، وفي هدم واستبعاد الثانية، آملاً أنني قد وفقت في تحقيق هدفي هذا من خلال تقديم دراسة جامعية أكاديمية حرصت على علميتها وموضوعيتها، آملاً أيضاً أن تكون مفيدة للعمل القومي العربي النهضوي الوحدوي عموماً، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول التمهيدي:

"موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية والمحلية لسوريا ولبنان والعلاقات بينهما منذ بداياتها حتى عام ١٩٧٠ : عناصر التقارب وعناصر التباعد"

المحتويات:

مدخل الفصل الأول التمهيدي.

أولاً) . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية حتى عام ١٩٧٠ :

١ . موجز عن الأوضاع الدولية والعربية حتى عدوان حزيران ١٩٦٧ .

٢ . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية من عدوان حزيران ١٩٦٧

حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ .

ثانياً) . موجز عن التطور التاريخي لسوريا ولبنان والعلاقات السياسية بينهما حتى عام ١٩٧٠ : عناصر التقارب والتباعد:

١ . موجز عن التطور التاريخي لسوريا، ولبنان كجزء منها، حتى الانفصال وتشكل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ : عناصر التقارب والتباعد.

٢ . موجز عن العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ عام ١٩٢٠ حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ : عناصر التقارب والتباعد:

أ . الفترة الأولى (١٩٢٠ . ١٩٤٣) .

ب . الفترة الثانية (١٩٤٣ . ١٩٥٢) .

ج . الفترة الثالثة (١٩٥٢ . ١٩٥٨) .

د . الفترة الرابعة (١٩٥٨ . ١٩٧٠) .

ثالثاً) . خاتمة في بيان أهم عناصر التقارب والتباعد السوري - اللبناني .

مدخل الفصل الأول التمهيدي:

من أجل الفهم الصحيح لموضوع البحث، الذي هو: "التطور التاريخي للعلاقات السياسية السورية - اللبنانية بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩)"، كان يجب تكريس الفصل الأول من هذه الدراسة كتمهيد تتم فيه العودة إلى ماضي هذه العلاقات منذ تشكلها في العصور القديمة حتى بداية المرحلة الزمنية المعنية بالبحث في عام ١٩٧٠، طبعاً بإيجاز شديد. أسباب هامة كثيرة دفعتني إلى ذلك وأكتفي بذكر أبرزها:

السبب الأول هو أنّ العامل المحوري في جميع العلاقات الدولية في أية مرحلة تاريخية، ومنها العلاقات السورية-اللبنانية فيما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٩، هو عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرقة والتباعد بين أطراف هذه العلاقات والتي تحدد مسارها وطبيعتها وجميع معطياتها. وكان من المستحيل التعرف على هذه العناصر وفهم هذه العلاقات بشكل صحيح دون العودة إلى التاريخ الذي تندمج، بالضرورة، في حركته التي هي متصلة متواصلة بحيث لا شيء يأتي من فراغ، وعلى أنّ الحاضر، باستثناء مستجداته بالطبع، هو وليد الماضي، مما يفسر قول روجيه ديون(Dion): "إن الماضي يفسر الحاضر"^٦، ويفسر أيضاً ما قاله، قبله، ابن خلدون: "قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب"^٧ أي بالماضي.

السبب الثاني هو الالتزام بجميع المنطلقات المعرفية والمنهجية المذكورة في مقدمة هذا البحث، ومنها المتعلقة بمعطيات وحدة التاريخ الإنساني من جهة، ووحدة التاريخ العربي من جهة أخرى، وللتين لا تعنيان وحدة التفاصيل ونفي التنوع والخصوصية لتاريخ كل بلد من البلدان المعنية فيهما، ومنها سوريا ولبنان، وإنما تعنيان وحدة كلّ معطيات ما يجمعهما منذ وجودهما، أي وحدة معطيات الواقع السوري والواقع العربي وبالتالي وحدة هويتهما السورية العربية، والتي لا يمكن الردّ على البعض ممن ينفونها اليوم إلا بالعودة ولو الموجزة إلى جذورها التاريخية.

السبب الثالث هو الحرص على الفهم الصحيح الموضوعي للعلاقات السورية-اللبنانية ماضياً وبالتالي حاضراً، بحيث يتمّ تبيان تشكّل وتطور المحور الأساس فيها حتى اليوم، وهو عناصر الوحدة السورية- اللبنانية أو التقارب التي استندت إليها الاتجاهات السياسية الوحدوية الوطنية العربية ورسختها من جهة، وعوامل الفرقة أو التباعد التي استندت إليها وأسهمت في صنعها الاتجاهات السياسية الطائفية الانفصالية من جهة أخرى.

(٦)- انظر عمر صلاح الدين باشا، و باغ أديب : الوجيز في الجغرافيا البشرية، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥، ص ١٨.

(٧)- ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، دون تاريخ، ص ٧٩.

ونظراً لأنّ هذه العودة تتطلب وضع هذه العلاقات في سياقها التاريخي، أي في ظروفها الموضوعية، وانطلاقاً من جدلية الداخل والخارج أولاً، ووحدة التاريخ الإنساني ثانياً، ووحدة التاريخ العربي ثالثاً، كان يجب البدء بتقديم موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية حتى عام ١٩٧٠، مع ترك بعض الأحداث والتفاصيل ليتمّ تناولها في حينها في إطار العلاقات السورية . اللبنانية.

أولاً) . موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية حتى عام ١٩٧٠ :

نظراً لأهمية حدث عدوان حزيران ١٩٦٧، ولكون الفترة الممتدة منه حتى حدث بداية المرحلة التاريخية المعنية بهذا البحث، وهو حدث الحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠، كانت فترة العشية المهمة بالنسبة إلى هذه المرحلة، فإنني أجد من الضروري تقسيم هذا التطور التاريخي إلى قسمين يفصلهما حدث الحرب هذه: أولهما الممتد منذ القديم حتى العدوان عام ١٩٦٧ ويتم تناوله بإيجاز شديد، وثانيهما الممتد منذ شن العدوان حتى قيام الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠، ويتم تناول موجزه بشيء من التفصيل، من حيث تضمنه لجذور حقيقة المعطيات الأساسية المتعلقة بالعلاقات السورية . اللبنانية في المرحلة المعنية بالبحث بل وحتى اليوم.

١. موجز عن الأوضاع الدولية والعربية حتى عدوان حزيران ١٩٦٧ :

هناك حقيقتان تاريخيتان مترابطتان أكدتهما الأبحاث الموضوعية المعنية في علوم التاريخ والآثار والأنسنة (Anthropology):

الأولى هي أن الوحدة الحضارية العالمية القديمة البدئية قبل التدوين، أي قبل اختراع الكتابة وبعده، تحتم الاعتقاد بوجود مركز واحد لانطلاق وضخ كلّ التجمعات والحضارات الأولى للإنسان العاقل، والتي هي أصل تشكّل العالم بالأمس وأصل كلّ شعوبه وأممه اليوم.

والحقيقة الثانية هي استحالة أن يكون هذا المركز إلا في الغرب الآسيوي^٨، أي في المشرق العربي ومنه سوريا. ولم يعد ينكر هذه الحقيقة، حسب تأكيد أحد المختصين، سوى من "يصعب عليه أن يكون أصله من المشرق العربي القديم، مدفوعاً باعتبارات عنصرية لا تمت إلى جوهر البحث العلمي النزيه بصلة"^٩.

^٨ - (Debat, "L'origine de L'homme Contemporain" (R. La Recherche, no. 277, 1995).

هو ل: هيرش برنار فندر، ترجمة مدني قصري بعنوان: "أصل الإنسان المعاصر" (مجلة الثقافة العالمية، العدد ٧٨، أيلول ١٩٩٦، ص ٥٠-٦٥)، ص ٦٤ .

١٩٨٧، ص ٦١-) - سلطان محيسن، عصور ما قبل التاريخ، المستقبل، دمشق، ١٩٨٦^٩

ما تقدم يفسر تفرّد أقوام هذا المشرق بالعطاءات الإبداعية الحضارية منذ التجمعات الأولى للإنسان العاقل وقبل أن تبدأ عند جميع الأقاليم والشعوب بآلاف السنين، لتكون مصر أم الدنيا، والعراق أصل العالم، ومكة مركز الكون، وسوريا، ومنها لبنان، مهد الإنسان والحضارة. من هنا جاء تأكيد الأكاديمي الفرنسي الموضوعي بيير روسي (Rossi)، المتخصص بالحضارة اليونانية، على أنّ العرب فيما يسميه "العصر العربي القديم" قد توصلوا إلى صناعات في مجال الخزف في كل أنواعه والفسيفساء، وفي مجال صناعات الزجاج والتعدين والصياغة وقطع الحجر والنسيج والسجاد وغيرها"، "اتصفت بعبقرية تقنية لم تضاه حتى اليوم"^{١٠}.

ومن هنا جاء تأكيده على أنّ "الثقافة كانت عربية منذ بداياتها الأصيلة وهي أصل ثقافة الشرق والغرب معاً"^{١١}، وأنها "قد بسطت منذ فجر الزمان معرفتها الحياتية... والتي لم تكن حضارة اليونان والرومان سوى انعكاس لها"^{١٢}. واستمر العرب القدماء في نشر معطياتها المتطورة على المستوى العالمي، أي عولمتها^{١٣} بلغة اليوم، سياسةً واقتصاداً وثقافةً، حقوقاً إنسانية وديمقراطية ونقابية، علماً وأدباً وفناً وفكراً، فلسفة أو ديناً، وليشكلوا هكذا تلك "المدنيات القديمة التي أعطت الكثير"، "وقامت بدور المذهب المربي"، حسب تعبير إيمار وأبوايه (Aymard et Auboyer)^{١٤}.

وكان أن تشكلت في المشرق العربي القديم ومنه سوريا، كما يؤكد موتل (Moutlets) وكولينغ (Colling) وروسي^{١٥}، رأسمالية أو برجوازية متقدمة، بفعل طبيعة معطيات تطوره التاريخي. إذ، بعد امتلاك العرب القدماء، وخاصة في سوريا وبلاد بابل ومصر وشبه الجزيرة

¹⁰ - (op. Eit, pp. 138-141).

Ibid,

(¹¹- Cf. ROSSI Pierre, La Cité d'Isis Histoire Vraie des Arabes, Paris, 1976.

هناك ترجمة عربية له لفريد جحا، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٦.

¹² - (op. Eit, p. 9.

Rossi,

¹³ - من الضروري بدايةً التذكير بما ورد في مقدمة البحث حول أنّ مشروعية استخدام مصطلحات حديثة في التعبير عن معطيات قديمة مشروطة بأن يكون هذا الاستخدام ضمن إطار دلالاتها العلمية الصحيحة. "العولمة" هي القيام بنشر أو تعميم أمر ما على المستوى العالمي. قسم من الباحثين يرجع بداية الظهور التاريخي الأول لها إلى المرحلة الأخيرة من "فترة الحداثة" وقسم آخر يرجعه إلى ما بعدها حيث الثورة الالكترونية المعلوماتية. أما الغالبية فتؤكد قدم العولمة كواقع وحدائتها كمصطلح. وهو تأكيد صحيح، من حيث أنه في تحديد البعد التاريخي لمعظم معطيات الوجود الإنساني، ومنها العولمة، يجب أن يتم التمييز بين ظهور وجودها كواقع ملموس وبين ظهور مسماتها الاصطلاحي في تعبيره عنه، والذي غالباً ما يتأخر عنه بزمان ما قد يطول أو يقصر. إن ظهور مصطلح العولمة هو حديث بدون شك، لكن ظهور واقعها الملموس وتطوره التاريخي هما قديمان قدم ظهور وتطور التجمعات البشرية. من هنا جاء قول أحد الباحثين: "العولمة ليست بشيء جديد، فهي بدأت منذ وعى الإنسان بوجود إنسان آخر يتعامل معه" (العكاس عبد المحسن، في صحيفة الشرق الأوسط، بيروت، عدد ٧٠٩٣، تاريخ ١٩٩٨/٤/٣٠، ص٨).

(- إيمار أندريه و أبوايه جانين: روما وإمبراطوريتها، المجلد الثاني من سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو

ريحان، منشورات عويدات، بيروت. باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص ١١.

¹⁵ - (MOUTELS Laffon, Les Etapes du Capitalisme de Hammourabi a Rockfller, Paris, 1938; A. COLLING, Banques et Banquiers de Babilone a Wall-Street, Plon, 1940; Rossi, op. cit. pp. 157-209.

العربية، لأكبر قوة اقتصادية نتيجة للتراكمت والتحويلات الحضارية المادية والعلمية التي أنجزوها، بدءاً بثورة التدجين ومنها تدجين الحصان، ومروراً بالثورات الأولى في الزراعة والحرفة والصناعة والتجارة والأنشطة المالية^{١٦}، فقد كان من الطبيعي وجود وتطور العناصر المكونة للوجود الرأسمالي أو البرجوازي، أي الملكية الخاصة وتقسيم العمل والعمل الأجير وفيض الإنتاج، وتقدم قواه وأدواته، وفق معايير المرحلة التاريخية آنذاك بالطبع^{١٧}.

ونظراً لأنّ هذه البرجوازية العربية القديمة كانت هي الأقوى، فقد سيطرت على السوق العالمية والاقتصاد الدولي، وذلك من خلال نظام عربي عالمي^{١٨} لإدارة هذه السوق وهذا الاقتصاد، كطرق ومراكز ووكالات ومواد، على صعيد جميع بلدان العالم. ومع ذلك لم يصل صراعها مع الإقطاع في داخل بلادها إلى درجة القضاء عليه، وإنما بقيت في حالة تعايش معه، وهذا ما شكل إحدى السمات المهمة للواقع الإنتاجي العربي القديم والوسيط عموماً.

وكان من الطبيعي أيضاً أن تتعزّز كنتاج للعولمة التمدينية للثقافة العربية الوحدة العالمية الحضارية المذكورة للعالم القديم، وأن ينعكس ذلك في امتداد لغة سوريا العربية بلهجتها السريانية لتصبح لغة عالمية. لكن، وبمرور الزمن، وتحت ضغط التأثير المستمر والطويل لمعطيات اختلاف تفاعل الناس مع الزمان والمكان، فإن هذه الوحدة العالمية الحضارية قد انتهت لصالح تشكّل الخصوصيات القومية بلغاتها المتعددة التي دعتها المصادر العربية القديمة "ببلبله الألسن"^{١٩}. وتكونت الخصوصية بدايةً في الهند والصين وفارس شرقاً، ثم في اليونان والرومان غرباً، بينما احتفظ الوطن العربي وحده، وقد كان المركز المشع دائماً، بأتمته العربية العريقة، وبقلبه السوري الفاعل، وبخصوصيته الحضارية المتقدمة بلغتها العربية في لهجتيها الرئيسيتين المستمرتين حتى اليوم: السريانية لهجة موسى والمسيح عليهما السلام، والعرباء لهجة النبي محمد (عليه الصلاة والسلام).

(- يستنتج من قوانين حمورابي أنه كان للتجار العرب البابليين وكلاء لهم في بعض فروع المحلات التجارية، وإنهم كانوا يشكلون أحياناً شركات مساهمة) (راجع فرح نعيم، تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، العصر القديم، المجلد الأول، دمشق، بدون تاريخ، ص ٣٠٢، وانظر هذه القوانين في ص ٦٩٧-٦٦٣).

(- راجع محمد نجاح: "الواقع الاجتماعي العربي القديم: خصوصية أم "أسلوب إنتاج آسيوي"؟ (مجلة الوحدة، الرباط، العدد ٥٧، ١٩٨٩، ص ٧٩-٩٧).

^{١٨}- في تحديد الظهور التاريخي الأول للنظام العالمي يجب أن يتم التمييز بين ظهور وجوده كواقع ملموس وبين ظهور مسماه الاصطلاحي في تعبيره عنه. وعليه فإن ظهور مصطلح النظام العالمي هو حديث ويعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أما بداية ظهوره كواقع ملموس فهي مرتبطة بالضرورة ببداية الدول والعلاقات فيما بينها، مما يفسر قول أحد الباحثين: "النظام العالمي قديم قدم الممالك... قدم السلطة والدولة" (خليل أحمد خليل، "الخيار الوحدوي العربي في ظلّ النظام العالمي الجديد، في مجلة الوحدة، الرباط، عدد ٩٠، آذار ١٩٩٢، ص ٨-١٥).

(- راجع المسعودي: مروج الذهب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٩-٦٩).

ولم تكن مراحل خضوع الوطن العربي القديم، إلى الفرس ثم اليونان فالرومان وبيزنطة، سوى خضوع سياسي . عسكري ليس إلا، بينما كانت السيطرة الاقتصادية والثقافية للقوى المحلية. كانت البرجوازية العربية، وخاصة السورية ومنها اللبنانية، تنجح في إدماج الفئات الحاكمة في عملياتها الاقتصادية، وكتابعة لها دوماً نتيجة لقوتها المالية الرأسمالية الهائلة، والأعظم بمعيار عصرها، إن تجارياً أو صناعياً تقنياً. وصلت هذه القوة إلى الدرجة التي دفعت روسي إلى القول إن الشرق قد "اشترى اليونان"^{٢٠}. و"اشترى روما"^{٢١} وإنها كانت "تتعرب"^{٢٢}، ولم تكن رومانية إلا بالاسم، ولم تكن عربية إلا بالموقع"^{٢٣}.

ولم تمس الهيمنة الاقتصادية العربية القديمة إلا في الفترة الممتدة ما بين القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديين، بسبب الصراع الكنسي الغربي . الشرقي، والصراع الفارسي . البيزنطي، من أجل الهيمنة على طرق التجارة الدولية ومراكز نظامها العالمي في المركز الشرقي العربي، ومنه سوريا، ممّا أضعف أمنها الداخلي والخارجي معاً، وأثر سلباً بالتالي على فعاليتها. ثم كان الخلاص والتحرير مع العرب المسلمين، ومعهم حضارة ثقافة الإسلام العربية، ولتكن رسالة النبي الكريم محمد (ص) استكمالاً لحضارة ثقافة رسالات جميع الأنبياء العرب وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام.

وكان من الطبيعي، حسبما يؤكد كثيرون، قيام الكثير من سكان البلاد، ومعظمهم من السريان المسيحيين، بالترحيب بالفاثحين العرب كمحررين لهم"^{٢٤}، لأنهم كانوا "يعدّونهم من بني جنسهم يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام الأجانب الغاصبين"^{٢٥}، وفق تأكيد حتّي الذي رأى في فتحهم حركة قومية ونصراً للقومية العربية"^{٢٦}. وكان من الطبيعي أن ترحب بهم بشكل خاص الفئات البرجوازية الوطنية المتضررة من الصراعات المذكورة"^{٢٧}.

من الطبيعي التأكيد هنا أنّ الوجود المجتمعي القومي للعرب، والذي هو، مثله مثل أي وجود مجتمعي قومي آخر، واقع اجتماعي موحد قبل كلّ شيء، كان أول وجود قومي في العالم،

20

ROSSI , op. cit p. 145.

21

Ibid,192-196.

22- Ibid, p. 192.

(²³

Ibid, p. 205.

- انظر آشور آ.: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور القديمة، ترجمة: عبد الهادي عبلة ومراجعة أحمد

غسان سبانو، دمشق، ص ٨ و ١٥-١٦.

- حتّي فيليب وجرجي أدورد وجيور جبرائيل: تاريخ العرب، طبعة سادسة، دار غندور، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٩٩.

(^{٢٦}- حتّي فيليب، تاريخ العرب مطول، ترجمة د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، ١٩٥٢، جزء أول، ص ١٩٧.

27-(Cf. ROSSI , op. cit. pp.236-243.

وسابقاً لما جاء بعده بآلاف السنين، ومنه الوجود القومي الأوروبي الذي لم يظهر إلا حديثاً جداً في القرن التاسع عشر. ولقد تطور من شكل التجمع البدائي الأول إلى شكل العشيرة، إلى تشكيلة الشعب، ومنها، ومع الإسلام، إلى الدولة الموحدة لهذه الأمة^{٢٨}. وعليه لم ينقطع التواصل العربي يوماً في التاريخ. ويؤكد روسي على وجود هذا التواصل والاستمرارية بين العرب القدماء، ومنهم السريانيون الآراميون، وبين العرب المسلمين قائلًا: "إن الإسلام لم يكن عليه أن يخوض صراعاً عقائدياً كبيراً ليسود. إن العرب لم يكن عليهم أن يخوضوا حرباً عسكرية ليأخذوا الشرق والمتوسط، لأنهم كانوا في وطنهم فهم فيه منذ غابر الأزمان"^{٢٩}.

وكان أن أسفر الحكم العربي . الإسلامي، حسب تأكيد برؤي (Perroy)، " عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدنية ولا أروع، عوّل عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقية البناء"^{٣٠}، وخاصة بعد أن استعادت البرجوازية العربية نفوذها الدولي الذي كان لها في نظامها العالمي في العصور القديمة، في إطار الدولة العربية . الإسلامية في العصور الوسطى. وكان أن شهدت العصور الوسطى استمرار إنجاز الرسالة التمدنية الحضارية التعليمية القديمة للعرب، في إطار رسالة أمتهم ودولتها العربية . الإسلامية في ظلّ الأمويين والعباسيين والفاطميين، والتي شكّل العرب من خلالها، كما يؤكد أحد الباحثين: "إمبراطورية عظمى لم تبلغها أمم من بعدهم، وقدموا نموذجاً لنظام دولي أحادي كان يتعرض لخروقات وتمزقات وغزوات وحروب، إلا أنه كان قائماً بوجهيه السياسي . الاقتصادي، والاجتماعي . الحضاري"^{٣١}.

من هنا جاء قول لوبون (Le bon) : "إن العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلفي. وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا ممدنين لنا، وأئمة لنا"^{٣٢}. وكذلك قوله: "لا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب، وذلك أن جميع الأمم التي اتصلوا بها اعتنقت حضارتهم... كالترك والمغول... ولم يتجلّ تأثيرهم في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها، بل تجلّى في ثقافته العلمية أيضاً"^{٣٣}. وتبيّن هونكه (Hunke) أنّ العرب "منذ البدء أدهشوا العالم بالحرية

^{٢٨} - انظر محمد نجاح: "القومية العربية في تاريخنا القديم: الجذور والسيروية" (مجلة المعرفة، العدد ٣٥٦، أيار ١٩٩٣، ص ٤٣-٧٦).
29 - (Cf.

ROSSI, op.cit. ,p.33.

(ادوار : القرون الوسطى، المجلد الثالث من سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف داغر وفريد داغر، (PERROY) - برؤي^{٣٠}
طبعة ثانية، منشورات عويدات، بيروت . باريس، ١٩٨٦، ص ١٠٩.

^{٣١} - خليل، مرجع سابق، ص ١٢.

^{٣٢} - (LE BON Gustav: "la Civilisation des Arabes", Paris, 1996, p. 442.

33

Ibid, pp.428-429.

الموضوعية والشجاعة العلمية"^{٣٤}، و"أن الغرب بقي في تأخره ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام... ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً"^{٣٥}.

يبين آشور كيف بدأ التراجع البرجوازي والاقتصادي مع سيطرة القوى الإقطاعية . العسكرية . البدوية المتخلفة، مما جلب التدهور البطيء لمصانع الطراز وللصناعة الخاصة التي تعرضت للعرقلة وحتى للقمع لصالح هيمنة الإقطاع العسكري^{٣٦}. وبعد تحسن نسبي في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، قبل غزوة تيمورلنك التدميرية في عام ١٤٠١/٨٠٣، بدأت الكارثة الفعلية في تنامي الانحدار العربي.

إذا كانت غزوات الفرنجة الهمجية من الغرب، المسماة خطأ بالصليبية والصليب منها براء، والتي استوطنت الساحل السوري لمدة مئتين وخمسين عام، قد أدت إلى زعزعة الهيمنة الشامية في النظام العربي العالمي المذكور، فإن الغزوات المغولية الهمجية المستمرة من الشرق، والتي استوطنت العراق لمدة مائتي وخمسين عام، بالإضافة إلى تفكك الدولة العربية . الإسلامية، وصراعاتها السياسية، وسيطرة القوى العسكرية البدوية والمتخلفة آنذاك في مؤسساتها الحاكمة، قد أدت إلى تصاعد الانحدار العربي الذاتي، وأدت بالتالي، بالإضافة إلى المتغيرات العالمية في بدايات العصر الحديث، إلى زعزعة هذا النظام نفسه.

تمثلت هذه المتغيرات العالمية التي أدت إلى قلب جميع موازين القوى في العالم وعلى كل المستويات، في خمسة أحداث أساسية: أولها حدث سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢، كآخر معقل لوجود العرب في الأندلس. الثاني كان حدث المكتشفات الأوروبية لرأس الرجال الصالح عام ١٤٨٨ ومنه للطريق إلى الهند عام ١٤٩٨ شرقاً، ولأمريكا عام ١٥٠٠ ومنها إلى الهند غرباً، والتي هي مكتشفات بالنسبة لأوروبا وبقية العالم، وليس بالنسبة للعرب الذين كانت بالنسبة إليهم المعرفة الوحيدة التي احتكروها لأنفسهم منذ آلاف السنين، ضماناً لاستمرار هيمنتهم على طرق التجارة الدولية ما بين الشرق والغرب، والتي دلت عليها آثارهم الفينيقية وغيرها من اليابان شرقاً وحتى أمريكا غرباً. وأدى هذا المتغير، بما نتج عنه من احتلال برتغالي وإسباني للمراكز العربية .

^(٣٤) Cf HUNKE Sigrid: Allahs Sonne über dem Abendland Unser Arabisches Erbe, 3. Auflage, Germany, 2002.

ترجم إلى العربية بعنوان: شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل، بيروت، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣، ص ١٤٣.

المرجع نفسه، ص ٥٤١ - ٣٥.

(- راجع آشور، مرجع سابق، ص ٢٧٥ وما يتبع. ٣٦.

الإسلامية في الطريق الجنوبي إلى الهند وفي الأطلسي والمتوسط، إلى توجيه ضربة قاصمة للنظام . العربي . الإسلامي الإعماري العالمي، لصالح بداية النظام العالمي الاستعماري الغربي.

المتغير التاريخي العالمي الثالث هو خضوع معظم الوطن العربي للحكم العثماني منذ عام ١٥١٦. الذي يجمع الباحثون على أن السقوط العربي قد ارتبط بالفعل المؤثر للهجبة العسكرية الثيوقراطية الإقطاعية المهيمنة على هذا الحكم، في تخريب وإضعاف البلاد العربية ككل، ومنها بلاد الشام، وفي استكمال ما كان قد بدأه الحكم المملوكي من ضرب لمعطياتها الحضارية، ولتحول الإسلام من مضمونه الحقيقي القائم على الوحدة والتوحيد، والعقل والعلم والعمل والإعمار، وحقوق الإنسان، إلى مضمونه الزائف القائم على عطالة العقل واحتقار العلم والعمل، وعلى التفرقة والتمذهب والتعصب وقمع وإلغاء الآخر، والذي هو المضمون المُستغل اليوم من أجل تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

وكان من أخطر الممارسات التي قام بها الحكم العثماني ضدّ الوطن العربي قيامه بمنح أوروبا هذا السيل الذي لا مثيل له من الامتيازات، والتي كانت "الجسر الذي عبر عليه الاستعمار الغربي إلى المنطقة العربية، ضارباً رأس مالها الوطني، مانعاً نشوء أية قوة مالية قادرة على تمويل مشروعها النهضوي العربي. كان هذا مقابل التزام الدول الأوروبية بالسياسة الكفيلة بحماية اقتصادها الوطني داخلياً وخارجياً، وتطويره وزيادة موارده بما يضمن تنمية رأس مالها الوطني، واستكمال نهضتها على كلّ صعيد، عسكري واقتصادي وعلمي.

مع ذلك ورغم كل ما تقدم، ومنه تصاعد النهضة الأوروبية هذا مقابل تصاعد انحدار العرب في ظلّ الحكم العثماني، فإن الفرق الحضاري الكبير بين الوطن العربي، ومنه سوريا، وبين جميع هذه الدول الأوروبية، لصالح التقدم العربي الهائل مقابل تخلفها، يفسّر استمرار هذا التقدم على كل الأصعدة، الاقتصادية والثقافية، حتى القرن الثامن عشر الميلادي، قرن إنجاز الثورة الصناعية في أوروبا.

كانت هذه الثورة المتغير العالمي الرابع، وحدث الحسم في نهاية التقدم العربي لصالح بداية ثم تعزيز وتكريس التقدم الغربي ونظامه العالمي الاستعماري، الذي صحيح أنه قام على العلم العربي، إلا أنه سرعان ما تجاوزه إبداعاً هائلاً في كلّ المجالات. بعد هذه الثورة الصناعية الأوروبية بدأت مسيرة التخلف العربي، لتستمر طوال التاريخ المعاصر للعرب، سواء في ظلّ

الاحتلال العثماني الذي استمر حتى قيام الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦، أو بعده في ظلّ احتلال القوى الأوروبية الاستعمارية. وكان خضوع معظم الوطن العربي، بسوقه وثرواته وخاصة النفطية، لقوى الاستعمار الجديد، بكل أساليبه وأشكاله ومضامينه ومؤسساته، سواء في ظلّ الزعامة البريطانية للنظام الرأسمالي الاستعماري العالمي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥، أو في ظلّ الزعامة الأمريكية لهذا النظام ومعسكره بعدها، في مرحلة الحرب الباردة قبل انهيار المعسكر الاشتراكي، والتي شهدت الصراع الدولي بين المعسكرين.

وكان من الطبيعي بالمقابل، ومنذ بداية هذه المسيرة أن تبرز المقاومة الوطنية وحركة اليقظة العربية في إطار حركة التحرر العربية النهضوية، ولتكون من أبرز نتائجها، وعواملها في آن واحد، دولة محمد علي العربية . الإسلامية النهضوية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والإنجازات المتلاحقة لانتصارات الاستقلال الوطني ضدّ القوى الاستعمارية في القرن العشرين.

وإنّ بروز خطورة هذه الدولة الرائدة والقوة في تحقيق المشروع العربي . الإسلامي النهضوي الذي من شأنه تشكيل القوة العربية . الإسلامية الذاتية القادرة على استعادة السيادة العربية . الإسلامية الاقتصادية العالمية وضرب مصالح القوى الاستعمارية في ظلّ زعامتها البريطانية، يفسّر دور هذه القوى وهذه الزعامة في إنشاء الحركة الصهيونية، ثم في إعطائها الوعد، من قبل وزير الخارجية البريطاني بلفور (Balfour) في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧، بإنشاء كيانها الخاص في فلسطين، بمهمة وظيفية تتلخص باستخدامه كحاجز بين مشرق الوطن العربي ومغربه، ولمنع إنجاز أي مشروع عربي نهضوي قومي أو محلي من شأنه بناء الدولة العربية القوية. وإنّ هذا الهدف نفسه، إضافة إلى تصاعد حركة التحرر العربية، وبروز أهمية النفط العربي في آلية وجود النظام الرأسمالي الغربي الاستعماري، وتشكّل جامعة الدول العربية^{٣٧}، يفسّر دوام دعم هذه القوى غير المحدود في ظلّ الزعامة الأمريكية لإنشاء واستمرار ما دعي بـ"دولة إسرائيل" في فلسطين المحتلة، والمعلنة في بداية الحرب العربية . الصهيونية الأولى عام ١٩٤٨، إثر إلغاء الانتداب البريطاني وانسحاب قواته^{٣٨}. ووضح بعد ذلك أن جوهر الصراع العربي . الصهيوني يدور حول أمرين أساسيين: الأرض والمياه، وقد أدى قيام "إسرائيل" بتجفيف بحيرة الحولة عام ١٩٥٠ وزراعة أراضيها ومحاولة سوريا منع تحويل مجرى نهر الأردن إلى نشوب قتال ضار بينهما، مرافق بالدعم الأمريكي الكبير لـ"إسرائيل".

وكانت وما زالت ضغوط الغرب ومخططاته التآمرية الاستعمارية مستمرة ضدّ الوطن العربي لجرّه إلى مزيد من التبعية، وللعمل على منعه من تشكيل قوته الذاتية ومن تحقيق مشروعه

³⁷ - (Cf. Gomaa Ahmad M., The Foundation of the League of Arab States..., London, 1977.

³⁸ - (ANN Williams, Britain and France in the Middle East and North Africa, London 1968, p.570.

النهضوي في تكوين دولته القومية الحديثة، ولتبقه في حالة الحرب بعيداً عن الشرط الأساس للنهضة وهو الاستقرار. من هنا جاء ارتباط معظم المتغيرات والصراعات الدولية على المسرح العربي بالصراع العربي . الصهيوني، والذي برز فيه بشكل خاص الدعم النسبي للجانب العربي من قبل دول المعسكر الاشتراكي وزعامته السوفييتية، مقابل الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني من قبل دول المعسكر الرأسمالي وبخاصة زعامته الأمريكية^{٣٩}.

ويبين استقراء أبعاد التحرك "الشرق أوسطي" للإدارة الأمريكية استمرار السعي الأمريكي "لوراثة النفوذ البريطاني . الفرنسي في المنطقة، والذي دخل في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة أفوله"^{٤٠}. ويظهر حرص الإدارة الأمريكية على أن يكون التعامل المباشر بين الطرفين العربي و"الصهيوني" في إطار سياسة توازن ظاهرية بينهما، تقوم على إظهار عدم الانحياز الكامل للكيان الصهيوني، في محاولة لاستقطاب الدول العربية والإسلامية، وبخاصة في "الشرق الأوسط"، إلى الانضواء تحت زعامتها، باسم التحالف ضدّ عدو مشترك "مفترض" كان اسمه في ذلك الحين "الخطر الشيوعي". وعلى أن يتم ذلك من خلال التعاون المشترك في إطار المشاريع الغربية التي طرحت في الخمسينيات آنذاك والتي كان لكل من سوريا ولبنان مواقف متباينة منها، وأهمها "حلف بغداد" عام ١٩٥٥^{٤١} والحلف الإسلامي^{٤٢}، و"مشروع أيزنهاور" عام ١٩٥٧، ودائماً بحجة ضرورة تماسك المنطقة في مواجهة العدو المذكور والمتمثل بالدرجة الأولى في "التحدّي السوفييتي"^{٤٣}.

لكن هذا التحرك الأمريكي اصطدم بالمحتوى السياسي الوطني والتقدمي الذي اكتسبته الحركة القومية العربية ضدّ الغرب ومشاريعه التآمرية ضدّ القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية، لصالح التعاون مع المعسكر الاشتراكي وزعامته السوفييتية، ومنه الاتفاقيات السورية والمصرية الخاصة بالتسليح. وبذلك لم يعد لدى الولايات المتحدة الأمريكية ثمة حاجة لإخفاء انحيازها الكامل للكيان الصهيوني، فكان هذا إيذاناً ببداية بروز تأمرها المعلن والمستمر معه ضدّ

(- انظر: كوانت وويليام، أمريكا والعرب وإسرائيل، ترجمة عبد العظيم حماد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠. ٣٩)

WILMAT Chester، The Struggle for Europe , New York : Harper. 1963, pp. 211.

(-32)

41 - (vol.1, pp. 1257-1259. Cf, American Foreign Policy, 1950-1955, Basic Documents,

(- راجع: البراوي راشد، من حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨. 42)

(٤٣-) عبد المجيد وحيد، انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربي- الإسرائيلي، سلسلة مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٤٩، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٠ - ٤٨.

الوطن العربي عموماً، وضدّ حركته القومية العربية النهضوية والحكومات التقدمية في سوريا ومصر والقوى الوطنية في لبنان وفلسطين خصوصاً^{٤٤}.

وكان أن تصاعد التآمر الاستعماري للغرب وزعامته الأمريكية، ومنه الدعم المستمر للكيان الصهيوني في احتلاله لفلسطين وفي مشاريعه التوسعية وبخاصة من أجل احتلال مصادر المياه العربية. ومنه الحلف البريطاني . الفرنسي . "الإسرائيلي" في الحرب ضدّ المشروع الوطني القومي الناصري عام ١٩٥٦ الذي برز بعد تأميم قناة السويس في هذا العام، والذي أصبح أكثر قوة بعد الوحدة السورية . المصرية وتشكل الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، والتي نجح التآمر المذكور في إنهاؤها إثر الانقلاب الانفصالي عام ١٩٦١. وفي عامي ١٩٦٤/١٩٦٥ شنت "إسرائيل" سلسلة هجمات عسكرية عدوانية على المشاريع المائية العربية في سورية والأردن ولبنان أسفرت عن تعطيلها، ودائماً بدعم أمريكي غير محدود.

ثمّ كان العدوان الصهيوني على سوريا ومصر في حزيران ١٩٦٧، ضدّ المشروع القومي للناصرية وللحكم البعثي في سوريا، ولتكون، بعد إخفاقهما واحتلال القوات الصهيونية للجولان وسيناء والضفة الغربية، حرب الاستنزاف وتصاعد المقاومة الوطنية وتنامي حركة التحرر العربية، بدعم من نظام عبد الناصر في مصر ومن نظام البعث العربي الاشتراكي في سوريا بشكل خاص.

٢. موجز عن التطور التاريخي للأوضاع الدولية والعربية منذ عدوان حزيران ١٩٦٧ حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠:

شهدت هذه المرحلة متغيرات عربية كثيرة، نكتفي بالذكر بأهمها: الأول كان العدوان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧، وما أعقبها في ١٩٦٧/٦/٢٨ من قيام "إسرائيل" بإصدار قرار ضم القدس الشرقية، وإعلان القدس الموحدة كعاصمة لها. وقد رُفِض هذا القرار من منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية، ثمّ من منظمة المؤتمر الإسلامي التي شكّلت عقب إحراق الصهاينة للمسجد الأقصى في ١٩٦٩/٨/٢١. والثاني كان الأزمة الفلسطينية . اللبنانية عام ١٩٦٨، والتي بذلت سوريا ومصر جهوداً كبيرة من أجل حلّها، ودعم المقاومة الفلسطينية، فنتج عنها توقيع "اتفاق القاهرة" عام ١٩٦٩ الذي نظّم العلاقة بين قوى المقاومة والسلطات اللبنانية. والمتغير الثالث كان قيام ثورة السودان عام ١٩٦٩. والرابع كان ثورة الفاتح من أيلول ١٩٦٩ في ليبيا، التي على إثرها تمّ اللقاء الثلاثي بين مصر وليبيا والسودان، والذي

^{٤٤} انظر وليد المعلم، سوريا ١٩١٨ - ١٩٥٨، التحدي المواجهة، شركة بابل للنشر، نفوسيا، قبرص، الطبعة الأولى ١٩٨٥. الوثيقة رقم (٢٩) ص ٣٧٤ - ٣٧٧. المتضمنة تفاصيل المؤامرة الأمريكية على سورية ولبنان لإحداث فتنة في المنطقة. انظر نص الوثيقة في الملحق رقم (١).

انتهى إلى توقيع ميثاق طرابلس في كانون الثاني ١٩٧٠. وانضمت إليه سوريا لاحقاً. لكن كان من أهم هذه المتغيرات أيضاً محاولات تسوية الصراع العربي . الصهيوني إثر عدوان حزيران ١٩٦٧، والتي أدت إلى مزيد من السيطرة الأمريكية والانقسام العربي.

كانت هناك نقطتان جوهريتان تؤكدان اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في التخطيط لعدوان حزيران ١٩٦٧ وتنفيذه: الأولى عدم تكرار الخطأ البريطاني . الفرنسي في حرب عام ١٩٥٦، حيث أدت مشاركتهما المباشرة مع الكيان الصهيوني في الحرب إلى تدويل الصراع وتحويله إلى قضية عالمية صاخبة. والثانية كانت تقديم ضمانات للكيان الصهيوني بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتحرك لإرجاع الأراضي العربية التي احتلتها إلا بشروط "إسرائيلية"، والتزمت كل الحكومات الأمريكية المتعاقبة بهذا الوعد حتى يومنا هذا.

كان يعني هذا غياب مصداقيتها في تبني قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، والذي يعتمد على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة في رفض الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب، مطالباً بإقامة سلام عادل ودائم في "الشرق الأوسط"، مما يستوجب تحقيق أمرين: الأول انسحاب القوات "الإسرائيلية" المسلحة من الأراضي التي احتلت في النزاع الأخير. والثاني إنهاء حالة الحرب بين دول المنطقة واحترام سيادة واستقلال جميع دول المنطقة السياسي والإقليمي، وحقهم بالعيش في سلام وأمن ضمن حدود معترف بها بدون التعرض لأي تهديد أو أعمال عنف. ويؤكد المجلس ضرورة: ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة، وضرورة إيجاد حلّ عادل لمشكلة اللاجئين. وليصبح مطلب هذا "الحلّ العادل" في جميع مشاريع ومحاولات التسوية الغربية بديلاً عن قرار منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، رقم ١٩٤، المتضمن حق عودة اللاجئين إلى ديارهم.

بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ أصبح الوضع الجديد في المنطقة في غاية الخطورة، خاصة وأن القرار رقم ٢٤٢ لم يوضع موضع التطبيق بسبب التعنت والرفض الصهيوني، الأمر الذي دفع الدولتين العظيمتين آنذاك، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وإلى جانبهما فرنسا، إلى البدء بحملة نشاطات دبلوماسية واسعة داخل الأمم المتحدة وخارجها حملت إلى المنطقة مشاريع حلول سلمية ادعى كل من أصحابها بأنها تقوم على أساس تطبيق القرار رقم ٢٤٢ في حين كانت تحمل في الواقع التفسيرات والمواقف المتباينة والمتناقضة^{٤٥}، والهدف دائماً الوصول

(- حول جميع هذه المحاولات والمبادرات راجع: بهلوان، سمر، و محمد حبيب صالح: تاريخ القضية الفلسطينية، منشورات جامعة ٤٥ دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٤٣٦ - ٤٥٢.

إلى مزيد من التنازلات العربية لصالح "إسرائيل". والبداية كانت من الأمم المتحدة ومع مشروع يارينغ.

أ. مهمة الدكتور غونار يارينغ والاقترح الفرنسي: قام الأمين العام للأمم المتحدة بتنفيذ للبند الثالث من القرار رقم ٢٤٢ بتكليف السفير السويدي لدى المنظمة الدولية السيد "غونار يارينغ" (Yarning) بمهمة السفر إلى "الشرق الأوسط" ليُجري اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق سلام فيما بينها، ولمساعدة الجهود الدولية لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة.

بدأ يارينغ تنفيذ مهمته منذ ١٩٦٧/١١/٢٦، غير أن جميع مشاوراته ورحلاته المكوكية بين القاهرة وعمان وبيروت وتل أبيب باءت بالفشل، وذلك للأسباب الرئيسة الآتية: أولها رفض الكيان الصهيوني التعامل مع القرار رقم ٢٤٢ كأساس للتسوية السلمية الشاملة والعادلة، علماً أن مهمة المبعوث الدولي الدكتور يارينغ جاءت لتنفيذ للبند الثالث من هذا القرار. وثانيها إصرار هذا الكيان، مدعوماً من الإدارة الأمريكية، على محالات فرض الحلول التي يريدها، والقائمة على أساس فرض سياسة الأمر الواقع والتمسك باحتلال الأراضي العربية، ومخالفة قوانين وقواعد الشرعية الدولية، بحجة أن القرار رقم ٢٤٢ ينصّ على انسحابها "من أراضي محتلة"، وليس من كل "الأراضي المحتلة"، وفق التفسير العربي. وثالثها محاولة الكيان الصهيوني تحويل مهمة الدكتور يارينغ إلى مهمة لعقد اتفاق صلح منفرد مع مصر.

رافقت جهود يارينغ جهوداً أخرى بذلها الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت (U Thant) منذ مطلع عام ١٩٦٩ بمؤازرة من فرنسا، التي كشفت حكومتها في ١٩٦٩/١/١٧ عن اقتراحها على حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفييتي "عقد عدة اجتماعات لإيجاد الوسائل التي تقود إلى تحقيق سلام عادل ودائم في "الشرق الأوسط" بالتعاون مع الأمين العام^{٤٦}. وقد استجاب الاتحاد السوفييتي لهذه المبادرة الفرنسية، ووافقت عليها بريطانيا. أما الحكومة الأمريكية فقد وافقت عليها موافقة مبدئية، مقترحة إجراء مباحثات على أساس ثنائي بين المندوبين الدائمين للدول الأربع الكبرى في الأمم المتحدة. لكن سرعان ما أهملت.

ب. المشروع السوفييتي للتسوية "مبادرة بريجنيف الأولى" عام ١٩٦٨: في ١٩٦٨/١٢/٢٢ طرح الاتحاد السوفييتي مشروعه السلمي، مشروع بريجنيف (Brezhnev)، لتسوية الصراع العربي . الصهيوني على أساس قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢، وبوساطة الدكتور يارينغ المندوب الدولي المَقَّوض من قبل الأمين العام للأمم المتحدة لتطبيق هذا القرار. أكد هذا المشروع على ضرورة الانسحاب الصهيوني الكامل من جميع الأراضي العربية التي احتلت نتيجة عدوان حزيران ١٩٦٧، وإيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وبالتالي

^{٤٦} -) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٩، بيروت، ص ٨١٤.

فإن تحقيق هذه المبادئ يفسح المجال واسعاً لحل القضية الفلسطينية التي هي في الواقع جوهر الصراع العربي . الصهيوني، وذلك من خلال إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذا ما لم يقبل به الكيان الصهيوني وحليفته الولايات المتحدة الأمريكية، حتى لو كان مقابل الحدود الأمانة والمعترف بها لكل الأطراف.

صحيح أنّ مصير المشروع السوفييتي، الذي جُمِدَ في الغرب ولم تؤيده سوى فرنسا من الدول الغربية، كان الفشل، ولكن برزت له أهمية خاصة تجلت في الحدّ من النزعات الاستسلامية التي تولدت لدى بعض الأوساط السياسية العربية أولاً، وفي تأكيد رغبة الاتحاد السوفييتي الفعلية في تسوية عادلة للصراع العربي . الصهيوني ثانياً، وهذا كان من شأنه تقوية موقع الاتحاد في المنطقة العربية^{٤٧}.

ج . مشروع ولیم روجرز عام ١٩٦٩ . ١٩٧٠: تولى ريتشارد نيكسون (Nixon) في كانون الثاني من سنة ١٩٦٩ منصب الرئاسة الأمريكية، وعيّن كمستشار للسياسة الخارجية هنري كيسنجر، الذي كان ينظر إلى أزمة "الشرق الأوسط" من منظار صهيوني متوجه إلى العمل على استمرارية الضعف العربي مقابل القوة الصهيونية، فكانت توجّهات الإدارة الأمريكية الجديدة تتحدد بالتوجه إلى تخفيف التوتر في الصراع العربي . الصهيوني مع الإبقاء على تفوّق الكيان الصهيوني العسكري الساحق، لاعتقادها أن هذا التفوّق يردع العرب عن التفكير بالحرب كوسيلة للتسوية.

لكن هذا التفوق لم يمنع العرب من المقاومة وبأساليب مختلفة، ففي منتصف عام ١٩٦٩ كانت حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية تتزايد بسرعة وبفاعلية عسكرية ضد قوات الاحتلال الصهيونية عن طريق العمليات الفدائية، وبخاصة بعد قيام "إسرائيل" بحرق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩، وفي وقت ازدادت فيه القاعدة الشعبية لهذه الحركة عمقاً وتوسعاً، وكانت تجري خلاله حرب الاستنزاف على أشدها بين دول المواجهة العربية والكيان الصهيوني وبخاصة على الجبهتين السورية . البعثية والمصرية . الناصرية كنماذج نضالية حقيقية. فكان أن تحركت الدبلوماسية الأمريكية لوضع حدّ لهذه الأوضاع التي ألحقت الأذى بالكيان الصهيوني وأضررت باقتصاده إلى درجة كبيرة، وأبرزت ضرورة تحقيق تسوية ما لصالحه، فبدأت تلك الإدارة بطرح مشروعها السلمي، مشروع روجرز.

سمي المشروع باسم وزير الخارجية الأمريكي ولیم روجرز (Rogers)، الذي لخص في ١٩٦٩/١٢/٩ مشروعه بقوله: "إنه يدعو إلى انسحاب الكيان الصهيوني من أراضٍ عربية احتلت

^{٤٧} - انظر التفاصيل: في بهلوان وصالح، مرجع سابق، ص ٤٣٦ - ٤٤٢.

في حزيران عام ١٩٦٧ مقابل ضمانات عربية والوصول إلى التزام مبرم بالسلام"، أي ليس من كل الأراضي. فكانت المبادرة الأولى لمشروع روجرز في ١٠/٢٨ / ١٩٦٩. ورفضها العرب، وكذلك رفضها الاتحاد السوفييتي لأنها جاءت متحيزة لصالح الكيان الصهيوني تماماً، مطالباً بإجراء تعديلات عليها سرعان ما رفضت من الطرف الصهيوني، لأنها تتضمن عروبة غزة وعودة اللاجئين وغيرها، فجمّدت المبادرة الأولى لهذا المشروع الأمريكي حتى ١٩٧٠/٦/٢٥، حين أعلن روجرز مبادرته الثانية.

وافق ممثلو الدول الأربع الكبرى في مجلس الأمن الدولي، باستثناء الصين، على هذه المبادرة. وفي ٨/٧ / ١٩٧٠ تمّ الإعلان في واشنطن عن قبولها من قبل الجمهورية العربية المتحدة والأردن والكيان الصهيوني والموافقة على وقف إطلاق النار لمدة تسعين يوماً عملاً بمقتضياتها. في حين رفضتها سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بشكل قاطع وعدّها مؤامرة أمريكية. "إسرائيلية" لتصفية القضية الفلسطينية لصالح "إسرائيل". وكان أن برز الانقسام الواضح في الساحة العربية والذي أسس لمزيد من الانقسامات التي مازالت تعاني منها الأمة العربية حتى الآن. لكن، ولطمع الكيان الصهيوني في تسوية منفردة مع مصر وفي الحصول على تنازلات عربية أكثر، عمل على تعطيل المحادثات في ١٩٧٠/٩/٦.

والحقيقة أنّ توقع الموت القريب للرئيس عبد الناصر في مصر الذي قتل بالسمّ، والذي كان يرفض الحلول الانفرادية والتفريط بالحقوق العربية، وكذلك الحرب الأهلية التي كانت على وشك أن تندلع على الساحة الأردنية، جعلها تأمل بمتغيرات فيهما لصالحها، وعلى مبدأ نيكسون المعروف آنذاك: "اقتل الفيتنامي بالفيتنامي، اقتل الآسيوي بالآسيوي، اقتل العربي بالعربي"^{٤٨}. وكانت الإدارة الأمريكية قد أعطت إلى الأردن الضوء الأخضر لتصفية العمل الفدائي والقضاء على الأرضية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعدما أصبحت مصدر قلق كبير للقيادة العسكرية الصهيونية، وهذا ما جعل العمل الفدائي ينتقل بنشاطه إلى لبنان.

وباستعراض سريع للمشروع الأمريكي يظهر بوضوح أنه لم يكن مشروعاً يمكن أن يؤدي إلى إحلال السلام العادل والدائم في المنطقة، ولم يكن أكثر من محاولة أمريكية -صهيونية مدروسة ومتكاملة لتحقيق مصالح الصهيونية آنذاك في وقف حرب الاستنزاف أولاً، وفي محاولة تغيير الخارطة السياسية العربية وضرب الصف العربي بالشكل الذي يؤدي في النهاية إلى خدمتها. لم يكن المشروع في نصه ومضمونه يتوافق وقرارات الشرعية الدولية، فإن دراسته ومقارنته بقرار

(- بهلوان وصالح، مرجع سابق، ص ٤٤٥. ٤٨)

مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ تبين أنه يختلف في الكثير من الأمور والقضايا الجوهرية وأهمها مضمون مشروع روجرز الثاني:

١. قرار رقم ٢٤٢ هو حلّ شامل لكل الأطراف المعنية بالنزاع وبالأراضي المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧، بينما جزأ روجرز في مشروعه موضوع النزاع إلى ثلاثة مواضيع منفصلة: النزاع المصري . "الإسرائيلي" والنزاع الأردني . "الإسرائيلي" والنزاع السوري . "الإسرائيلي"، وأبقى قضية اللاجئين الفلسطينيين موضوعاً مستقلاً تشترك في حلّه فيما بعد أطراف النزاع دون أن يتطرق بكلمة واحدة إلى منظمة التحرير الفلسطينية التي تقود نضال الشعب الفلسطيني. وقد تناول المشروع الموضوعين الأول والثاني في حين تجاوز الموضوع الثالث الخاص بسوريا. ومن هنا نلاحظ أن المشروع قد جاء تطبيقاً لسياسة كيسينجر (Kissinger) "الخطوة خطوة"^{٤٩} أي التعامل مع كلّ طرف عربي من أطراف الصراع بشكل منفرد، والتي ستتوضح أكثر فأكثر في محاولات التسوية بعد انتصار تشرين ١٩٧٣ كما سنرى.

٢. شجبت قرارات الأمم المتحدة أي تغيير في وضع مدينة القدس، والقرار رقم ٢٤٢ يطالب بالانسحاب "الإسرائيلي" منها، بينما ينصّ مشروع روجرز على أن تقوم الأردن والكيان الصهيوني بالتفاوض والتوصل إلى اتفاق حول وضعها وحول الترتيبات النهائية للحدود البلدية المتعلقة بالمدينة الموحدة.

وهكذا لم يتعدّ مشروع روجرز حدود المناورات السياسية المضللة، من أجل كسب الوقت وإعطاء "إسرائيل" الفرصة لكي تدعم مركزها وتكرس وجودها في الأراضي العربية المحتلة أكثر فأكثر. وكان وما زال غياب المصادقية الأمريكية في التسوية العادلة الجدية للصراع العربي الصهيوني، ومنه زيف موقفها من تنفيذ القرار ٢٤٢، أحد أهم الأسباب في فشل كلّ مشاريع هذه التسوية، والتي استغلّتها الولايات المتحدة الأمريكية لصالحها بالدرجة الأولى، حيث استخدمت قضية استرجاع الأراضي العربية المحتلة كورقة ضغط لفرض هيمنتها على المنطقة، ولصالح حليفها الكيان الصهيوني بالدرجة الثانية، متخذةً من إبعاد الاتحاد السوفييتي عن المنطقة وتصفية المنجزات الاجتماعية والسياسية للحركة القومية العربية هدفاً. وما نجحت فيه هذه المشاريع كان تحقيق بعض الخطوات في ضرب التضامن العربي. ولكن وبالمقابل تصاعدت حركة المقاومة الفلسطينية بدعم من مصر الناصرية، ومن سوريا وبخاصة بعد قيام الحركة التصحيحية في عام ١٩٧٠.

⁴⁹ - (Cf. "Can it really peace?" (The Economist, U.S.A., September 18th-24th, 1993, pp. 23-27).

ثانياً). موجز عن التطور التاريخي لسوريا ولبنان ولللاقات السياسية بينهما حتى عام ١٩٧٠: عناصر التقارب وعناصر التباعد:

استمر لبنان كجزء من سوريا منذ العصور القديمة حتى الاحتلال الفرنسي وقيام الجنرال غورو في ١ أيلول ١٩٢٠ بإعلان تقسيمها إلى دول عدة، ومنها دولة لبنان الكبير، وعلى أساس إضافة المناطق التي أخذت منها إلى المنطقة التي عرفت تاريخياً بمصرفية جبل لبنان أثناء الحكم العثماني، ومنها بيروت التي أعلنت كعاصمة لها.

وعليه فمن الطبيعي تقسيم هذا الموجز للتطور التاريخي لسوريا ولبنان ولللاقات بينهما حتى عام ١٩٧٠، إلى قسمين: الأول الممتد حتى تشكيل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ والذي سنقدمه بإيجاز شديد، والثاني الممتد حتى قيام الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ والذي سنقدمه بشيء من التفصيل، بسبب تعلقه بأحداث الفترة الزمنية الممتدة فيما قبل المرحلة الزمنية المعنية بالبحث، والتي تشكّل قاعدة انطلاق أحداثها المحورية.

قبل البدء أجد من الضروري التذكير بأمر مهم هو أنّ الحديث عن المضمون الجغرافي . السياسي لتسمية سوريا في العصور القديمة وبقية المراحل هو من موقع التاريخ وحقائقه الموثقة فيها، وليس من موقع السياسة لحدود سوريا ولحدود دولها التي قسمت إليها وفق مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وتداعياته، ومنها دولة لبنان الكبير، والتي هي محددة اليوم بشرعية دولية وعربية معاً، ومحترمة من كلّ الأطراف المعنية.

١ . موجز عن التطور التاريخي لسوريا، ولبنان كجزء منها، حتى الانفصال وتشكل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠: عناصر التقارب والتباعد:

أ . سوريا ولبنان: وحدة التسمية والتميّز، ووحدة الشعب والتاريخ:

العامل الأول من عوامل التقارب والوحدة بين سوريا ولبنان سنستنتجه من خلال تعرفنا على أصول تسميتهما. جاءت تسمية سوريا نسبةً إلى أحد الأجداد السريان القدماء المسمى "سري" أو سار أو "سر"⁵٠، أي السيد في السريانية⁵١. ويلاحظ نقرّد سوريا بالوجود العريق والأقدم لتسميتهما، وبورودها بحروفها الأصلية الصريحة "سوريا"، أو القريبة جداً منها مثل سوري أو شوري أو سيري

(- اسم "سر" هو قبل إضافة الأحرف الصوتية (ا،و،ي)، التي لم تكن موجودة في السريانية، وبعد إضافتها إليه تبرز تسمية "سوريا".⁵⁰ CANNUYER C.k. راجع أحمد داوود، تاريخ سوريا الحضاري-٢، دار الشرق، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢٥. ولوجهة نظر أخرى انظر "A Propos de L'origine du Nom de la Syrie" (Journal of Near Eastern Studies, vol. 43, no.3

(- راجع أي معجم سرياني. انظر على سبيل المثال: أوجين غنا يعقوب: قاموس كلداني - عربي، أعاد طبعه مع ملحق جديد روفائيل⁵¹ بيدويد، منشورات مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥.

أو سريان أو سري أو سر إلخ... ورد ذكرها في الألف الثاني ق.م في وثيقة مصرية متعلقة بقصيدة شعرية شهيرة ورائعة للملك المصري إخناتون^{٥٢}، وفي وثائق أوغاريت^{٥٣}.

أما معنى لبنان، الذي كان جزءاً من سوريا القديمة، فهو مشتق وفق رأيٍ حتّي، وهو غير دقيق، "من كلمة "لبن" ومعناها البياض، بياض اللبن" وذلك لأن الثلج يغطي قممه العالية حوالي ستة أشهر^{٥٤}. أما الرأي الأصح فهو مشتق من الكلمة العربية السريانية "لِبان" وجمعها "لِبْنَن"، وهي اللبان أو الكندر أو الصنوبر^{٥٥}، والمعنى نفسه بالعربية الفصحى^{٥٦}، إشارة إلى أن جبل لبنان كان مغطى بكامله بالأشجار من فصيلة الصنوبريات.

يلاحظ كيف أن المعنى اللغوي السرياني العربي لكل من تسمية سوريا وتسمية لبنان يشير إلى الهوية السريانية العربية الواحدة لسكانهما والتي هي الأقدم على المستوى العالمي، من حيث كون سوريا، ومنها لبنان، مهد الإنسان والحضارة^{٥٧}. يجري التأكيد على هذه الحقيقة بناءً على خمسة معطيات تاريخية مترابطة ومثبتة:

الأول تفردهما بكون إنسان نياندرتال (Neanderthal) فيها، منذ أكثر من مئة ألف سنة، هو "الذي انتقل فيزيولوجياً وحضارياً نحو الإنسان العاقل، الجدّ المباشر للإنسان الحالي وصانع الحضارة بمعناها الشامل"^{٥٨}.

والثاني هو ارتباطها بالسريان الذين تؤكد المصادر الغربية المعنية على "أنهم أقدم من في الخليقة"^{٥٩}، وبأهل الشام الذين يؤكد المؤرخ ابن خلدون أنهم، ومعهم أهل العراق ومصر، "لم يكن على وجه الأرض أحضر منهم"^{٦٠}، أي أكثر حضارة.

(- ول ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، ١٩٧١، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ١٧٢.

⁵³ - (Cf. GORDON C.H., Ugarite Handbook, Rome, 1948, p. 142.

(- حتّي فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، ط. ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٤ - ١٦.

(- انظر قاموس كلداني . عربي... مصدر سابق.⁵⁵

(- راجع قاموس محيط المحيط.⁵⁶

^{٥٧} (هذا مضمون المنطلق الأول الذي ذكرناه في المقدمة حول قناعتنا بأن النظرة المنهجية العلمية الصحيحة للتاريخ هي التي تؤمن بغائيته، وبقوانين جدلية حركته وأحداثه، وبوحدة أبعاده، وتستوعب بالتالي استمرارية وجدلية حركة التطور التاريخي من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل، مما يفسر حرصي على الربط ما بين الأحداث التاريخية المتعلقة بالعلاقات السورية - اللبنانية في المرحلة التاريخية المعنية والممتدة ما بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩)، وبين المرحلة التاريخية السابقة لها عبر التاريخ، لمعرفة واستيعاب العامل المحوري في هذه العلاقات وهو عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرقة والتباعد بين سوريا ولبنان.

(- محيسن، مرجع سابق، ص ٦١.

تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، المجلد الأول، ص ١٣٤.⁵⁹

(- المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص ٦٥٨.⁶⁰

والثالث هو ارتباط سوريا بكلّ الثقافات الأولى لعصر البرونز القديم مما يبرر تسميته من قبل البعض "بالعصر السوري الأول"^{٦١}.

والمعطى الرابع هو ارتباط سوريا بأقدم لغة، وهي اللغة العربية في لهجتها السريانية الأكادية، لغة البشرية الأم والأقدم^{٦٢}، لغة موسى والمسيح عليهما السلام، والتي عدّها العالم اللاهوتي بوستل (Postel) أصلاً للغتين الإغريقية واللاتينية^{٦٣}. والمعطى الخامس ارتباط سوريا بأقدم كتابة قد تكون عاصرت الوركاء أو أقدم منها^{٦٤}، وارتباطها بأقدم وأول أبجدية حرفية في العالم، وهي أبجدية أوغاريت.

كان من الطبيعي أن تتكون في المركز المشرقي العربي القديم، ومنه سوريا وضمنها لبنان، كل مظاهر التمدن الأولى، ومنها تشكل الدول التي ارتبط ظهورها بظهور الملكية الخاصة لأدوات الإنتاج والسيادة على الأرض، والتي تطورت على أسس طبيعية وبشرية واقتصادية متداخلة ومعقدة ليس من السهل الفصل بينها^{٦٥}، متخذة أشكالاً مختلفة حسب درجة تطور تجمعاتها البشرية المستقرة والمالكة لأرض ما، من دول الأفراد إلى دول العشائر، فدول القبائل، ثم دول المدن أو الحاضرات، وبعدها دول الشعوب، فدول الأمم، ثم الإمبراطوريات، والتي تعايشت فيها جميعاً أنماط الإنتاج المتعددة، المشاعي والعبودي والإقطاعي والرأسمالي، بمعطيات متداخلة ومتمايزة في آن واحد، تعكس بوضوح شديد خصوصياتها القديمة الحضارية

^{٦١} - انظر سلطان محيسن، آثار الوطن العربي القديم، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٩، ص ١٢٠.
^{٦٢} - يؤكد كثير من الباحثين المختصين على أن الأكادية (أي السريانية الشرقية) هي اللهجة الأقدم للعربية الأم. انظر على سبيل المثال: بحث الندوة العالمية حول تاريخ سورية والشرق الأدنى، منشورات جامعة حلب، ص ٩٠، وعبد الله، مقدمة في علم الأكاديات...، ص ٧٦، وعلي فهمي خشيم، "نحو دراسة علمية للتاريخ العربي القديم" (مجلة الوحدة، الرباط، العدد ٤٢، آذار ١٩٨٨، ص ٧٤-٨٦). الروايات الدينية والمصادر العربية القديمة بينت أن لغة آدم في الجنة كانت العربية العبرية العبراء، لغة القرآن الكريم، وأنها أصبحت بعد نزوله منها العربية السريانية (راجع مؤلفات الطبري والمسعودي المعنية). ويؤكد كثيرون أيضاً على أن العربية الأكادية السريانية كانت اللغة الأم لجميع أقوام الشرق العربي القديم بمن فيهم المصريون. انظر عبد الحميد محمود، "العربية في اللغة المصرية القديمة" (مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١٢، عدد ١ و ٢، ص ١٥٣-١٨٠).
وحول أن العربية هي أصل اللغات جميعها انظر بحث البوريني عبد الرحمن، "لغات العالم لهجات من العربية" (مجلة النور، مصر، العدد ٧٣، ص ٤٤-٤٧) وكذلك كتاب إسماعيل فتحية المتخصصة في علم اللغات، بعنوان: اللغة العربية أصل اللغات، القاهرة، و الجنابي نبيل، "اللغة الإنجليزية أصلها اللغة العربية" (جريدة العرب اليوم، عدد ٤٠٦، ١٩٩٠)، و:

BAUGH Albert C. and CABLE Thomas, History of the English Language, London, 1980.

وما تقدم يفسر الغنى الفريد والواسع للعربية، بفرق عن بقية لغات العالم قدره ١٥٠٠٠ جذر أو فعل ثلاثي، هو فرق عراقية القدم التاريخي منذ آدم الإنسان العاقل الأول وحتى اليوم. وهذا ما يسقط النظرية السامية- الحامية - الياقثية العرقية "الزائفة" حسب تعبير روسي، من حيث أنه لا يمكن لسام وحام وياقث، وهم الإخوة الذين تربوا معاً، إلا أن يتكلموا لغة أبيهم نوح وجدهم آدم، والتي هي العربية السريانية الأكادية، "اللغة العروبية الأولى" (فرزت محمد حرب ومرعي عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠، ص ٦٠). وحول زيف النظرية السامية راجع:

A.MONTAGU and E.DARLING, Is that a Fact? A Falcon Book, Noble and Noble, New-York, U.S.A. p.104-105; Maurice Meuleau, Le Monde Antique, Bordas, Paris, 65, P. 80.

و فرح نعيم، النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب، دار حسان، ١٩٩٣.

Postel W., Les Origines des Langues, Paris, 1539.

^{٦٣} - وتوفيق سليمان، نقد النظرية السامية، دار دمشق، ١٩٨٢، ص ٣٦.

^{٦٤} - هذا ما دلت عليه اكتشافات تل براك وعرودة وتل قناص: انظر دليل الآثار السورية، ترجمه عن الألمانية نايف بلوز، ونشرته مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر في فيينا، ١٩٨٥، و سلطان محيسن، "سورية في عصور ما قبل التاريخ" (دراسات تاريخية، عدد ٢٥ و ٢٦، آذار-حزيران ١٩٨٧، ص ١٣١-١٦٤)، ص ١٥٣ و ١٦٣.

^{٦٥} - عمر باشا صلاح الدين، وباغ أديب: المدخل لدراسة الجغرافية البشرية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٦٥، ص ٢٧٩-٢٨٣.

بشتى عطاءاتها التراكمية والتحولية، بعيداً تماماً عن مواصفات ما دعي بأسلوب الإنتاج الآسيوي^{٦٦}، فهي متداخلة من حيث تعدد الأنشطة الاقتصادية لصاحب رأس المال، كأن يكون إقطاعياً ونبيلاً وتاجراً وحرفياً وصناعياً ومصرفياً في آن واحد، ومتميزة من حيث وجود سمات إنتاجية بينة تفصل وتميّز كل نمط عن الآخر^{٦٧}.

بعد التطور الكمي والنوعي لجميع الخصوصيات والدول، وبخاصة بعد ظهور العلاقات الدولية والسوق التجارية العالمية، تشكل أول نظام عالمي لتنظيم وإدارة هذه السوق وطرقها ومراكزها ومؤسساتها على صعيد كل البلدان، هو النظام العربي . الإيماري . العالمي كما رأينا. وأصبح الصراع على الهيمنة على هذا النظام هو محور الصراع الدولي الأساس بين المصالح المتنافرة المتنافسة بين الشرق والغرب.

إن هيمنة السورين، ومنهم الكنعانيون ومن ضمنهم الفينيقيون، على المركز في النظام العربي العالمي في العصور القديمة يعود إلى تعاظم قوتهم الحضارية عموماً والاقتصادية خصوصاً، حسبما تدل عليه آثارهم المكتشفة في اليابان شرقاً وفي أمريكا غرباً، والتي تعني اكتشافهم لها قبل كولومبس (columbus) بآلاف السنين، تماماً كما يعني حديث هيرودوت (Herodotus) عن دورانهم السنوي حول رأس الرجاء الصالح واكتشافهم له منذ مئات السنين قبل البرتغاليين^{٦٨}. يؤكد ذلك حديث سترابون (Strabo) عن "سيطرتهم بدون مزاحم على بحار العالم"^{٦٩}، وتأكيده ديورانت (Durant) على أنهم "قد ربطوا الشرق والغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوروبا من براثن الهمجية"^{٧٠}.

وإنّ تعاظم القوة الحضارية عموماً والاقتصادية خصوصاً لدى السورين، في العصور الوسطى يفسر هيمنتهم على المركز في النظام العربي . الإسلامي . العالمي في هذه العصور. وكان أن استمرت بلاد الشام، ومنها لبنان، وبفضل أهلها من الخليط السرياني . الجزيري العربي المتميز، في إنجاز رسالتها التمدينية الحضارية التعليمية القديمة، في إطار رسالة أمتها ودولتها العربية . الإسلامية في العصور الوسطى في ظلّ الأمويين والعباسيين والفاطميين.

لقد واصل هذا النظام العربي . الإسلامي . العالمي كلّ مساعي العولمة التمدينية في فعلها الإيماري الذي حمل إلى العالم كلّ جميع مستجدات عناصر حضارته العربية . الإسلامية،

^{٦٦} - راجع محمد، الواقع الاجتماعي القديم ...، مرجع سابق، ص ٧٩ - ٩٧ .

^{٦٧}

COLLING, op. cit.

^{٦٨} - (Herodotus, bk. VI, Ch. 42).

^{٦٩} - (Strabo, no. XV11).

^{٧٠} - ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى...، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٣١٣.

بالإضافة إلى معطيات حضارته القديمة، زراعة وصناعة وتجارة ووسائل نقل وريّ وأنشطة مصرفية، وعلومًا وفنونًا وآدابًا وديانات، وقوانين ونظمًا سياسية واقتصادية ونقابية وديمقراطية ومجتمعًا مدنيًا وفلسفة وغيرها، والتي شكّلت أسس ومعظم معطيات النهضة في الغرب كما رأينا. وكان من جملة ما قامت به سوريا في بداية هذه العصور القيام بدور الوساطة الحضارية بين القديم والجديد، بين الشرق والغرب، على المستوى العالمي عمومًا، وعلى المستوى العربي على وجه الخصوص، فكانت بمثابة الأم التي حرصت أن تزود أبناءها بكل أدوات ومستلزمات القوة والتطور والتقدم والمعرفة والوحدة، ناقله إلى العرب المعطيات الحضارية لكل من فروعهم إلى الآخر في تفاعلها مع خصوصية غيرهم من الشعوب و الأمم شرقًا وغربًا، والتي نقدر إسهاماتها جميعاً في الحضارة الإنسانية.

لقد رأينا كيف أدّت غزوات الفرنجة الهمجية من الغرب، والغزوات المغولية الهمجية المستمرة من الشرق، إلى تصاعد الانحدار العربي الذاتي، وأدّت بالتالي إلى زعزعة النظام العربي . الإسلامي . العالمي. إلا أنه مع ذلك، ونظراً للفروق الحضارية الشاسعة التي كانت ما بين مستوى تقدم أصحابه، من السوريين والعرب عمومًا، وما بين مستوى تخلف معظم بقية دول العالم، طبعاً بنسب وصيغ مختلفة، وبخاصة في الغرب، فقد حافظ على وجوده الفاعل حتى المتغيرات العالمية في التاريخ الحديث التي كنا قد تعرفنا عليها وعلى نتائجها في انهيار هذا النظام الإعماري لصالح سيطرة النظام العالمي الغربي الاستعماري وانتقال العرب ككل ومنهم السوريون ومن ضمنهم اللبنانيون، من موقع التقدم إلى موقع التخلف.

بناءً على كلّ ما تقدم، إنّ وحدة التاريخ العربي التي رأيناها والتي عكست واقع وحدة الأمة العربية على كلّ المستويات، قد شكّلت في آن واحد، وما تزال تشكّل، عاملاً ومظهراً أساسياً لهذه الوحدة عمومًا، وللوحدة السورية . اللبنانية خصوصاً. وكما أسهم واقع القوة والازدهار والتقدم العربي، والدور السوري ومنه اللبناني فيه، في عولمة معطيات الحضارة وتمدين العالم، وبالتالي في تعميق وخصوصية هذه الوحدة، فكذلك الأمر بالنسبة لواقع معاناة الضعف والانحدار والتخلف، الذي تصاعد في ظلّ الاحتلال العثماني الذي استمرّ في سوريا . الشام حوالي أربعة قرون (١٥١٦ . ١٩١٨)، والذي شهد تنامي تأثير تآمر القوى الأوروبية وبخاصة البريطانية والفرنسية، إن غير المباشر من خلال الامتيازات، أو المباشر من خلال الاحتلال لمعظم بلدان الوطن العربي، أو التدخّل في شؤون الداخل العربي بما يضمن تنامي تخلفه وضعفه وتفرقته وتجزئته، وصولاً، بالنسبة لسوريا والعراق، إلى تآمر سايكس . بيكو عام ١٩١٦ ومؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ والاحتلال البريطاني للعراق وفلسطين مقابل الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان. ولا شك أنّ الشعور بالخطر الخارجي المتمثل بهذا الاحتلال قد شكّل عاملاً هاماً في إدراك الوطنيين

فيهما لضرورة وحدتهما، ومع ذلك فقد تمّ الانقسام الداخلي حول الموقف السياسي من هذا الاحتلال، بين أكثرية مناضلة ضده وبين قلة عميلة له.

ومن الضروري التأكيد هنا على حقيقة هامة، وهي أنّ الانقسام في الداخل العربي عموماً، ومنه الداخل السوري واللبناني، منذ بدأ التدخل الخارجي فيه منذ العصور القديمة حتى اليوم، كان سياسياً بالدرجة الأولى، مع الوطن والعروبة أو مع أعدائهما، بغض النظر عن الدين والمذهب والأصول. وهذا ما ينطبق على الجميع، من مسلمين، ومسيحيين بمن فيهم الموارنة، وغيرهم. تأثر هذا الانقسام السياسي في الوطن العربي، ومنه سوريا ولبنان، بمدى مشاعر الانتماء إلى الوطن والأمة بمضمونها الإنساني الحضاري غير العرقي الذي رأيناه، والمعرّز بوحدة التاريخ والدور الحضاري العالمي الفاعل واللغة والثقافة والمصلحة على كلّ صعيد، دون أن ننسى تأثير المضمون الجغرافي . السياسي في تعزيز هذا الانتماء، فماذا عنه؟

ب . سوريا ولبنان: المضمون الجغرافي . السياسي:

تأتي أهمية الحديث عن المضمون الجغرافي . السياسي لسوريا ولبنان من حيث ارتباطه بعلم مهم في العلاقات الدولية، الثنائية أو الأكثر اتساعاً، وهو علم "الجغرافيا . السياسية" الذي يبحث في تأثير الجغرافيا على السياسة، أي تحديد الكيفية التي يتمّ من خلالها تأثير المساحة والتضاريس والمناخ على أحوال الناس والدول وعلاقاتها، من جهة، والكيفية التي يتمّ من خلالها تأثير السياسة على الجغرافيا، من جهة أخرى، فهناك الكثير من القرارات السياسية التي كان لها نتائج محورية في مناطق كثيرة من العالم، كشق قناة السويس مثلاً، وكتجزئة البلدان ومنها تجزئة سوريا إلى أربعة دول، سوريا الحالية ولبنان وفلسطين والأردن.

ولنتذكر أنّ التجزئة لا تهدف إلى مجرد رسم حدود جغرافية لكيانات سياسية، وإنما إلى تحطيم التواصل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين السكان أيضاً، وبالتالي إلى تكريس عامل الفرقة والضعف على حساب عوامل الوحدة والقوة. والحديث المذكور للمضمون الجغرافي . السياسي لسوريا ولبنان يجب أن يتمّ بالضرورة من خلال بعده التاريخي، بهدف فهم معطياته وموقعها من عوامل الوحدة أو الفرقة في علاقات سوريا ولبنان اليوم^{٧١}.

أطلق بعض قدماء اليونان تسمية "سيري" (Syri) على بلاد بابل وأرمينيا وبعض بلاد فارس، بالإضافة إلى سوريا الطبيعية بالطبع، أي كلّ البلدان الناطقة بالسريانية في شرقي البحر

^{٧١} (هذا مضمون المنطلق الأول الذي ذكرناه في المقدمة حول قناعتنا بأن النظرة المنهجية العلمية الصحيحة للتاريخ هي التي تؤمن بغائيته، ويقوانين جدلية حركته وأحداثه، وبوحدة أبعاده، وتستوعب بالتالي استمرارية وجدلية حركة التطور التاريخي من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل، مما يفسّر حرصنا على الربط ما بين الأحداث التاريخية المتعلقة بالعلاقات السورية - اللبنانية في المرحلة التاريخية المعنية والممتدة ما بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩)، وبين المرحلة التاريخية السابقة لها عبر التاريخ، لمعرفة واستيعاب العامل المحوري في هذه العلاقات وهو عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرقة والتباعد بين سوريا ولبنان.

المتوسط. وكان اسم سيروس (SyruS)، أي سوري، يعني عند الرومان كل شخص يتكلم السريانية. وكان البيزنطيون يدعون البلاد الضامة للشام والعراق بعد الإسلام بسوريا، بينما كان الفرس يدعونها بسورستان. وإن تسمية سوري (Syrian) كمصطلح ديني، بعد ظهور المسيحية، كانت تشير إلى أتباع الكنيسة السورية أو السريانية^{٧٢}.

وبشكل عام فقد كانت الحدود السياسية لسوريا، حسب تعبير المؤرخ المعروف يوسف الدبس: " تنبسط تارة، وتضيق أخرى، بحسب تقلب الأنام والدول فيها، فكانت تشمل أحياناً ما بين النهرين وأرمينيا وبعض آسيا الصغرى وبعض بلاد العرب، وتضيق أحياناً عن هذه التخوم"^{٧٣}، حسب المتغيرات التاريخية وانعكاساتها عليها. لقد اتسعت بحيث أصبح هيرودوت يستخدم تسمية آسيا كدلالة عليها^{٧٤}. وامتدت حدودها في "المملكة السورية" في عهد سلوقس (Seleucus) من المتوسط إلى نهر السند في الهند^{٧٥}. واتسعت جنوباً لتصل إلى حدود اليمن ومصر عند سترابو^{٧٦}. بعد ذلك تحولت إلى سوريا الطبيعية، ثم إلى سوريا. بلاد الشام في ظل الدولة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، والتي كانت ممتدة من طوروس إلى مصر، ومن العراق إلى المتوسط، وبعدها إلى حدود سوريا اليوم، المحصورة بين تركيا شمالاً، والأردن وفلسطين المحتلة جنوباً، ولبنان والبحر المتوسط غرباً، والعراق شرقاً. هي حدود حديثة رسمتها التجزئة الاستعمارية.

أقول كل ذلك لبيان أن لبنان بمضمونه الجغرافي. السياسي اليوم كان دائماً، قبل تشكل دولته المستقلة عام ١٩٢٠، جزءاً من سوريا الطبيعية، مما يفسر وحدة الشعب فيهما بكل مكوناته العربية. السريانية قبل الإسلام، وبكل مكوناته العربية. الإسلامية بعده وحتى اليوم. ولقد شكّل هذا المضمون بالتالي أحد العوامل الأساس لوحدة البلدين.

إن سوريا ولبنان يحتلان موقعاً استراتيجياً مهماً على البحر المتوسط، مما يمنحهما إمكانات كبرى للتجارة والتواصل الثقافي والحضاري. وعلى صعيد الثروات فهما يتمتعان بثروات طبيعية ومائية وتاريخية وأثرية مهمة. والدولتان جارتان جغرافياً وتشكل كل واحدة منهما عمقاً للأخرى

^{٧٢} - حول المضمون الجغرافي لكل المسميات المذكورة لسوريا راجع: يوسف الدبس، تاريخ سوريا، المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣، الجزء الأول، ص ١٢-٢، وحتى فيليب في كتابه: تاريخ سوريا، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٣ و ٣٨٣، ومحمد نجاح، "سوريا وصيرورة حدودها السياسية" (مجلة جامعة دمشق، العدد الرابع، ٢٠٠٠، ص ١١٩-١٦٣).

^{٧٣} - الدبس، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٧٣.٢

^{٧٤} - هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم، ص ٨٣ و ٩١ و ٩٦ إلخ...

^{٧٥} - حتى، تاريخ سوريا...، مرجع سابق، ص ٢٦٠، ويوسف الدبس، من تاريخ سوريا الدنيوي والديني، بيروت، الجزء الثاني، المجلد الأول، ص ١٠٠.

^{٧٦} - (Strabo , no. XV1).

وبعداً بنواح شتى. فإذا كانت سوريا تشكل بالنسبة للبنان عمقاً استراتيجياً وتاريخياً وقومياً وسياسياً واقتصادياً وسنداً عسكرياً، فإن لبنان، بموقعه وطبيعته أرضه والتصاقه بأكثر المناطق أهمية في سوريا، يشكل أهمية جغرافية سياسية واقتصادية وثقافية. وأهم ما يربط البلدين هو حدودهما المشتركة مع فلسطين المحتلة من قبل الكيان الصهيوني، الذي يشكل عدواً " مشتركاً" ومصدر تهديد مستمرٍ لهما، مما يفسر موقعهما الهام في الصراع العربي . الصهيوني.

إن سهولة الوصول إلى الدولة يختلف بين البلدين، ففي حين أن حدود لبنان مفتوحة غرباً "باتجاه البحر ومقفلة جنوباً بسبب وجود الكيان الصهيوني ومحصورة شرقاً وشمالاً بسوريا فقط، نجد أن لسوريا حدوداً مع العديد من الدول، حيث يحدها من الشمال تركيا، ومن الشرق العراق، ومن الجنوب الأردن وفلسطين المحتلة، ومن الغرب البحر المتوسط ولبنان، وحيث يبلغ طول الحدود السورية . اللبنانية ٣٥٩ كم، وهذا ما يمنحها حرية الخيارات المفتوحة، ويظهر حاجة لبنان الشديدة والدائمة لعلاقات سليمة وقوية معها. وكلّ ما تقدم يفسر ما ذكرته حول إسهام المضمون الجغرافي . السياسي لسوريا ولبنان في وحدتهما، لكن ماذا عن عوامل الفرقة بينهما؟

في تاريخ العرب الحديث والمعاصر الذي شهد تبعية سوريا . بلاد الشام إلى الدولة العثمانية كان المضمون الجغرافي . السياسي لما دعي بـ"لبنان" محصوراً بمنطقة "جبل لبنان" والذي كان كجزء من سوريا معظم عصور حكم هذه الدولة. كانت أبرز محطاته في هذه العصور هي الآتية: تبع بداية إلى ما دعي بولاية الشام أي دمشق . الشام، ثم ولاية عربستان الضامة لكل سوريا . الشام وبعدها ولاية الشام في فترة الحكم المصري الذي استمر بين عامي ١٨٣١ و ١٨٤٠. وبعده، وإثر اضطرابات كثيرة امتدت حتى عام ١٨٦٠، أصبح جبل لبنان متصرفية تابعة مباشرة إلى المركز السلطاني العثماني، ومتمتعة بشبه إدارة ذاتية كانت إسمية بسبب التدخل الخارجي العثماني والأوروبي، وبخاصة البريطاني والروسي والفرنسي.

والحال نفسه بعد بروتوكول ٩ حزيران ١٨٦١، إثر أحداث الحرب الأهلية فيه بين الدروز والموارنة عام ١٨٦٠، والذي عدّه "دولة" وصفها بأنها "ذات حكم ذاتي مستقل عن بلاد الشام"^{٧٧}. ثمّ كان دستور ١٨٦٤ الذي منحه "نظاماً حوى أصول ديمقراطية الطائفة على أساس التمثيل السياسي الاجتماعي ضمن شروط الطائفة." والعنصر الأبرز في هذا النظام هو أنّه فرض على اللبنانيين من قبل القوتين النافذتين، الحكم العثماني والمصالح الغربية، ولم يراع الحاجات

(- انظر بشور أمل ميخائيل: سوريا ولبنان في عصر الإصلاح العثماني، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٠. ٧٧)

والعادات المحلية^{٧٨}. ولقد شكّل هذا الدستور وتعديلاته المستمرة حتى عام ١٩١٢ أسس النظام الطائفي اللبناني^{٧٩}.

صحيح أنّ القوتين الاستعماريّتين العظميين آنذاك، بريطانيا وفرنسا، قد أسهمتتا إلى حدّ كبير، وبخاصة من خلال الامتيازات التي حصلوا عليها من الدولة العثمانية فيما يخصّ ما دعي بحماية الأقليات، في إيجاد ودعم هذا النظام الطائفي اللبناني، لكن الدور الرئيس كان لفرنسا التي حصلت من خلال هذه الامتيازات بين عامي ١٦٣٥ و ١٧٣٧ على الاعتراف العثماني الرسمي بكونها حامية المسيحيين بوجه عام والكاثوليك بوجه خاص، وكان الموارنة من هؤلاء الكاثوليك الذين تمتعوا بهذه الحماية وبخاصة منذ عام ١٧٣٧^{٨٠}. وإذا كانت هذه الامتيازات وما ارتبط بها من حمايات غربية لما دعي بـ"الأقليات" العامل الأساس الأول في الفرقة، ليس على مستوى العلاقات السورية اللبنانية فقط، وإنما على مستوى العلاقات في الداخل اللبناني نفسه أيضاً، فإنّ تشكّل النظام الطائفي اللبناني، منذ تحويل الجبل اللبناني إلى متصرفية^{٨١}، قد كان العامل الأساس الثاني في هذه الفرقة^{٨٢}.

ولا شك بدور السياسة العثمانية والأوروبية وبخاصة الفرنسية في تشكّل وتغذية هذا النظام الطائفي. مع ذلك فإنّ علاقات الجبل اللبناني مع وطنه السوري، بحكم عوامل وحدتهما التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية ووحدة مصالحهما، قد استمرت دون أي انقطاع، وكأنّه جزء منه، مثله مثل بقية المناطق التي ضمت إليه فيما بعد بهدف تشكيل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، والتي كانت كجزء من ولاية سوريا منذ تشكّلها عام ١٨٦٤. وهذا مما يفسر الدور الهام لكثير من السوريين، وبخاصة من المسيحيين اللبنانيين العربيين، في التصدي لمبشري الكنائس الغربية الذين اتخذ نزاعهم معهم "طابعاً قومياً"^{٨٣}، ثمّ دورهم البارز في حركة النهضة واليقظة القومية العربية عموماً، وفي الثورة العربية الكبرى ضدّ الحكم العثماني عام ١٩١٦، ثمّ في الترحيب بدولة فيصل العربية (١٩١٨ - ١٩٢٠) وفي الانضمام إليها ورفع علمها، والعمل معها من أجل إعادة الوحدة السورية.

78. - المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

79. - المرجع نفسه، هامش ٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.

80. - المرجع نفسه، ص ٥٩.

٨١- راجع: أبو شقرا يوسف خطر، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان وأحواله يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان.

٨٢- راجع: ضاهر مسعود، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية في لبنان، ١٦٩٧-١٨٦١، معهد الإنماء العربي (الدراسات التاريخية)، بيروت، ١٩٨٤.

83. - الصباغ ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٨١، ص ١٩٩.

ولقد عكس اختلاف اللبنانيين، بمن فيهم الموارنة، حول الموقف من هذه الدولة وهذه الوحدة، انقسامهم منذ ذلك الحين بين اتجاهين سياسيين: الاتجاه الوطني العربي المؤيد لهما وللليقطة والنهضة العربية عموماً، والاتجاه المتمسك بالاستقلال والحماية الأجنبية التي هي الأمريكية عند البعض والفرنسية عند الأكثرية المارونية في هذا الاتجاه، الذي سرعان ما تحوّل بكامله بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا عام ١٩٢٠ لصالح التمسك بالحماية الفرنسية تحديداً^{٨٤}. ولقد أبرقت قوى منهم ومن اليهود من لبنان إلى مؤتمر الصلح ١٩١٩ مؤكدة رفضها للوحدة السورية ولملكية فيصل^{٨٥}.

إضافة إلى دولة فيصل العربية المذكورة فقد أسفرت الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام ١٩١٨ عن تقسيم سوريا . الشام والعراق بين الدول الاستعمارية الغربية، وفق اتفاقيات مدروسة مثل معاهدة سايكس - بيكو ١٩١٦، ووعده بلفور ١٩١٧، وتم تكريس هذا التقسيم في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠، واتفاقيات أخرى^{٨٦}. ومنه تقسيم سوريا . الشام إلى ثلاث مناطق، سوريا ولبنان وفلسطين، والذي كان لكل من سوريا ممثلةً بدولة فيصل، ولبنان ممثلاً بمجلس إدارة الجبل اللبناني، وموقف الرافض له، ولقد أعلن هذا المجلس استقلال لبنان التام المطلق كردّ على مقرراته^{٨٧}. ولكن تلك المقررات نفذت بالقوة، ففُرض الانتداب الفرنسي على سوريا والجبل اللبناني من خلال الاحتلال الفرنسي لكل منهما، فوقع معركة ميسلون في تموز ١٩٢٠ رداً على تلك المقررات، التي كانت "مقدمة لتقرير مصير لبنان وفقاً للسياسة الفرنسية"^{٨٨}، كما سنرى.

٢ . موجز عن العلاقات السياسية السورية - اللبنانية منذ عام ١٩٢٠ حتى رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ : عناصر التقارب والتباعد:

إن موضوع سوريا ولبنان والعلاقات السياسية بينهما واسع وغني جداً في هذه المرحلة، وفي الوقت نفسه شائك وحساس وبخاصة بسبب التدخل السري والمعلن للدول الأوروبية المعنية

(- راجع حلاق حسان: التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٤١-٥٦. 84.

(- المرجع نفسه، ص ٥٤. 85.

(- انظر نجاح محمد، "سوريا وصيرورة حدودها السياسية...، مرجع سابق. 86.

(- راجع: الخوري بشارة حقائق لبنانية، بيروت، أوراق لبنانية، ١٩٦١، جزء أول، ص ٢٧٨-٢٧٩. 87.

(- حلاق، التيارات السياسية...، مرجع سابق، ص ٥٦. 88.

وبخاصة فرنسا لصالح التجزئة والتقسيم، والذي كان وما يزال العامل الأول في الفرقة السورية اللبنانية. ويمكن تقسيم مرحلته هذه إلى أربع فترات رئيسية سوف نتعرف عليها تباعاً.

أ . الفترة الأولى (١٩٢٠ . ١٩٤٣):

بعد خمسة أسابيع من معركة ميسلون، وبالرغم من أن الجنرال غورو (Gouraud) نفسه اعترف بضرورة وحدة لبنان وسوريا وحاجتهما إلى بعضهما البعض، حيث وجه كلمة إلى اللبنانيين، قال فيها: "أيها اللبنانيون، كونوا أذكياء، فأنتم بحاجة إلى سوريا، وسوريا بحاجة إليكم"^{٨٩}، فإنه أعلن في الأول من أيلول ١٩٢٠ قيام "دولة لبنان الكبير" بحدوده الحالية: من خلال القيام بالضم إلى جبل لبنان أقضية أربعة فصلت عن سوريا، هي بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا ومرجعيون، إضافة إلى متصرفيات طرابلس وبيروت وصيدا وصور، كما أضيف إليه قسم من قضاء حصن الأكراد وقسم من قضاء عكار^{٩٠}.

ولم تكن فرنسا بذلك بل قسمت ما تبقى من سوريا إلى دول دمشق وحلب والعلويين والدروز إضافة إلى سنجق اسكندرون، ثم اضطرت تحت ضغط المقاومة الوطنية الراضية لهذه التجزئة إلى توحيد "دولتي دمشق وحلب" في "دولة سوريا" مع تطبيق حكم ذاتي بحكام فرنسيين في كل من المناطق الأخرى. ولم تتوقف المقاومة الوطنية السورية بدءاً باستمرار ثورة الشيخ صالح العلي في الساحل السوري التي انطلقت منذ احتلال الفرنسيين له عام ١٩١٨، واستمرار ثورة إبراهيم هنانو التي انطلقت في الشمال السوري منذ احتلاله عام ١٩١٩، ووصولاً إلى الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧) في سوريا وامتداداتها في لبنان، والتي أصرت جميعها على مطلبين أساسيين: الاستقلال والوحدة السورية لبلاد سوريا . الشام من طوروس حتى رفح.

في دولة لبنان الكبير كانت هذه الدولة التي أعلنت من على درج مبنى قصر الصنوبر في بيروت، وبمشاركة قيادات روحية إسلامية ومسيحية، حملت تناقضاتها معها، فعلى الرغم من أن صورة الإعلان التاريخية قد ضمت شخصيات من كل الطوائف والأطراف، فإنها لم تكن إلا شكلاً ظاهرياً، حيث أنّ العناصر التي ضمت إلى هذه الدولة لم تكن كلها راضية أو موافقة على هذا المصير. إذ كان المسلمون بغالبيتهم يتطلعون إلى الوحدة مع سوريا، كما عدّ سكان الأقضية الأربعة إلحاقهم بلبنان بمثابة إجراء قسري. وقد شارك المسيحيون الأرثوذكس إخوتهم المسلمين هذا الشعور، فيما انفردت أكثرية الموارنة بتأييد هذه الدولة، مقابل وجود قلة متحفظة خوفاً من طغيان الأكثرية الإسلامية على ديمغرافية الدولة الجديدة.

^(٨٩) - حسان حلاق، "مسيرة الوحدة في تاريخ سوريا ولبنان" (جريدة السفير، بيروت، تاريخ ١٩٩١/٦/٨).

^(٩٠) - Cf. The French Ministry of Foreign affairs - archives

وطربين أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٨١، ص ٤١٤، و زين نور الدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٧١.

في محاولة منها لترسيخ الروابط الطائفية التي من شأنها تفرقة المجتمع وإضعاف الدولة كبديل عن الروابط الوطنية والقومية التي من شأنها توحيد المجتمع وتقوية الدولة، فإنّ السلطات الفرنسية قد لجأت إلى "تدابير خبيثة"^{٩١} تمثّلت في العمل على إشاعة كلّ ما من شأنه إثارة المخاوف لدى كلّ طائفة من الأخرى، ومنه إشاعة أنّ الفكرة العربية هي من خلق المسلمين السنة وكستار لهم، مما يعني أنّ نجاحها سيقضي على مصالح وامتيازات الطوائف الأخرى، ويمحي شخصيتهم وتقاليدهم التي لا يصونها إلا "كيان طائفي لبناني"^{٩٢}.

وعليه فقد طبقت سلطات الانتداب الفرنسي في لبنان سياسة^{٩٣} قامت على التمييز بين المناطق اللبنانية على أسس طائفية ومذهبية، موليةً اهتماماً خاصاً بتطوير المناطق التي تسكنها غالبية مسيحية، وإهمال المناطق التي تسكنها غالبية مسلمة، لأن ذلك يخدم مصالحها السياسية والاقتصادية، ويخدم وجودها العسكري المباشر في لبنان من خلال تكريس ظاهرة الانقسام المذهبي والطائفي، بالشكل الذي يجعل من وجودها في لبنان حاجة لبنانية للحفاظ على ما يسمى "الأمن والسلم الأهلي" وتكون مرجعية للجميع في حال المواجهة والتصعيد. وقد شكلت هذه الحالة عنصراً ضاعطاً على الوضع السياسي الداخلي في لبنان على المستوى الشعبي، وأدت إلى تكريس ظاهرة الطائفية السياسية.

وكان من الطبيعي أن تشكّل هذه السياسة الفرنسية أحد أهم عوامل التباعد في العلاقات اللبنانية البينية واللبنانية . السورية من حيث تأثيرها بشكل خاص في أكثرية المسيحيين الموارنة، وبحيث أخذ بعضهم ينفي عروبة لبنان معتبراً إياه "جزءاً من الحضارة الغربية"^{٩٤}. لكن كان يكفي، كردّ عليه، التذكير بحقيقة أنّ كثيراً من المسيحيين في سوريا ولبنان، من ذوي التوجه القومي العربي المعتز بعروبته ومن مختلف الطوائف، كانوا قد لعبوا دوراً فاعلاً في اليقظة القومية العربية، ومنه مساعيهم في إحياء التراث العربي وبعث روائع اللغة والآداب والتذكير بالماضي المجيد إلخ...، وليكوّن دورهم هذا عنصراً مهماً من عناصر التقارب في العلاقات المذكورة.

وكما كان تقسيم سوريا . الشام بين الانتدابيين البريطانيين والفرنسي وسياستهما عامل تفرقة بين دولها الجديدة، التي أضيفت إليها إمارة شرقي الأردن، المشكّلة من قبل بريطانيا عام ١٩٢١، فقد كان، بما أشاره من ردّ فعل وطني متصل ومتواصل فيها، عامل تقارب ووحدّة وخاصة بين قواها الاجتماعية المتضررة من هذا التقسيم وهذه السياسة، على سبيل المثال فإن

(- طربين أحمد، مرجع نفسه، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(- المرجع نفسه، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(^{٩٣}

- archives

(- حلاق، التيارات السياسية...، ص ٦٢.

- Cf. The French Ministry of Foreign affairs

التفكيك في مسار الوحدة الاقتصادية قد انعكس ضرراً بالغاً على حركة التجارة، وأفقدتها حيويتها السابقة بسبب الحواجز الجمركية التي أقيمت على الحدود بين فلسطين وشرقي الأردن من جهة، وسوريا ولبنان من جهة أخرى، مما دعا بعض الفئات الاجتماعية، وبخاصة التجارية، وممثليها السياسيين في هذه البلدان إلى تنسيق مواقفها وتوحيد مطالبها السياسية في إزالة العوائق المفروضة عليها من قبل سلطات الانتداب البريطاني والفرنسي.

كانت هذه المصالح الاقتصادية التجارية المشتركة وما زالت تمثل أحد العوامل الأساس في التقارب السوري - اللبناني، والتي أضرت بها التجزئة وسيطرة الاحتكارات الفرنسية التي قدّمت مصلحة رأس المال الفرنسي على كل مصلحة في سوريا ولبنان. وكان من الطبيعي أن تكون أحد الدوافع الوطنية الرئيسة التي تحرك المقاومة الوطنية ضدّ الاحتلال في كلّ من البلدين.

ظهرت هذه الدوافع لدى القوى الوطنية في مؤتمرها في جنيف الذي انتخب في جلسته الختامية لجنة تنفيذية له أطلق عليها اسم "اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني"^{٩٥}، والتي اتخذت من القاهرة مقراً لها. وانبثق عن اللجنة "وفد دائم تألف من: الأمير ميشيل لطف الله، والأمير شكيب أرسلان، وإحسان الجابري، وسليمان كنعان، ورياض الصلح"^{٩٦}، ومهمته عرض القضية السورية وبسط مطالبها السياسية لدى عصبة الأمم ودول أوروبا، صاحبة القرار في المحافل الدولية. قدم الوفد المذكور إلى لجنة الانتدابات الدائمة (Comite Permanent Des Mandats) مذكرة مثلت تراجعاً في خط المطالبة بالوحدة الرامية إلى توحيد سائر المناطق السورية واللبنانية في إطار دولة واحدة مستقلة، لصالح الحركة اللبنانية المطالبة بلبنان المستقل^{٩٧}.

كان هذا على عكس ما جاء في البرقيات العديدة التي رفعها التجار والأعيان والمعلمون والأطباء والمحامون في مدن سوريا الداخلية، في دمشق وحلب وحمص وحمّاه، والمتضمنة تأكيد تأييد هذه الفئات لمطالب الوفد باستقلال البلاد السورية استقلالاً تاماً بحدودها الطبيعية^{٩٨}. ومنها البرقية التي رفعها نازك العابد باسم نساء سوريا جاء فيها: "نرفض رفضاً باتاً كل قرار سوى استقلال البلاد بأجمعها في حدودها الطبيعية، ولنلتزم الرعاية التامة لمطالبنا العادلة، ونؤيد الوفد

^{٩٥} - وردت في تقرير لقنصل فرنسا في جنيف مرسل لوزارة خارجيته في باريس، أشار فيه أن توفيق حماد وشبلي الجمل من الوفد الفلسطيني قد أصرّا على ذكر اسم فلسطين إلى جانب سوريا في تسمية المؤتمر ولجنته (انظر: أعمال الوفد السوري - الفلسطيني، منشورات المطبعة السلفية، مصر، القاهرة، ١٩٢٣، ص ٢٧، و:

Ministère des Affaires Étrangères Français(M.A.E.F.), Serie S.D.N.: Rapport Du Consul 19 September 1921, P. 182

^{٩٦} - أعمال الوفد السوري - الفلسطيني...، مصدر سابق، ص ٢٧.

^{٩٧} - عبرت هذه الحركة عن نفسها من خلال ظهور بعض الأحزاب منها: "حزب العمال العام في لبنان الكبير" و"حزب الترقّي اللبناني"، وفي عدد من الجمعيات وللمزيد من التفاصيل حول برامج هذه الأحزاب والجمعيات راجع ضاهر مسعود: تاريخ لبنان الاجتماعي (١٩١٤ - ١٩٢٦)، طبعة أولى، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤، ص - ٢٧٣ - ٢٧٩.

^{٩٨} - أعمال الوفد السوري - الفلسطيني، مصدر سابق، ص ٢٤١.

السوري المنتخب من قبل اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بصفته ممثلاً للأمم ومفوضاً عنها^{٩٩}. هذا بالإضافة إلى برقيات عديدة أخرى رفعها تجار وأعيان وأطباء المدن اللبنانية، في بيروت وطرابلس وصيدا، وأعلنوا فيها تأييدهم لأعمال الوفد، وأكدوا مطالبتهم بتحقيق الاستقلال والوحدة السورية التامة^{١٠٠}، ومنها وحدة سوريا ولبنان كما كانت على مرّ العصور^{١٠١}.

لم تجدِ المذكرة وهذه البرقيات، وما تلاها من احتجاجات بصيغ وأساليب مختلفة، جميعها أدناً صاغية تستجيب للمطالب التي طرحتها، فقد اصطدمت بمعارضة مزدوجة من قبل الفرنسيين من جهة، ومن جانب القوى السياسية ذات الأثرية المارونية المتعاونة معهم من جهة ثانية. ففي مقالة لها أكدت صحيفة "لسان الحال البيروتية"، على سبيل المثال، على أن "لبنان الكبير ثابت بمشيئة الشعب اللبناني وتأييد الدولة المنتدبة... وأن الحكم فيه قد استقر نهائياً، ولا مجال للرد على تلك العريضة التي لا قيمة لها"^{١٠٢}.

لكن المقاومة الوطنية وبخاصة السلمية ضدّ الاحتلال الفرنسي قد استمرت في سوريا ولبنان في إطار المؤتمر المذكور والمذكرات والاحتجاجات إلخ...، ورغم أنّ التحرك الداخلي في سوريا ولبنان معاً كان في مضمونه وأهدافه سياسياً، فقد احتفظ من حيث الشكل في سوريا بطابعه السياسي الوطني، بينما غلب عليه في لبنان الطابع الطائفي، سواء على صعيد القوى المعارضة للانتداب وأكثريتها من القوى الإسلامية، أو على صعيد القوى المتعاونة معه، والتي أكثريتها من الفئات المارونية في جبل لبنان بشكل خاص، والتي توجّه بعضها إلى التعاون مع بريطانيا أيضاً. ففي عام ١٩٢٢ أكد سليمان كنعان، العضو الماروني في مجلس إدارة جبل لبنان السابق، في كتاب إلى وزير الخارجية البريطاني، أنّ على بريطانيا أن تساعد اللبنانيين بل وتسيطر على لبنان بدلاً من فرنسا لا شيء إلا ليصبح "وطناً لكل المسيحيين بسوريا والشرق، ويكون هؤلاء قوة لإنكلترا ومن صالحهم أن يكونوا تحت ظلها ويستमितوا تحت لوائها"^{١٠٣}.

في لبنان الكبير اقتضت المعارضة السياسية للانتداب على سكان المقاطعات الملحقة بالدولة اللبنانية. وقد تركزت هذه المعارضة بشكل خاص في المدن الساحلية، حيث شعرت الفئات الاجتماعية في تلك المدن بالأضرار الجسيمة التي أصابت مصالحها التجارية بسبب الانفصال بينها وبين عمقها الحيوي المتمثل بالداخل السوري. وعلى إثر وصول الجنرال ويغان (Wigan) إلى بيروت في التاسع من أيار ١٩٢٣ أسرع دعاة الوحدة السورية في المناطق

^{٩٩}- المصدر نفسه، ص ٥٠.

^{١٠٠}- المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

^{١٠١}- بيهام محمد جميل، لبنان بين مشرق ومغرب، ١٩٢٠ - ١٩٦٩، بيروت، ١٩٦٩، ص ١١٠.

^{١٠٢}- لسان الحال، عدد ٨٩٤٥، تاريخ ١ حزيران ١٩٢٣، ص ١.

(103)

. S. to Lord Curzon No . E 1888 , of 17 Feb 1922 in . F . O 371/7846/89

الملحقة، فرفعوا مذكرة موسعة إلى المفوض السامي الجديد، استهلوها بالقول: "طفح الكيل، وبلغ السيل الزبي"^{١٠٤} مطالبين بالانسلاخ عن لبنان والاتحاق بالوحدة السورية.

وكان من ضمن أهم المبررات التي ساققتها المذكرة المبرر الآتي: "إن إلحاق الولاية البيروتية أو قسم منها، ويضمّ لواء بيروت ولواء طرابلس في الساحل، بمتصرفية جبل لبنان تمّ بدون رضا من الأهالي وبغير استفتاء مشروع... وجبل لبنان جزء من سوريا لا يصح عقلاً فصله عن المجموعة، ومع ذلك فلما رفض الالتحاق بالوحدة السورية ما رأينا من حاول إرغامه على الالتحاق، بل وجد اللبنانيون عموم البلاد السورية وقوفاً عند حد رعاية رغبة الشعب اللبناني بما يريد لنفسه.... إذن ما بال اللبنانيين يحاولون ويضجون ويسعون بمختلف الوسائط لإرغام أهل الولاية على الالتحاق بالجبل، وليس فيه من الخير ما في الوحدة، بل بالعكس فيه كل ضرر"^{١٠٥}.

ثمّ ظهرت نواة نوعية على صعيد التشكيلات السياسية المنظمة، تمثلت بـ"حزب الشعب اللبناني" الذي تأسس في ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٤، والذي أصبح اسمه "الحزب الشيوعي اللبناني" عام ١٩٢٥، وشكّلت نواته الأولى من أغلبية عمالية، وخاصة في أوساط عمال التبغ في بكفيا في منطقة جبل لبنان. وتجاوز هذا الحزب في أطروحاته الأطر الطائفية، وقام برنامجه السياسي على ربط القضية الاجتماعية بالقضية القومية، "ودعا إلى دعم النضالات المطالبة للفئات الشعبية من عمال وفلاحين ومزارعين في سوريا ولبنان، وإلى تعميق النضال من أجل الاستقلال القومي والحريات الديمقراطية. لكن تجربة الحزب لم تدم طويلاً، فقد تعرض أعضاؤه إلى الملاحقة والاعتقال بسبب تأييدهم للثورة السورية الكبرى التي كانت قد بدأت في تموز ١٩٢٥"^{١٠٦}.

على الرغم من الانقسام العميق بين اللبنانيين، فإن أوضاعاً جديدة نتجت عن قيام مؤسسات الجمهورية اللبنانية وقوانينها وإداراتها وترابط مصالحها بين السكان، وبنوع خاص بين أبناء المدن، حيث نمت فئات جديدة لها مصالح مختلفة عما في السابق، بدأت تجد تنافساً مع المصالح الاقتصادية الفرنسية وهذا ما أسهم في تنمية روابط التضامن فيما بينها^{١٠٧}. وفي المحصلة وجد اللبنانيون، الرافضون والموافقون، أنفسهم وجهاً لوجه في دولة واحدة يحكمها الانتداب الفرنسي ويسير شؤونها.

^(١٠٤) - راجع المذكرة بالتفصيل في: حلاق حسان، مؤتمر الساحل والأفضية الأربعة ١٩٣٦، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٦.

^(١٠٥) - المرجع نفسه، ص ١٢٦.

^(١٠٦) - حلاق، مسيرة الوحدة في تاريخ سوريا ولبنان... مرجع سابق.

^(١٠٧) - الجسر باسم، الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣: "مقدماته، ولادته، مضمونه، تطبيقه" (مركز الحريري الثقافي، مج ٢، الفصل ١٨، ص ٦٦٤).

وكان أن لعبت مدينة بيروت، بعد أن أصبحت عاصمة الدولة، دوراً توحيدياً واقعياً بين المناطق اللبنانية. وساعد ازدهارها ونموها وإقامة أبناء جميع الطوائف والمناطق فيها، على التعارف والتعاون والاندماج تدريجياً في حياة اجتماعية عامة. ثم كان إعلان دستور ١٩٢٦ الذي كرّس حدود دولة لبنان الكبير^{١٠٨}، والذي كان قد رفض المسلمون والوحدويون عموماً المشاركة فيه من منطلق "رفض المساهمة في وضع دستور مستقل عن الدستور السوري"^{١٠٩}.

أسهم رد الفعل الشعبي ضدّ هذا الدستور في تصاعد النضال السياسي لصالح الوحدة السورية في سوريا ولبنان. وكان أن نجحت الكتلة الوطنية في سوريا في انتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٨، والذي ألغته السلطات الفرنسية المحتلة لرفضه إقرار التعديل الذي وضعته على دستوره وفق المادة ١١٦ التي كانت تكرس سيطرتها الكاملة في سوريا. وفي حزيران ١٩٢٨، وكردّ فعل وطني، عقد في دمشق "مؤتمر أبناء الساحل" برئاسة الشيخ عبد الحميد كرامي مفتي طرابلس، وشاركت فيه وفود من طرابلس وعكار وبيروت وصيدا وصور وجبل عامل والبقاع وبعبك واللادقية وحصن الأكراد، بمن فيهم نواب من البرلمان اللبناني. وأسفر المؤتمر عن قرارات ركّزت على تحقيق وحدة البلاد السورية، وإعادة الأجزاء التي ضمت إلى لبنان القديم إلى سوريا^{١١٠}.

وكان أن برزت في لبنان، مقابل الاتجاهات الطائفية فيه، أصوات رافضة لها ولما دعي بـ"نصرنة" أو "مورنة" لبنان، ومدافعة عن الاتجاه القومي العربي في كلّ الأوساط بمن فيها أوساط الموارنة والمسيحيين عموماً. من الأمثلة ذات الدلالة على ذلك ما كتبه جبران تويني في صحيفة "الأحرار" في ٩ تموز ١٩٢٩، بعنوان "إلى المتفرنجين نحن عرب قبل أن نكون مسيحيين ومسلمين"، مهاجماً فيه صحيفة "الشرق" (L'Orient) لأنها زعمت "أنّ لبنان بلد غير عربي وأنّ حضارته نصرانية". ردّ تويني على هذا الزعم بأنّه "من الخطأ القول بأنّ لبنان بلد ذو حضارة نصرانية بل هو بلد عربي، وسواء أكان أهله فينيقيين أم آراميين أم سرياناً^{١١١}، فقد استعربوا وامتزجوا في هذه البوتقة العربية وأصبحوا يؤلفون مع عرب لبنان قوماً عربياً". ثمّ أضاف

(- راجع: الدستور اللبناني الصادر في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦ مع جميع التعديلات التي أقرت في مجلس النواب اللبناني وفقاً لوثيقة^{١٠٨}

الوفاق الوطني اللبناني (اتفاق الطائف) ١٩٩١، بيروت، مجلس النواب، ١٩٩١.

(- حلاق، التيارات السياسية... مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩.^{١٠٩}

^{١١٠}- البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب (١٩٢٦ - ١٩٨٤)، إعداد وتحقيق خوري يوسف قزما - مؤسسة الدراسات اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، المجلد الأول (١٩٢٦ - ١٩٦٦)، ص ٨٥.

(- لو اطلع تويني على الحقائق التاريخية الموثقة لتبين له أنّ هؤلاء جميعاً هم من العرب القدماء (انظر سابقاً، راجع على سبيل^{١١١}

المثال أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

١٩٨٣، جزء أول، ص ١٤٠-١٤٣).

تويني: نحن حاربنا فكرة الوطن القومي الصهيوني في فلسطين لأنها قومية دينية، فلا نسلم أن يكون لبنان وطناً قومياً مسيحياً، بل هو بلد عربي الجنس واللسان"^{١١٢}.

بعد ذلك برز تياران سياسيان: تيار أكثريته مسيحية ينتقد الانتداب لتجاوزه دوره، ويطالب بمزيد من الاستقلال والسيادة الوطنية، ويذهب إلى ضرورة التعاون مع المسلمين في الدفاع عن مصالح لبنان العليا، وإلى تعزيز الانفتاح على الحركات الوطنية في البلاد العربية، وتيار أكثريته إسلامية أخذ ينظر بواقعية إلى الكيان اللبناني، ويرى في مقاطعته وفي رفض التعاون معه ضرراً يلحق بمصالح المسلمين، ويرى ضرورة التعاون بإيجابية وواقعية"^{١١٣}.

لكن التيار الوحدوي استمرّ في نضاله، وبخاصة بعد تعطيل المجلس النيابي الجديد عام ١٩٣٢، والذي تعطلّ في سوريا بسبب نجاح الوطنيين فيه، وفي لبنان بسبب رجحان انتخاب المسلم محمد الجسر كرئيس للجمهورية"^{١١٤}. في تشرين الثاني ١٩٣٣ عقد في بيروت مؤتمر الساحل فكرر المطالبة بإعادة ما سلخ من سوريا إلى سوريا التي تصاعدت حركة النضال الوطني فيها ضدّ الاحتلال الفرنسي مؤكدةً مطالبها الرئيسيين: الاستقلال الوطني والوحدة السورية. وكانت معظم تنظيمات هذه الحركة تتضمن في أهدافها، بالإضافة إلى هذين المطالبين، مطلب الوحدة العربية، إذ مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين بدأت الاتجاهات الوحدوية تأخذ مكانها في الحركات السياسية العربية وانتهاز القوميون العرب في آسيا اجتماعهم في القدس أثناء المؤتمر الإسلامي الذي عقد في كانون الأول ١٩٣٠، لبحث القضية العربية بحثاً عاماً، "وصاغوا ميثاقاً عربياً أكد على وحدة الوطن العربي، وعلى ضرورة توحيد الجهود في كل قطر عربي نحو الاستقلال والوحدة العربية"^{١١٥}.

وهذا ما أكّدت عليه معظم مبادئ ومواثيق الأحزاب السورية، بما فيها ميثاق الكتلة الوطنية عام ١٩٣٦ التي قادت النضال الوطني السوري المتصاعد في هذا العام ضدّ السلطات الفرنسية المحتلة. وفي العاشر من آذار ١٩٣٦ عقدت في بيروت أولى جلسات ما سمي مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة. وقد حضرته شخصيات وقيادات من مدن الساحل السوري، إضافة إلى المناطق التي سلخت عن سوريا وألحقت بلبنان الكبير. وأقر المؤتمر مطالب المؤتمرات السابقة نفسها حول الوحدة مع سوريا. وكان هذا المؤتمر هو الأخير الذي عقد ورفع هذه المطالب القديمة. ومنذ ذلك التاريخ غابت المؤتمرات التي ترفعها، وبدأت شعارات الوحدويين بالتبدل

(- تويني جبران، في وضوح النهار - مقالات مختارة، بيروت، ١٩٣٩، ص ١-٢. ١١٢)

(١١٣) - البيانات الوزارية اللبنانية، مصدر سابق، ص ٦٦٦.

(- Cf. RABBATH Edmond, La formation Historique du Liban politique et Constitutionnel, ١١٤

Beyrouth, 1973, pp. 390-395.

(١١٥) - دروزه محمد عزت، الوحدة العربية، بيروت المكتب التجاري للطباعة، ١٩٥٧، ص ١٢٤ - ١٢٥.

لأسباب ومعطيات دخلت على خط التطورات، ولم تكن موجودة من قبل، وأدت إلى التقارب الإسلامي المسيحي" على أساس استقلال لبنان^{١١٦}.

لم يكن هدف مشروع معاهدة ١٩٣٦، الناتج عن المفاوضات بين السلطات الفرنسية وبين قيادات الكتلة الوطنية، سوى إجهاد كلٍّ مساعي الوحدة السورية. إنَّ قبول هذه القيادات بهذا المشروع كان يعني قبولها بفكرة استقلال سوريا المنقوص فيما يخصَّ الشؤون الخارجية والدفاع، وبحدودها المجزأة، على أن تتضمنَّ إليها ما دعي بأراضي "العلويين وجبل الدروز"^{١١٧} بشرط تمتعها بنظام إداري ومالي خاص، وكان يفسَّر تعهدها "بأن تحترم استقلال دولة لبنان وتعديل عن مشروع اتحاد سوريا ولبنان"^{١١٨}.

هذا الموقف للكتلة الوطنية المتنفذة في سوريا، كان من العوامل البارزة التي أثرت في موقف المسلمين اللبنانيين بشكل عام فبدأوا، هم والمسيحيون من سكان الساحل والأقضية الأربعة، يتجهون في تفكيرهم نحو إيجاد الصيغ الملائمة للدخول في الدولة اللبنانية الجديدة. وتزامن ذلك مع انتخاب إميل إده رئيساً جديداً للجمهورية عام ١٩٣٦ والذي وصفه الرئيس الفرنسي ديغول (De Gaulle) بأنه "الصديق الذي لا يتزعزع في صداقته لفرنسا"^{١١٩}، مسجلاً فوزه على خصمه التقليدي بشارة الخوري، وكان أن انقسمت البلاد بين اتجاهين سياسيين قاما حول القطبين هذين هما: اتجاه الكتلة الوطنية ومعظمها من الموارنة، بزعامة إميل إده بتوجهه البريطاني المتعاون مع المشروع الصهيوني في إقامة دولة "قومية يهودية" في فلسطين، وبالتزامه بالدفاع عن لبنان كدولة "قومية مارونية" وبعيداً عن أي شكل من أشكال الاتحاد السوري أو العربي^{١٢٠}، والذي اجتمع مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان معتبراً إياه "الرئيس الأول للجمهورية اليهودية"^{١٢١}. واتجاه الحزب الدستوري بزعامة بشارة الخوري في توجهه العربي، والتزامه بالدفاع عن الدستور، أي الدستور اللبناني الوطني المستقل^{١٢٢}.

ولإضعاف الموقف السوري أكثر فأكثر، ورغم التنازلات المذكورة، فقد رفضت فرنسا إقرار مشروع معاهدة ١٩٣٦ مع سوريا، مقابل إعدادها لمشروع معاهدة ١٩٣٦ مع لبنان متضمناً استقلالها وعقدها لمعاهدة مع فرنسا تحتل فيها المركز الأول لمدة خمس وعشرين سنة، ومتضمناً

^(١١٦) - حلاق، مؤتمر الساحل والأقضية...، مرجع سابق.

(- إنَّ القوى الوطنية ترفض هذه المسميات الفرنسية الطائفية، ومسميها الصحيح هو: منطقة جبال اللاتنية ومنطقة جبل العرب.^{١١٧}
^(١١٨) - طربين، مرجع سابق، ص ٤١٩.

(، تعريب وتعليق خيرى حماد، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٨٤. Mémoire de guerre) - ديغول شارل: مذكرات الجنرال ديغول (١٩٩)

(- حول سياسة وتوجهات إميل إده راجع حلاق، التيارات السياسية...، مرجع سابق، ص ٨٤ وما يتبع.^{١٢٠}

^(١٢١) - (p. 84. SACHAR Howard M , Europe Leaves the Middle East 1936-1954, London, 1974.

^(١٢٢) - انظر لاحقاً.

ضرورة المساواة بين الطوائف^{١٢٣}. ولقد كان لحزب "عصبة العمل القومي"، الذي كان قد انطلق من بلدة "قرنايل" في لبنان عام ١٩٣٣، والذي كان متنوع الطوائف وهدفه الرئيس الوحدة العربية، دور مهم في فضح التخاذل المذكور للكتلة الوطنية في سوريا ولبنان ومنه ما تعلق بضياح لواء اسكندرون أيضاً، مما يدلّ، وطبيعة المواقف والبنى الاجتماعية والثقافية للأحزاب اللبنانية الأخرى، على الطابع السياسي للصراعات، والذي هو أكثر بروزاً لدى الأحزاب السورية بمختلف توجهاتها القومية والقطرية والدينية والاشتراكية والشيوعية.

في عام ١٩٣٧ نشأت في لبنان منظمتان تحولتا إلى حزبين سياسيين: الأولى منظمة "النجادة" المتمسكة بالقومية العربية وبالائتلاف العربي على أن يقوم كلّ بلد عربي بتصريف شؤونه الداخلية، والثانية منظمة "الكتائب" ذات النزعة الانعزالية المتغربة العرقية، أي المؤمنة بـ"العرق اللبناني"^{١٢٤}، والمتوجهة آنذاك إلى محاولة فصل لبنان عن أمته ومحيطه العربي لصالح انتماءات أخرى بديلة غير عربية مدعومة من الخارج وبخاصة من فرنسا ومن سلطاتها الاحتلالية، تارةً هي "فينيقية" جهل أصحابها عروبة الكنعانيين الفينيقيين المثبتة في المصادر والدراسات التاريخية الموضوعية المعنية^{١٢٥}، وتارةً هي "متوسطة" جهل أصحابها صلة العرب القدماء بالمتوسط وأنهم هم ممدّونه^{١٢٦} كما رأينا.

وقبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها كانت قد طرأت تطورات مهمة أسهمت في الدفع نحو التلاقي الداخلي اللبناني. منها فشل الكتلة الوطنية الحاكمة في حماية لواء اسكندرون من التآمر الفرنسي. التركي، حيث أعلنت تركيا ضمّه إليها عام ١٩٣٩، مستغلة حاجة فرنسا وحلفائها إلى دعمها في هذه الحرب. وكذلك هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام ١٩٤٠، وتشكّل حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال ديغول التي قادت النضال ضدّ حكومة فيشي المتعاونة مع قوات الاحتلال الألماني لفرنسا، ودخول القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة إلى سوريا ولبنان عام ١٩٤١، وإعلان الجنرال كاترو (Catroux) بالنيابة عن الجنرال ديغول استقلالهما.

وكان أن أخذت الأوساط المسيحية تتجه نحو التفكير في إيجاد صيغة تحمي مصالحها، وتكون مطابقة لمفهوم جديد للكيان اللبناني خارج الحماية الفرنسية التي كانت فرنسا عاجزة عن

(- انظر المعاهدة في: محاضر مجلس النواب اللبناني، مضبطة الجلسة الأولى، ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٦، ص ٧-١٠. و: Rabbath, op. Cit. pp. 314-340.

(- راجع حميد راشد، "الكتائب اللبنانية، تاريخها، عقيدتها، تنظيمها" (مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٤٦، حزيران ١٩٧٥، ص ٢٢٢).

(- راجع على سبيل المثال: تاريخ الطبري مصدر سابق، الجزء الأول، ص ١٤٣.١٤٠، ومؤلفات أحمد داوود، و محمد عزة دروزة،^{١٢٥} تاريخ الجنس العربي، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٥٩.

^{١٢٦} Rossi, op, cit. - انظر سابقاً، وراجع:

تقديمها، ويكون قائماً على التعاون مع المسلمين، والتعاون مع الجوار العربي بشكل أكثر جدية. وقد انعقد في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٢ في بركي مؤتمر، شاركت فيه شخصيات من مختلف الطوائف، وقعت على بيان طالب باستقلال لبنان وانتقال السلطة إلى أبناء البلاد. وهكذا فإن المسلمين بدأوا منذ تلك اللحظة الابتعاد عن المطالبة بالوحدة، فيما بدأ المسيحيون يطالبون بالاستقلال عن فرنسا^{١٢٧}.

كما أن الأوساط الإسلامية وجدت من جهتها الفرصة سانحة لبلوغ الاستقلال والتخلص من الانتداب الفرنسي تماماً. وفي الوقت ذاته راحت بريطانيا تدعو إلى فكرة استقلال لبنان وسوريا وتأييدها علناً، وهذا ما دفعها إلى التقرب من القوى الاستقلالية في لبنان وسوريا، وبالتالي أصبحت في مواجهة مباشرة مع فرنسا العاملة على إبقاء نفوذها ومصالحها المميزة فيهما، والعاملة على إيصال الكتلة الوطنية برئاسة إميل إده إلى حكم لبنان مما يفسر دعمها في الانتخابات النيابية عام ١٩٤٣.

وفي سياق هذه المواجهة، وتنامي الصراع الفرنسي - البريطاني، اتجهت القوى اللبنانية المعارضة للانتداب الفرنسي بأنظارها إلى بريطانيا والبلاد العربية ملتزمة توفير الدعم لها في معركة تحررها من التبعية الفرنسية، وتمكنها من الارتقاء إلى سدة السلطة، الأمر الذي يعزز مواقعها السياسية والاجتماعية. وكان أن عملت بريطانيا على الجمع بين الشخصيات الإسلامية والمسيحية المؤيدة للاستقلال، كما دعمت الكتلة الدستورية في هذه الانتخابات، وعملت على الجمع بين زعيمها بشارة الخوري وقيادات مصرية وسورية، وتم خلال ذلك الاتفاق على الخطوط العريضة التي سيعتمدها في حال وصوله إلى رئاسة الجمهورية، والمنطلقة من قناعته بضرورة التعاون مع الدول العربية شرط استقلال لبنان، وكان هناك توافق بينه وبين هذه القيادات^{١٢٨}. لقد اتصل الزعماء العرب بالشيخ بشارة الخوري، وسهلوا عليه إيجاد صيغة التعاون بين لبنان والبلاد العربية، "على اعتبار أنهم أدركوا أن عليهم كسب المسيحيين في لبنان ليتحقق الاستقلال التام للبنان الذي هو شرط دخوله جامعة الدول العربية"^{١٢٩} التي كان يجري الإعداد لها في تلك المرحلة.

كان صيف عام ١٩٤٣ قد شهد أزمة نتجت عن إصدار مرسومين غير منصفين، حمل الأول رقم ٤٩ وحدد زيادة عدد النواب لصالح المسيحيين^{١٣٠}. كما نص المرسوم رقم (٥٠) على

^(١٢٧) - تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان: الجذور والتطور التاريخي بيروت: دار ابن خلدون، [د.ت.] ص ٣٠٥.
^(١٢٨) - الخوري، حقائق لبنانية، مصدر سابق، وانظر أيضاً: سامي الصلح، مذكرات سامي بك الصلح (١٨٩٠-١٩٦٠)، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٠، ص ٦٧-٦٨.
^(١٢٩) - نجلا عطية، لبنان المشكلة والمأساة، طبعة أولى، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٧.

(- العدد ٥٤ نائباً: ٣٠ مقعداً للمسيحيين و ٢٥ مقعداً للمسلمين، وقد توزعوا على النحو التالي: ١٨ للموارنة، ٦ للروم الأرثوذكس،¹³⁰ ٣ للروم الكاثوليك، ٣ للأرمن الأرثوذكس، ٢ للأقليات المسيحية، ١٠ للسنة، ٩ للشيعية، ٣ للدروز.

توزيع النواب على المناطق الانتخابية توزيعاً غير عادل. وقد أثار هذان المرسومان احتجاج المسلمين، فكانت الأزمة التي تطورت إلى شبه أزمة وطنية طالب فيها المسلمون بمقاطعة الانتخابات النيابية وإجراء إحصاء جديد للسكان قبل أي توزيع لعدد النواب^{١٣١}. ووقف فيها البطريرك الماروني أنطوان عريضة على رأس مؤيديه من الموارنة والمسيحيين في مواجهة المسلمين المعترضين وعلى رأسهم المفتي محمد توفيق خالد، إلى أن تدخل النحاس باشا واقترح صيغة توفيقية قوامها توزيع النواب وفقاً لمبدأ كل ٦ نواب مسيحيين يقابلهم ٥ نواب مسلمين^{١٣٢}.

عقد بعد ذلك في مدينة عالية وفي صيف عام ١٩٤٣ نفسه لقاء حاسم بين رياض الصلح الذي كان قد أصبح زعيم الطائفة السنية التي كانت تشكل آنذاك محور الطوائف الإسلامية، وبين بشارة الخوري الذي كان قد أصبح زعيم الطائفة المارونية التي كانت تشكل محور الطوائف المسيحية الأخرى^{١٣٣}، وكانت وجهتا نظرهما متطابقة لجهة ضرورة إرساء القواعد الوفاقية بين المسلمين والمسيحيين والتعاضد على بناء لبنان وطناً حراً مستقلاً، يكون لجميع أبنائه دون تمييز أو تفرقة، ومما جاء في حوارهما الآتي^{١٣٤}: "قال بشارة الخوري لرياض الصلح: "إن من يعمل لحرية لبنان يعمل لحرية العرب جميعاً في شتى ديارهم، ومن يعمل لحرية العرب يعمل لحرية لبنان أيضاً... فقال رياض الصلح: "إني سعيد بأن أسمع مسيحياً مسؤولاً ومحترماً مثل الشيخ بشارة الخوري يوافقني على أن لبنان يستطيع أن يكون وطناً عربياً له طابعه الخاص، ووضعه الخاص، فهذه هي يدي أمدّها لك، هات ما عندك لننتق عليه". فسأله بشارة الخوري: "هل تظن يا رياض أن اتفاقنا يجمع إخواننا المسلمين حوله، فيرضون بأن يصير لبنان وطنهم الأخير، لا مرحلة انتقال؟ أي أنهم لا يعودون ينظرون إلى دمشق نظرتهم إلى الأمل المنشود".

قطع رياض الصلح السؤال بقوله: "إذا كان اتفاقنا صريحاً وشريفاً لا غبن فيه على أحد، ويحفظ كرامة المسلمين والمسيحيين معاً، مراعيّاً شعور الفريقين، ويوزع الحقوق على الجميع بالتساوي، وبتعبير آخر إذا عمل العهد المنشود الذي نريده ونسعى إليه، عملاً ليناً ومنصفاً مع المسلمين فأنا لا أكتفي برضا إخواني في لبنان فحسب، بل أتعهد بإقناع زعماء العرب في شتى أقطارهم، وفي مقدمتهم السوريين اعترافاً وتعهداً أبديين، وعندئذ نقلب صفحة الماضي المؤلم، فننقضي على معزوفة الأم الحنون "فرنسا" ومعزوفة الالتحاق بدمشق، ونبدأ الصفحة الوطنية الجديدة، التي أشرتم إليها في بدء الحديث، وهي التي نتوق إليها".

(- انظر حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر (١٩١٣ - ١٩٤٣): من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني^{١٣١}

الليثاني بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥، ص ١٩٧.

^{١٣٢}- وهذه النسبة في التوزيع بقيت معتمدة حتى تعديلها في اتفاق الطائف ١٩٨٩، حيث بات العدد مناصفة بين المسلمين والمسيحيين في مجلس النواب.

^{١٣٣}- محمد مراد، "العلاقات اللبنانية - السورية" دار الرشيد للعلوم، دمشق، ١٩٩٣، ص ٤٣٠.

^{١٣٤}- (يراجع هذا الحوار في (الأسبوع العربي) السنة الثانية، المجلد رقم ٢، العدد ٦٦ الصادر بتاريخ ١٢ أيلول ١٩٦٠. ص ٢٢ - ٢٧ وكذلك في : باسم الجسر، ميثاق عام ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٧٩ - ٤٨٤.

وكان أن نقل فحوى هذا الحديث "إلى رجال الكتلة الوطنية السورية الذين كانوا قد نالوا الأكرثية النيابية في انتخابات ١٩٤٣، التي تمت منذ ذلك الحين انطلاقاً من رابطة المواطنة على أنها فوق كلّ الروابط، والتي أسفرت عن انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية العربية السورية. وكذلك نقل إلى عدد من الزعماء المسلمين في لبنان، ومنهم عمر بيهم، وعبد الحميد كرامي وسواهم"١٣٥.

في لبنان تمت الانتخابات النيابية في أيلول ١٩٤٣ على أساس رابطة الطائفية السياسية وما يدعى بـ"الديمقراطية التوافقية"، وأسفرت عن وصول العناصر البارزة من القيادات الإسلامية إلى المجلس، كما "حققت فيها قوائم الكتلة الدستورية بزعامة الشيخ بشارة الخوري فوزاً ساحقاً على مرشحي الكتلة الوطنية بزعامة أميل إده، التي كانت تدعمها السلطات الفرنسية"١٣٦. ازدادت حرارة الاتصالات بين قادة المعارضة إثر هذه النتائج بهدف توحيد مواقفها استعداداً لمواجهة الاستحقاق الدستوري المتمثل بانتخاب رئيس الجمهورية.

ويشير حنا غصن، وهو أحد المقربين من رياض الصلح إلى أن هذا الأخير قد ذهب بعد انتخابات عام ١٩٤٣ إلى دمشق، فاجتمع بالزعماء السوريين الذي نقلوا إليه تأييدهم للشيخ بشارة الخوري مرشحاً لرئاسة الجمهورية، وكان الصلح قد أثار في تلك الاجتماعات مسألة الأفضية الأربعة مطالباً المسؤولين في دمشق الكف عن المطالبة بها، الأمر الذي سيصادف وقعاً إيجابياً لدى عدد كبير من العناصر المسيحية من شأنه أن يقوي عندهم نزعة الاستقلال التام عن فرنسا وتوطيد عناصر التعاون والانفتاح على سوريا والبلاد العربية. وكانت حجة رياض الصلح تدور حول التساؤل التالي "ما الضرر في أن يكون عدد الدول العربية ستة بدلاً من أربعة؟ وأن المسيحيين في لبنان وسوريا لا يفرقون بسهولة بين الإسلام والعروبة. وهذا ما يتيح للاستعمار الغربي فرصة استغلال مخاوفهم واستخدامها لتهديد "العالم العربي"، ولذلك فإنه من الأفضل، لقطع الطريق على مناورات الاستعمار، أن يكون هناك دولة لبنانية عربية تركز الفكرة بأن العروبة لا تعني الإسلام"١٣٧.

وقد وجدت أراء الصلح تأييداً وقبولاً من جانب زعامات الكتلة الوطنية الحاكمة في سوريا ومنها رئيس الجمهورية شكري القوتلي. حيث سعت هذه الكتلة إلى تدعيم مرتكزات الاستقلال السوري في تلك المرحلة، ورأت أن استقلال سوريا يبقى مختلاً وناقصاً إذا لم يستكمل بتحقيق استقلال مواز في لبنان. إنَّ مستقبل الوضع اللبناني كان يشكل الهاجس الرئيسي للوطنيين

١٣٥- الأسبوع العربي: المرجع نفسه، ص ٢٧.
١٣٦- قال كمال جنبلاط: "والحقيقة أنه كان للبريطانيين اليد الطولى في إيصال أعضاء الكتلة الدستورية إلى المجلس النيابي سنة ١٩٤٣ ثم إلى الحكم" (راجع جنبلاط كمال، حقيقة الثورة اللبنانية، ط ٤، المختارة، الدار التقدمية، ١٩٨٧، ص ١٧).
١٣٧- باسم الجسر ميثاق عام ١٩٤٣، مرجع سابق، ص ١٠٩ - ١١٠.

السوريين خشية تمكن الفرنسيين من المحافظة على موقع لهم في لبنان يكون بمثابة رأس جسر متقدم لنفوذهم في سوريا، وتمكنهم من خدمة المصلحة الصهيونية في إقامة دولة قومية مسيحية في لبنان بجوار الدولة القومية اليهودية التي يعمل على إنشائها في فلسطين المحتلة.

وعليه فقد كان الهدف المركزي للكتلة يقضي بتقوية الفرصة على الفرنسيين في استغلال المسألة الطائفية في لبنان، فكان أن كثفت مساعيها من أجل التوفيق بين الزعامات الإسلامية والمسيحية، ودفعها إلى التوافق حول صيغة للتسوية الوطنية. وقد وجدت الكتلة في الاتجاه السياسي الذي يتزعمه الشيخ الماروني بشارة الخوري أنه الأقرب إلى توجهاتها السياسية من حيث إعرابه عن استعداد قوي للدخول في حوار وطني مسيحي - إسلامي يؤدي إلى وضع الأسس العملية لميثاق وطني بين اللبنانيين، "يؤمن التوازن الداخلي لجهة مشاركة سائر الأطراف اللبنانية في السلطة من ناحية، ويوجد قرارها الوطني في إعلان السيادة الوطنية اللبنانية المستقل عن فرنسا والمتعاون إلى أقصى درجات التعاون مع سوريا والبلاد العربية من ناحية أخرى"^{١٣٨}.

لم تكن التوجهات السورية بشأن مستقبل الأوضاع في لبنان تختلف عن تصور القوى الإسلامية اللبنانية وفهمها لهذا المستقبل، فالزعماء المسلمون وفي مقدمتهم رياض الصلح، "رأوا أن إصرارهم على مبدأ الوحدة السورية لن يؤدي إلا إلى زيادة المخاوف المسيحية، ويدفع المسيحيين اللبنانيين بالتالي إلى إنشاء دويلة طائفية ترى أن خيارها الوحيد يكمن في مراهنتها على الحماية الأجنبية والفرنسية منها بشكل خاص، الأمر الذي يجعل من هذه الدويلة بمثابة الخنجر المزروع في خاصرة سوريا والبلاد العربية الأخرى"^{١٣٩}. لذلك باتت مسألة وضع ميثاق وطني بين الفئات اللبنانية المختلفة تحتل مركز الصدارة في اهتمامات العناصر الإسلامية في هذه المرحلة، وهذا ما عبر عنه رياض الصلح الذي بدأ يقول آنذاك: "أنا لست متعصباً، ولكن إذا كان لنا أن نتحالف مع الموارنة فالتحالف مع بشارة الخوري فيه شيء من خدمة العروبة والإسلام"^{١٤٠}.

كانت كتلة الخوري الدستورية تضم عناصر من الفئات المسيحية الكاثوليكية المفتحة على سوريا والمحيط العربي، بسبب منشئها التاريخي من جهة، وبدافع من مصالحها الاقتصادية من جهة ثانية. كذلك الحال نفسه بالنسبة للأسر الأرثوذكسية التي تهاجر دائماً بعروبيتها وتفاخر بها، وهي على الأغلب أسر سورية لجأت إلى لبنان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر^{١٤١}.

^{١٣٨} - محمد مراد: العلاقات اللبنانية - السورية... مرجع سابق، ص ٤٥٧.
^{١٣٩} - مقابلة شخصية أجراها الدكتور حسان حلاق مع الرئيس تقي الدين الصلح بتاريخ ٩ آذار ١٩٧٩ (راجع حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر... مرجع سابق، ص ٢٣٦).
^{١٤٠} - اسكندر رياشي، قبل وبعد ١٩١٨ - ١٩٤١، بيروت، ١٩٥٣، ص ٢٦٤.
^{١٤١} - سليمان تقي الدين، التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية (١٩٢٠ - ١٩٧٠)، دار ابن خلدون، بيروت، لا تاريخ، ص ٥٧.

وعليه فإنّ نزعة الانفتاح المسيحي على المحيط العربي امتلكت بشارة الخوري قبل غيره من الزعماء الموارنة، لكن بشرط استقلال لبنان.

بعد ذلك جاء الموقف السوري الرسمي ليحسم الخيار الإسلامي لصالح بشارة الخوري. فقد قام الرئيس شكري القوتلي بإيفاد رئيس الوزراء السوري سعد الله الجابري، وكان نسيب رياض الصلح، على رأس وفد خاص إلى بيروت، للتوسط لدى القيادات الإسلامية بهدف تأييد الشيخ بشارة في انتخابات الرئاسة الأولى، وكان على رأس الوفد لطفي الحفار وعفيف الصلح اللذين اجتمعا إلى رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وسامي الصلح وصائب سلام، "وانتهى الاجتماع بإعلان تأييد هؤلاء الزعماء للشيخ بشارة الخوري منصب رئاسة الجمهورية"^{١٤٢}.

مما يجب ذكره أن الزعامات الإسلامية كانت ترى في معركة رئاسة الجمهورية مناسبة مهمة ينبغي الاستفادة منها على صعيدين: الأول: تأكيد الحضور الإسلامي في الحياة السياسية اللبنانية، وما يترتب على هذا الحضور من تعزيز للمشاركة الإسلامية في مسؤوليات الحكم وأجهزة السلطة. والثاني: ممارسة الضغط على المرشح لمنصب الرئاسة الأولى في لبنان الحصول على ضمانات تتعلق بتكريس الاستقلال الفعلي للبنان من جهة، وبتوطيد علاقاته السورية العربية من جهة أخرى.

ومن أجل تكريس هذا الاستقلال، وقطع الطريق على أي شكل من أشكال العودة إلى الوطن السوري الأم، بدأت القوى اللبنانية المتمسكة به تروج لمقولة "خصوصية الدولة والمجتمع اللبناني" و"الدور الحضاري المميز للبنان في المشرق العربي"، مما أسهم في تخلي القوى السياسية الإسلامية في لبنان خلال تلك المرحلة عن المطالبة بالوحدة مع سوريا وتبني الشعارات الوطنية "وحدة الكيان السياسي اللبناني" بدلاً من الوحدة مع سوريا، بالرغم من الأضرار البالغة التي ترتبت على ذلك على مستوى البلدين معاً.

بعد ذلك، وكما يذكر بشارة الخوري، عُقد اجتماع ضمه ورياض الصلح في عالية في ١٩ أيلول ١٩٤٣، أنبأه فيه بنيته التعاون معه بأن يسند إليه رئاسة الوزارة الأولى، وكانا على أتم التقاهم، واتفقا على أن يضعاً أسس ميثاق وطني^{١٤٣}. وفي ٢١ أيلول كانت ولادة ميثاق عام ١٩٤٣ الذي لم يكن اتفاقاً مكتوباً، والذي مهدت له كلّ المساعي الوطنية السابقة التي أسهمت في التقارب الإسلامي . المسيحي، ويمكن تلخيص بنوده، المتفق عليها شفهيّاً، بخمس نقاط:

١٠. يتخلى المسيحيون اللبنانيون عن تمسكهم بالحماية الفرنسية أو الأجنبية لهم وللكيان اللبناني.

^{١٤٢} - يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، بيروت، ١٩٦٠، الجزء الثاني، ص - ١٠٨٧.

(- راجع شعيب، مصدر سابق، ص ٢٢٩-٢٣١. ١٤٣)

٢٠. يتخلى المسلمون عن مطلب الوحدة السورية أو الانضمام إلى أي كيان عربي آخر.

٣٠. استقلال لبنان الناجز وسيادته التامة، وعدم ارتباطه بمعاهدة تقيد أو منح دول أجنبية امتيازاً أو مركزاً مميزاً فيه.

٤٠. اعتراف المسلمين اللبنانيين بالكيان الراهن، أي بالحدود الدولية التي أقامتها سلطات الانتداب سنة ١٩٢٠، واعتراف الدول العربية، ولاسيما سوريا، بهذا الكيان وبحدوده واستقلاله.

٥٠. اعتبار لبنان السيد المستقل عضواً في الأسرة العربية متعاوناً إلى أقصى حدود التعاون مع الدول العربية^{١٤٤}.

واتفق طبعاً على أن تكون سوريا على رأس هذه الدول، وليبرز هذا بوضوح منذ انتخاب المجلس النيابي للشيخ بشارة الخوري كرئيس للجمهورية في يوم ٢١ أيلول نفسه، والذي فاز بأكثرية الأصوات^{١٤٥}.

ب . الفترة الثانية (١٩٤٣ . ١٩٥٢) :

بدأت هذه الفترة مع بداية رئاسة بشارة الخوري للجمهورية اللبنانية عام ١٩٤٣ وانتهت بنهاية هذه الرئاسة عام ١٩٥٢. وعكس خطاب الخوري في تأديته اليمين الدستوري التزامه ببنود الميثاق الوطني المذكور، معلناً المنطلقات الأساسية الآتية^{١٤٦} لسياسته:

١٠. مبدأ الاستقلال التام للبنان "لقد كان لبنان وما يزال نزاعاً إلى الاستقلال، فأسأل الله أن يعيننا على خدمة هذا الوطن المستقل، المتمتع بسيادة كاملة غير منقوصة مهما كانت التضحية في سبيل هذه الخدمة الكبيرة".

٢٠. التوازن في المشاركة وتوزيع الحقوق والواجبات بين اللبنانيين. وأن لبنان سيبقى "حريصاً على الإلفة والإتحاد وتحقيق السلام والتوازن والوئام بين أبنائه، بمساعدة جميع اللبنانيين دون استثناء أحد منهم".

٣٠. علاقات تعاون وصداقة متميزة مع سوريا والبلاد العربية في إطار الاستقلال والسيادة الوطنية. وهذا الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شيء يجب أن يظل

^{١٤٤} - الجسر، "الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣، مصدر سابق، مج ٢، الفصل ١٨، ص ٦٨٠-٦٨١. انظر أيضاً تفاصيل عن اتفاق بشارة الخوري ورياض الصلح في عالية على مبادئ الميثاق الوطني، في:

Rabbath، La formation historique du Liban politique et constitutionnel Essai de synthèse, Beyrouth, 1973, P. 545.

^{١٤٥} - الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب، الجلسة الأولى المنعقدة في عام ١٩٤٣، ص ٤.

^{١٤٦} - راجع النص الكامل لخطاب الرئيس الخوري في الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب اللبناني، الجلسة الأولى المنعقدة في أيلول ١٩٤٣ ص ٥ - ٦.

للبلدان المحيطة به جاراً أميناً وأخاً صادقاً تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والإخلاص".

وكلف الرئيس الخوري السيد رياض الصلح برئاسة الحكومة الجديدة في ٢٥ أيلول ١٩٤٣. وكان من الطبيعي أن يعكس بيانه الوزاري بدوره الخطوط العامة لمنطلقات الميثاق الوطني، لكن الجديد الملفت للنظر فيه كان دعوته إلى "العمل على إلغاء الطائفية تدريجياً نظراً لما يعكسه وجودها من مساوئ تسمح روح العلاقات بين السكان"^{١٤٧}. وخاطب البيان المسؤولين في سوريا وسائر الأقطار العربية ساعياً لكسب تأييدها لموقف الحكومة اللبنانية في تجديدها أطر العلاقات اللبنانية . السورية . العربية مؤكداً أن لبنان لا يمكن أن يتحول في المستقبل إلى مصدر للثغرات داخل الوضع العربي يهدد البلاد العربية في أمنها العسكري والاقتصادي والسياسي^{١٤٨}.

على أساس هذه المرتكزات الميثاقية التي تضمنها البيان الوزاري جرت مناقشات النواب داخل المجلس النيابي. وخاطبهم النائب كمال جنبلاط قائلاً: "أنتم لا تدركون تماماً أهمية هذا الوضع من وجهة الحقوق الأساسية والدولية، فإنه لأول مرة في تاريخ لبنان يعترف أهل لبنان الكبير بلبنان مسلميه ومسيحييه ودروزه وشيعته" وأنهى جنبلاط كلامه بالقول: "إني، والعزة تملأ نفسي، أحيي هذه البادرة وهذا العهد الجديد، أحيي لبنان وأحييه بصبغته العربية، لأن العروبة وحدها كانت تكفل لهذه البلاد الوحدة القومية والاستقلال المصان"^{١٤٩}.

أما النتائج التي ترتبت على المعادلة الميثاقية الجديدة فيراها منح الصلح على الشكل الآتي: "تحول عدد كبير من أبناء الطوائف المسيحية عموماً، والموارنة خصوصاً، عن الخيار الفرنسي في طلب الحماية للبنان وضمان مستقبله.

. تخلي الحركة الوطنية السورية عن مطالبتها بالأفضية الأربعة وإعلان اعترافها بحدود لبنان كما أعلنها الجنرال غورو في أول أيلول ١٩٢٠، إذا كان ذلك ما يقنع موارنة لبنان بسلوك السياسة الاستقلالية.

. مناداة المسلمين اللبنانيين بوحدة لبنان، وتخليهم عن فكرة الوحدة السورية، لأنهم اعتقدوا أن إصرارهم على مطلب هذه الوحدة يدفع بجبل لبنان إلى تشكيل دولة طائفية مغلقة وخاضعة للتأثير الأجنبي الدائم^{١٥٠}.

^(١٤٧) - راجع النص الكامل للبيان الوزاري في الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب اللبناني، محضر الجلسة الثالثة ١٩٤٣، ص ١١ - ١٧.

^(١٤٨) - المصدر نفسه، ص ١٧.

^(١٤٩) - الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب اللبناني، محضر جلسة ٧ تشرين الأول ١٩٤٣، ص ٢٣ - ٢٤.

^(١٥٠) - مركز أبحاث السفير، المارونية السياسية، سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٩ - ٣٠.

تجلى التأييد السوري للنهج الميثاقي اللبناني، في الزيارات العديدة التي قام بها زعماء الكتلة الوطنية السورية إلى بيروت وعالية، لتقديم التهاني للرئيس الخوري والصلح، ولإعراب عن تقديرهم للنهج السياسي الذي يعتمده قادة الميثاق الوطني في مطلع العهد الجديد.

وكان من أهم ما قام به البلدان كفاتحة للميثاق هو إقامة الوحدة الجمركية^{١٥١} بينهما في ١٠/١٠/١٩٤٣، التي كانت في آن واحد مظهراً من مظاهر التقارب بينهما وعاملاً مهماً من عوامله، وخاصة بعد أن عدّل الدستور اللبناني بحيث ألغيت منه كلّ المواد والفقرات المتعلقة بالانتداب والدولة المنتدبة، وبحيث جعلت اللغة العربية لغة رسمية وحيدة للبنان^{١٥٢}. وكان أن قامت السلطات الفرنسية في ليل ١٠ . ١١/١١/١٩٤٣ باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء معلنة تعيين إميل إدّه رئيساً لجمهورية لبنان، مما أدى إلى توحيد الصفوف الإسلامية والمسيحية وتوحيد موقف المفتي محمد توفيق خالد والمطران الماروني إغناطيوس مبارك^{١٥٣} في مؤتمر وطني وثورة شعبية كان لها تداعياتها العربية، ومنها المظاهرات في سوريا والعراق ومصر وفلسطين^{١٥٤}، وتداعياتها الدولية ومنها التحذيرات البريطانية والأمريكية^{١٥٥}، مما اضطر فرنسا إلى إطلاق سراحهم وإعادتهم إلى مناصبهم الرئاسية في ١٩٤٣/١١/٢٢.

كان على السياسة الوسطية في عهد رئاسة الخوري أن تخدم حيناً توجّه التقارب بين سوريا ولبنان، وأن تخدم حيناً آخر توجّه التباعد بينهما. فيما يخصّ سياسة التوجه الأول برز، بالإضافة إلى ما ذكر، إسهامهما معاً في مشاورات الوحدة العربية التي انتهت إلى رفض مشروع سوريا الكبرى والهلال الخصيب لصالح الاتحاد العربي في إطار تأسيس جامعة الدول العربية، فكان إعلان شكري القوتلي "خلال استقبال الجماهير الحاشدة له بعد عودته من اجتماعات تشكيلها في الإسكندرية: ليعلم كلّ من يهمه الأمر... بأنّه لن يرتفع علم فوق هذا العلم إلا راية العروبة"^{١٥٦}. وأصبح ميثاق هذه الجامعة نافذ المفعول منذ ١١ أيار ١٩٤٥^{١٥٧}، وانتهى الخلاف الذي كان بين الوفدين السوري واللبناني بدايةً، حيث كان الموقف السوري في طرح مشروع الوحدة السورية مجدّداً معارضاً لموقف لبنان المصرّ على استقلاله عنها وعلى رفض كل المشاريع الوحدوية مركزاً على مسألة التعاون بين الدول العربية ليس إلّا. "وأشار سعد الله الجابري رئيس الوزراء السوري في مصر أثناء مشاورات الوحدة إلى أنّ الأكثرية الساحقة من

(- مذكرات خالد العظم، طبعة ثانية، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣، المجلد الثاني، ص ٨. ١٥١)

(- راجع الدستور مع تعديلاته في: محاضر مجلس النواب اللبناني، مضبطة الجلسة الثالثة في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٥، ١٥٢)

(١٥٣) Spears to F. O. No . E. 497, of 14 Nov. 1943 in F. O. 371/62193/89.

(- Cf. LONGRIGG, Stephen H.; Syria and Lebanon Under French Mandate London 1958, p.332. ١٥٤)

(- Cf. CATROUX generat G, Dans la Bataille de la Mediterranée, Egypte – Levant – Afrique du Nord 1940 – 1944 , paris, 1949, pp. 412-432. ١٥٥)

(- انظر وليد المعلم، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨ (التحدي والمواجهة)، شركة بابل للنشر، نيقوسيا- قبرص، ١٩٨٥، ص ٥٣. ١٥٦)
(- أحمد الشقيري، الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، تونس: دار بوسلامة، ١٩٧٩، ص ٦٠ - ٦١. ١٥٧)

سكان لبنان المسيحيين والمسلمين يرغبون بالانضمام إلى سوريا بلا قيد أو شرط، واشترط الجابري أنه في حال رفض لبنان لموضوع الوحدة فعلى لبنان أن يرد إلى سوريا الأجزاء التي سبق أن انتزعت عام ١٩٢٠^{١٥٨}، لكن ولأسباب المذكورة سابقاً اتفق الطرفان على الوحدة ولكن من خلال الاتحاد العربي في جامعة الدول العربية.

ثمّ كان جلاء القوات الفرنسية المحتلة عنهما في عام ١٩٤٦^(١٥٩)، وخوض الحكومتين اللبنانية والسورية مفاوضات رسمية مع فرنسا لحل المشكلات الإدارية العالقة وأهمها مشكلة النقد، وذلك من خلال "المجلس الأعلى للمصالح المشتركة". وهنا ظهر تباين في مواقف البلدين انتهى بتوقيع لبنان وفرنسا اتفاقاً، في حين رفضت الحكومة السورية توقيع أي اتفاق، وعبرت عن استيائها من تفرد لبنان بالتوقيع الذي أدى بالنتيجة إلى تثبيت سعر صرف الليرة اللبنانية، بينما تدنى سعر صرف الليرة السورية. ودفع إصرار لبنان على توقيع الاتفاق سوريا إلى القيام "بإقفال الحدود معها في شباط ١٩٤٨ وإلغاء المجلس" المذكور^{١٦٠}. وكان أن اتخذت الحكومة اللبنانية موقفاً اقتصادياً يقضي بمنع خروج الذهب والعملات الأجنبية إلى سوريا، كما رفضت المصارف اللبنانية التعامل بالليرة السورية. وانفرد كل من البلدين اعتباراً من هذا التاريخ في تحديد سياسته النقدية والضريبية والإنتاجية.

لا شك أنّ الموقف السوري واللبناني الرسمي الواحد من قضية فلسطين، في إطار مؤتمرات جامعة الدول العربية، وبخاصة الرفض لقرار تقسيم فلسطين الذي صدر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، قد أسهم في التقارب السوري اللبناني. وهنا من المفيد التذكير بأنّ اللبنانيين منذ عهد الانتداب كانوا قد انقسموا على أنفسهم حيال القضية الفلسطينية، بحيث وقفت القوى الوطنية الإسلامية والمسيحية إلى جانب الشعب الفلسطيني في محنته، وشكّلت بعض قواها السياسية والحزبية عام ١٩٤٤ "اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية"، بينما وقفت القوى العميلة الطائفية إلى جانب الحركة الصهيونية آملة تحقيق "الوطن القومي اليهودي وتحقيق الوطن القومي المسيحي"^{١٦١}. وكان إميل إده أثناء رئاسته للجمهورية اللبنانية (١٩٣٦ - ١٩٤١) قد اجتمع في باريس برئيس الوزراء الفرنسي ليوم بلوم اليهودي وتباحثا في العلاقات اللبنانية . الصهيونية،

مضبطة مشاورات الوحدة العربية ١٩٤٣ . ١٩٤٤ . ص ٢٨-٢٩، وحلاق، التيارات السياسية...، مرجع سابق، ص ٦٣٦ .^(١٥٨)

^(١٥٩) - راجع شعيب علي عبد المنعم، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨ - ١٩٤٦، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٦٣ - ١٧٠ وتقي الدين منير، الجلاء: وثائق خطيرة تنشر لأول مرة تكشف النقاب عن أسرار جلاء القوات الأجنبية عن لبنان وسورية عام ١٩٤٦، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧.

- أنطوان حكيم، "العلاقات اللبنانية السورية ١٩١٨ . ١٩٥٠" (الحركة الثقافية، انطلياس، كتاب العلاقات اللبنانية . السورية،^(١٦٠)

١٩٩١)، ص ٦٨.

(- حلاق، التيارات السياسية...، مرجع سابق، ص ٣٨٧-٥١٩، و٦٣٧-٦٣٨.^(١٦١)

"وكان من ذيول هذه المباحثات تسهيل بيع أراضي في جنوب لبنان لبعض الشخصيات اليهودية"^{١٦٢}.

والأمر الملفت للنظر أن زعامات القوى العميلة الطائفية التي كانت من ضمن الأقليات التي ربطها الأمبرياليون بهم عبر امتيازات كانت ترفضها الأكثرية الساحقة من الشعب، ومنها بعض بطارقة ومطارنة الموارنة^{١٦٣}، قد استمرت تنظر إلى قضية فلسطين بما يخدم المشروع الصهيوني، ولهذا فقد قدم المطران إغناطيوس مبارك مذكرة (لإنشاء وطنين مسيحي في لبنان ويهودي في فلسطين) إلى لجنة التحقيق الدولية عام ١٩٤٧ بالتعاون مع الرئيس أميل أده والنائب يوسف كرم وسواهما، جاء فيها أنه لا بد من إنشاء وطنين في المنطقة وطن مسيحي في لبنان ووطن يهودي في فلسطين وسيكونا "مرتبطين ببعض جغرافيا ويتساندان ويتعاونان اقتصادياً ويكونان جسراً لا بد منه بين الشرق والغرب"^{١٦٤}. وكان الموارنة الوطنيون هم أول من تصدّى لهذا الطرح المتعصب وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية بشارة الخوري وبعض النواب مثل حميد فرنجية ورئيس أبي اللع، وعلى أنه "يسيء إلى المسلمين ويسيء إلى نصارى لبنان"^{١٦٥}. لكن هذه الإساءة لم تكن تهم لا فرنسا، ولا بريطانيا، ولا الولايات المتحدة الأمريكية، ولا بقية القوى الغربية الاستعمارية، فكان دعمها للاحتلال الصهيوني في الحرب العربية . الصهيونية الأولى في أيار ١٩٤٨ إثر قيام القوات الصهيونية المحتلة بإعلان تشكّل ما دعت به "دولة إسرائيل"، وكانت الهزيمة العربية، واعترفت منظمة الأمم المتحدة، بتأثير الضغوط الأمريكية بهذه الدولة.

في عام ١٩٤٩، ورغم إعادة انتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية، ونتيجة لقيام المعارضة بتشكيل جبهة ضده، وكذلك لقيام الانقلابات العسكرية المتتالية في سوريا وما رافقها من غياب للاستقرار ومن صراعات بين كلّ من المحورين، المصري . السعودي، والعراقي . الأردني الهاشمي، فقد زاد التباعد السياسي بين نظامي البلدين. وبتاريخ ٧ آذار ١٩٥٠ وجهت حكومة خالد العظم، في عهد رئاسة أديب الشيشكلي، إلى الحكومة اللبنانية مذكرة "تقترح فيها إقامة وحدة اقتصادية تامة بين البلدين تتناول بصورة خاصة توحيد نظامهما الجمركي والنقدي وسياستها الاقتصادية في التصدير والاستيراد وتوحيد معدلات الضرائب، كل ذلك على أسس

(- المرجع نفسه. 162)

. المرجع نفسه، وانظر محفوظات محمد جميل بيهم الوثائقية. 163)

. النهار . العدد ٣٧٠٠ ، ٣٠ أيلول ١٩٤٧. 164)

. الخوري، حقائق لبنانية . ج ٣ . ص ٥١٦ . ٥١٩. 165)

عادلة تضمن فوائدهما المتبادلة على أن تدار المصالح المشتركة ومصالح الجمارك على قدم المساواة والتكافؤ^{١٦٦}.

ردت الحكومة اللبنانية في ١٠ آذار على مذكرة دمشق بالرفض وأكدت أنها إذ تفتح باب التشاور على مصراعيه، لا يسعها التسليم بالاقترح الوارد في المذكرة. وذلك أنه إذا كان البلدان مكملين لبعضهما في الشؤون الاقتصادية، فلا يمكن أن يتجاوز هذا الواقع حد انتهاج سياسة تركز على تنسيق اقتصادي يحفظ لكل منهما طابعه الخاص ووضعه الطبيعي، كما أنه لا يمكن التسليم بما تضمنه الاقتراح السوري بشأن النقد، إذ أن تحقيقه يفرض حتماً توحيد الإصدار وعناصر التغطية كما يؤدي إلى توحيد في العمل المالي والاقتصادي والتشريع السياسي، وفي ذلك انتقاص من سيادة الدولتين.

حين تبلّغت الحكومة السورية الجواب قررت في ١٥ آذار ومن جانب واحد إلغاء الوحدة الجمركية مع لبنان وإقرار القطيعة الاقتصادية معه، أمره بمنع المسافرين والبضائع من اجتياز الحدود إليها، فكانت أزمة عام ١٩٥٠ بينهما^{١٦٧}. وكان أن انتهج كل من البلدين نهجاً خاصاً به في الميدان الاقتصادي، فبينما اختار لبنان الاقتصاد الحر وسياسة الباب المفتوح، واعتمد أساساً على التجارة والخدمات، اختارت سوريا نظام الاكتفاء الذاتي والحماية الجمركية، وعملت على تطوير صناعاتها وتحسين إنتاجها الزراعي. ومع ذلك فقد رفضت وزارة عبد الله أليافي اقتراح الرئيس بشارة الخوري بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع سوريا التي كانت وزارة خالد العظم فيها قد رفضته^{١٦٨}.

بعد اغتيال رياض الصلح سنة ١٩٥١ في الأردن التي سافر إليها غير مبال بتحذيرات ابن عمه سامي الصلح^{١٦٩}، وتوجهات سوريا الجديدة في عهد حكم الشيشكلي (١٩٤٩ . ١٩٥٤) وأزمة عام ١٩٥٠ (١٧) التي انتهت باتفاقية ٤ شباط ١٩٥٢ بين البلدين، وقيام ثورة تموز في مصر ١٩٥٢ التي أقصت فيها عن الحكم نظاماً عربياً كان قد شارك، مع نظام الكتلة الوطنية في سوريا، في دعمه ووضع ميثاق عام ١٩٤٣، وتساعد المعارضة في عصيان مدني ضده، قدّم بشارة الخوري استقالته من رئاسة الجمهورية في ١٨ أيلول ١٩٥٢، وبدأت الفترة الثالثة.

ج . الفترة الثالثة (١٩٥٢ . ١٩٥٨):

حكيم، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٦٦.

(- حول كلّ شيء عن هذه الأزمة راجع: العظم، مصدر سابق، ص ٨-١٦٧.

(- المصدر نفسه، مجلد ثاني، ص ٧٥-٧٦، وحلاق، التيارات السياسية...، مرجع سابق، ص ١٦٨، ١٦٩.

(- الصلح سامي، أحتكم إلى التاريخ، بيروت، ١٩٧٠، ص ٩٦-١٦٩.

(- راجع: حسن الحكيم، مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٥٨، ص ٢٠٥-٢٠٩. ١٧٠.

أسفرت الانتخابات إثر استقالة بشارة الخوري عن انتخاب كميل شمعون كرئيس للجمهورية بدعم وبقرار من الرئيس السوري أديب الشيشكلي والدوائر الأمريكية . البريطانية، فكان أن تعرض الميثاق الوطني اللبناني للانتكاسة الجدية الأولى بعد خمس عشرة سنة من الاستقلال، وكان من الطبيعي أن يلحق به ضعف شديد بعد ما لحقه من وهن عبر أخطاء متعددة في تطبيقه^{١٧١}. وكان من الطبيعي أيضاً أن تشكل سياسة شمعون لصالح ضمّ لبنان إلى المشاريع والأحلاف الغربية، والمتناقضة مع السياسة السورية بهذا الشأن^{١٧٢}، عامل تباعد بين البلدين في هذه الفترة.

جاء كميل شمعون إلى الرئاسة خلال العصيان المدني الذي أجبر بشارة الخوري على الاستقالة، وكان ينتمي إلى المدرسة الدستورية، المائلة إلى التعاون مع الغرب وزعامته الأمريكية، والتي تحالفت مع بريطانيا من أجل إقامة أحلاف عسكرية لتطويق الإتحاد السوفييتي بحجة ما دعي بـ"الخطر الشيوعي، من جهة، ورداً على النهوض السياسي القومي العربي الذي شهدته المنطقة بعد هزيمة عام ١٩٤٨ وقيام الكيان الصهيوني"^{١٧٣} من جهة أخرى، ولتتابع في الخمسينيات مشاريع وأحلاف عدة غربية، بدءاً بمشروع النقطة الرابعة، ومروراً بحلف بغداد والحلف الإسلامي، وانتهاءً بمشروع أيزنهاور.

في عام ١٩٥٦، وإثر تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي، الصهيوني . البريطاني . الفرنسي، على مصر، وخروج جمال عبد الناصر من هذا العدوان محققاً أهدافه السياسية بتأميم القناة، ازدادت شعبية عبد الناصر في الوطن العربي، لاسيما في الأوساط الإسلامية في لبنان، التي رأت فيه بطلاً قومياً جديداً، تحدى الدول الغربية، وصمد في وجه عدوانها العسكري، بخاصة أنه كان يرفع شعارات قومية عربية ثورية تشمل الوطن العربي، وتتناهض الاستعمار الغربي. ولما كان الشعور الغالب في الأوساط الإسلامية هو مقارعة الغرب، "فإن جمال عبد الناصر تمكن من جلب تيار إسلامي نادى بالوحدة العربية والاشتراكية وسياسة عدم الانحياز ورفض الأحلاف العسكرية"^{١٧٤}. ولم يكن مسلمو لبنان إلا جزءاً مهماً من هذا التيار العروبي الذي تجاوز حدّ التأثير بأفكار عبد الناصر إلى حد تبنيها.

وفي الوقت الذي وقفت فيه سوريا بكل إمكانياتها مع مصر ضد العدوان، فإنّ الرئيس شمعون رفض قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا لاشتراكهما في العدوان على مصر. وفي آذار ١٩٥٧ أعلن انضمام لبنان إلى مشروع أيزنهاور الأمريكي الذي كان هدفه

(١٧١)- الجسر، "الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣: مقدماته، مرجع سابق، مج ٢، الفصل ١٨، ص ٦٨٩.

(١٧٢)- للتوضيح قارن بين مواقف النواب بهذا الشأن، وعلى سبيل المثال، في محاضر المجلس النيابي في كلّ من سوريا ولبنان في ١٧٢

عام ١٩٥٥.

(١٧٣)- تقي الدين سليمان، المسألة الطائفية في لبنان...، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(١٧٤)- الجسر، الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣، مرجع سابق، ص ٦٩١.

الأساسي تولي الولايات المتحدة الأمريكية تنسيق وسائل الدفاع الغربية في المنطقة، والتعاون مع الدول العربية للدفاع عن "الشرق الأوسط" من "الخطر الشيوعي". وكان هذا الخطر المزعوم لإلهاء الدول العربية عن الخطر الصهيوني الحقيقي.

إن هذه السياسة التي اتبعتها الرئيس شمعون هي بمثابة إعلان صريح بانحياز لبنان إلى الغرب ومعاداة تيار القومية العربية الذي قاده سوريا ومصر عبد الناصر في تلك الفترة، الأمر الذي أثار حملة مصرية . سورية ضد سياسة حكومته، ما لبث المسلمون اللبنانيون أن تأثروا بها. وهكذا أصابت السياسة الشمعونية النقطة الحساسة من العلاقات اللبنانية، في محاولتها فرض سياسة الانحياز إلى المعسكر الغربي على لبنان. "فقاد شمعون ثورة مضادة، رعتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية وانخرطت في إطار معسكر عربي . شرق أوسطي في مواجهة المد الناصري"^{١٧٥}.

مع بداية عام ١٩٥٧ ارتبط النزاع اللبناني على السياسة الخارجية بالنزاع السياسي الداخلي الذي قسم الأوساط السياسية اللبنانية إلى فريقين: أحدهما يسعى إلى التجديد للرئيس شمعون وهو الاتجاه السياسي نحو ربط لبنان بالغرب وأكثرية مسيحية، والثاني يعارض هذا التجديد وهو الاتجاه السياسي نحو ربط لبنان بالقومية العربية وعبد الناصر وأكثرية إسلامية. إلا أن التوتر الحقيقي لم يبدأ إلا في مطلع عام ١٩٥٨ بعد وحدة سوريا ومصر وإعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر، والتي اتسم الموقف اللبناني الرسمي منها بالفنور والتجاهل^{١٧٦}، وأخذ الرئيس شمعون بالتهجم عليها وإثارة مخاوف المسيحيين اللبنانيين ضدها^{١٧٧}. فاندفعت الأوساط الوطنية اللبنانية وبخاصة الإسلامية في موجة كاسحة من التأييد لها ولعبد الناصر رافعة الأعلام السورية والمصرية^{١٧٨}، وبدعم مادي ومعنوي من القاهرة^{١٧٩}. وارتفعت درجة التوتر بين الحكومة اللبنانية والقاهرة، وازداد الانقسام الداخلي اللبناني حدة.

وكانت قوى المعارضة قد بدأت عصياناً مسلحاً، سرعان ما توسع ليشمل المناطق اللبنانية. وبدأت التظاهرات المؤيدة للوحدة السورية المصرية وللرئيس عبد الناصر تتكرر وتزداد شدة، "وجاء اغتيال الصحافي نسيب المتني ليشعل ثورة مسلحة وحرباً أهلية في غالبية مناطق ومدن

^{١٧٥}- تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان، مصدر سابق، ص ٣٢٥.

(- انظر رسالة السفير المصري في لبنان عبد الحميد غالب إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية في ١٩٥٨/١/٣١ (وثائق وزارة

الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، محفظة رقم ٨٦٣، ملف رقم ٣٣ ج١).

(- انظر تقرير السفارة المصرية، بيروت رقم ١٣، تاريخ ١٩٥٨ / ٢ / ٢٨ (وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم ١٠٧، ملف

رقم ٣/٨٦/٧٥٢ ج٣).

(- انظر جريدة النهار، عدد ٦٧٩٧، ١٩٥٨/٢/٢، ص ١٧٨.

^{١٧٩}

(- See Foreign Office, 371/131323./From British Embassy in Washington to

Foreign Office, June 24-1958, Secret.

لبنان^{١٨٠}. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، والتخوف الغربي من إمكانية الوحدة العربية المشرقية، أنزلت بريطانيا قواتها في الأردن، وأنزلت الولايات المتحدة الأمريكية، في ١٥ تموز، أسطولها السادس في الساحل اللبناني^{١٨١}. وتفاقمت الأزمة اللبنانية، ولم تنته إلا بعد التفاهم المصري - الأمريكي على مبدأ "لا غالب ولا مغلوب"، والذي أسفر عن انتخاب قائد الجيش فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في ٣١ تموز ١٩٥٨، وانتهت فترة حكم شمعون التي خرقت كلياً الميثاق الوطني اللبناني.

إن سياسة لبنان الخارجية، والعربية بشكل أخص، كانت عنصراً أساسياً في الأزمة الداخلية في عام ١٩٥٨، من حيث أنّ الكيان اللبناني والموقع المسيحي الخاص فيه الذي اعترفت الدول العربية به وبخاصة سوريا، هو ذاك الملتزم بالميثاق الوطني. هذا ما ورد في بروتوكول الإسكندرية، وفي ميثاق جامعة الدول العربية. وعني الميثاق الوطني بشكل أساسي بأن يكون لبنان متعاوناً إلى أقصى درجات التعاون مع العرب، وبشكل خاص أولئك الذين طالبوا في عام ١٩٤٣ بالتسامح حيال هذا البلد الشقيق الصغير. من هنا أجمع الذين عارضوا سياسة كميل شمعون على أن هذا الأخير قد أحلّ بالميثاق الوطني. وبنهاية فترة رئاسته وبداية رئاسة فؤاد شهاب بدأت الفترة الرابعة من المرحلة المعنية بالدراسة فيما يخص العلاقات السورية . اللبنانية، والممتدة حتى رئاسة سليمان فرنجية في لبنان وقيام الحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠.

د . الفترة الرابعة (١٩٥٨ . ١٩٧٠):

كان فؤاد شهاب قائداً للجيش اللبناني، وأول ما تميّز به هو رفضه المستمر لانخراط هذا الجيش في مشكلات الداخل وممارسة العنف فيه حين اختلف اللبنانيون، ومنه رفضه في أزمة عام ١٩٥٨ طلب رئيس الجمهورية كميل شمعون بإنزاله إلى الشارع لمواجهة المعارضة الوطنية ذات الأغلبية الإسلامية. وقد شكل موقف شهاب هذا عاملاً بارزاً في منع انتشار الاضطرابات في البلاد، "إذ رفض توريط الجيش في الحرب القائمة بحجة أن ذلك سيؤدي إلى انهياره"^{١٨٢}. هذه السياسة دعمت وصول فؤاد شهاب عام ١٩٥٨ إلى رئاسة الجمهورية "برضا محلي ودعم عربي

^{١٨٠}- الصليبي كمال، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ص ٢٥٠، و جنبلاط كمال، حقيقة الثورة اللبنانية، مصدر سابق.

^{١٨١}- المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

^{١٨٢}- نواف كيار، "الشهابية مشروع بناء الدولة في لبنان، ١٩٥٨ - ١٩٧٠" (في: مركز الحريري الثقافي، أبحاث وتوثيق، لبنان في تاريخه وتراثه، مج ٢، الفصل ١٩، ص ٦٩٧).

ودولي. وقد عمل بعد توليها باتجاهين: داخلي وخارجي، لإزالة آثار أزمة عام ١٩٥٨ المذكورة، والتي ولدت انقساماً داخلياً بين اللبنانيين، فكان هدفه الأول إزالة الآثار الداخلية وإعادة وصل ما انقطع، والخطوة الأولى توجهت إلى تعزيز التمثيل السياسي من خلال تشكيل حكومة جديدة مثلت فيها التيارات اللبنانية، برئاسة رشيد كرامي، أحد أبرز زعماء ثورة عام ١٩٥٨.

لكن قول كرامي إثر تشكيل حكومته: "جننا اليوم نقطف ثمار الثورة" أشعل في البلاد ما عرف بـ "الثورة المضادة" التي حركها حزب الكتائب، فقطعت الطرق، ورفعت المتاريس في الشوارع. لكن هذه الثورة لم تدم طويلاً، وانتهى الأمر بتأليف حكومة جديدة هي حكومة الأربعة: "أي رشيد كرامي وحسين العويني عن المسلمين وبيار الجميل وريمون إده عن المسيحيين"^{١٨٣}، والتي استطاعت إعادة الحياة الطبيعية والأمن والاستقرار إلى لبنان^{١٨٤}. وكان شهاب يرى أن من الصعوبة بمكان معالجة آثار الثورة إذا لم يدخل الكل إلى مجلس النواب. وهكذا كان فقد أسفرت انتخابات عام ١٩٦٠ عن "دخول معظم قادة الثورة و"الثورة المضادة" إلى هذا المجلس"^{١٨٥}.

رأت "الشهابية"^{١٨٦} أن سياسة لبنان تجاه الدول العربية كانت على رأس المسائل التي سببت الأزمة، فأول خطوة قام بها الرئيس فؤاد شهاب كانت إعادة العلاقات اللبنانية . العربية إلى مجراها الطبيعي، خصوصاً مع الجمهورية العربية المتحدة. "وقد بدأ ذلك منذ اللقاء مع جمال عبد الناصر على الحدود السورية اللبنانية"^{١٨٧}. وإن الذي جعل هذه العلاقات تستقر في سنوات حكم فؤاد شهاب الست حتى عام ١٩٦٤، هو بروز حركة التحرر العربي والوجود القوي للحركة القومية العربية، أولاً، ووجود التوازن الدولي الجديد الذي ألقى بظله على منطقة "الشرق الأوسط"، والتسوية التي انعقدت بين المعسكرين الدوليين، بعد أزمة جدار برلين والأزمة الكوبية (مرحلة الانفراج بين الشرق والغرب) ونظمت حدود الصراعات العربية، ثانياً، فقد عرفت العلاقات السوفيتية . الأمريكية انفراجاً خفّت معه عناصر التوتر المحلية تبعاً لتراجع الهجمة الأمريكية والأحلاف العسكرية التي حاولت أن تفرضها في المنطقة.

من الملفت توجهات السياسة الشهابية الجديدة على صعيد العلاقات اللبنانية بالمعسكر الغربي، حيث تعززت علاقات لبنان الاقتصادية بالمركز الأمريكي على حساب العلاقات السابقة مع كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا. والميزان التجاري لعام ١٩٦٠ يعكس هذا النفوذ، "ففي حين كانت فرنسا في عهد الانتداب صاحبة المركز الأقوى، ثم بريطانيا منذ عام ١٩٥٠ حتى عام

^{١٨٣} - باسم الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، مرجع سابق، ص ٤٨.

^{١٨٤} - المرجع نفسه، ص ٥٠.

^{١٨٥} - باسم الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، مرجع سابق، ص ٥٦.

(- راجع كبراءة، مرجع سابق..^{١٨٦}

^{١٨٧} - تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

١٩٥٨، شهدنا انطلاقاً من عام ١٩٦٠ تصدراً للموقع الأمريكي على حساب المواقع الأخرى^{١٨٨}.

لكن رئاسة شهاب قد ضعفت بفعل عوامل كثيرة أهمها اثنان: أولهما صراع شهاب مع صائب سلام الذي كان قائد ثورة بيروت والقطب الإسلامي الأكثر بروزاً بعد رشيد كرامي، والذي ترأس حكومتين خلال فترة السنة ونصف التي أمضاها في الحكم مع شهاب، وتحققت خلالها إصلاحات عديدة. لكن هذه الفترة شهدت ولادة الخلاف بين الزعيمين الذي تعددت أسبابه، لكنها كانت مزيجاً من الأسباب الشخصية والسياسية والإدارية، ومنها أنّ صائب سلام "كان حريصاً على إعطاء رئاسة الوزارة دوراً أساسياً في الحكم، أي دور المشاركة مع رئيس الجمهورية في اتخاذ القرارات"^{١٨٩}. وثانيهما تدهور الأوضاع السياسية في المنطقة، ومن أبرزها سقوط الوحدة بين سوريا ومصر إثر الانقلاب الذي تمّ في سوريا في أيلول ١٩٦١.

من المؤكد أنّ التآمر الخارجي منذ تشكل دولة الوحدة السورية . المصرية لم يتوقف لا ضدها ولا ضدّ زعامتها الناصرية بتوجهها القومي العربي، ومنه استغلال الممارسات الخاطئة لبعض سلطاتها الحاكمة في كلّ من سوريا ومصر . وكان من الطبيعي أن يمتدّ هذا التآمر ليشمل رئاسة شهاب في لبنان على أنّها ممثلة للنفوذ الناصري فيه، وذلك بدعم بشكل خاص من حكومتي العراق والأردن. فكان أن نشطت في لبنان كلّ الأحزاب المعادية للناصرية من أجل إلغاء أي وجود لها فيها، ومنه تأجيج البلاد ضدّ السياسة الشهابية، وكذلك المحاولة العسكرية الانقلابية الفاشلة أثناء أعياد رأس السنة الميلادية عام ١٩٦١، بدعم من أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي، والتي أخفقت بتكاتف الضباط المؤيدين لفؤاد شهاب الذين تمكنوا بسرعة من قمعها^{١٩٠}.

شكلت هذه المحاولة بداية خروج ضباط الجيش، ولاسيما المكتب الثاني، من الدور المستتر الذي كانوا يقومون به كمعاونين لرئيس الجمهورية، إلى الظهور العلني وبداية بروز نفوذهم وتدخلهم المباشر في السياسة والتوجيه والحكم، حيث أن عمليات قمع الانقلاب ومطاردة الانقلابيين وتوقيف مئات الأشخاص في ثكنات الجيش، أعطت هذا الجيش وضباط المكتب الثاني سلطة فعلية ونفوذاً كبيراً^{١٩١}. ومنذ الانقلاب الفاشل تغيرت صورة الشهابية وأسلوبها بعد أن تجمعت السلطة بيدها، وانتقلت من محاولة إصلاحية تراعي التيارات الداخلية إلى طموح "غرس الدولة في أعماق المجتمع" حسب تعبير وضاح شرارة^{١٩٢}. وإذا كانت فترة حكم الانفصال في

^{١٨٨}- المصدر نفسه، ص ٣٤١.

^{١٨٩}- الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، مرجع سابق، ص ٦٠.

^{١٩٠}- كيار، مرجع سابق، ص ٧٠٣.

^{١٩١}- الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، مرجع سابق ص ٦٨.

^{١٩٢}- وضاح شرارة، السلم الأهلي البارد، سلسلة الدراسات السياسية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج ١، ص ٣٩.

سوريا (أيلول ١٩٦١ . آذار ١٩٦٣) قد أسهمت في التراجع الواضح في العلاقات السورية . اللبنانية على المستوى الرسمي في هذه الفترة، فإن ثورة آذار ١٩٦٣، وبداية حكم حزب البعث العربي الاشتراكي بتوجهه القومي العربي في سوريا، ستسهما من جديد في تحسين هذه العلاقات بشكل ملموس.

غير أن الانتخابات النيابية عام ١٩٦٤ في لبنان أدخلته في متاهات جديدة، فقد خسر زعيمان مارونيان مقعديهما في المجلس الجديد، هما كميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الأحرار، وريمون إده عميد الكتلة الوطنية، فاتهما الشعب الثانية في الجيش بالتدخل، وراحا مع باقي الزعماء المسيحيين يؤلبون الرأي العام، ولاسيما الماروني، لمعارضة تعديل الدستور وإعادة انتخاب فؤاد شهاب، وقد اعترف غابي لحدود أحد أبرز قادة الشعب الثانية "بأن تدخل الشعب الثانية في الانتخابات ساهم في إسقاط كميل شمعون"^{١٩٣}. وعلى الرغم من حصول شهاب على أغلبية برلمانية تمكنه من المضي في موافقته على تعديل الدستور، فإنه امتنع عن التجديد، ورشح وزير التربية آنذاك شارل حلو لرئاسة الجمهورية.

سببت سياسة الرئيس الجديد في إقامة توازن بين الكتلة الشهابية والتجمع الماروني المعارض "آثاراً سلبية عميقة على الاستقرار في البلاد، فبدأ استياء الفئات الشعبية بالظهور عبر المظاهرات والإضرابات والاضطرابات التي عمت معظم المدن الكبرى"^{١٩٤}. ولا شك أن موافقة مجلس النواب اللبناني في كانون الثاني ١٩٦٥ على دخول قوات عربية إلى الأراضي اللبنانية لحماية عملية تحويل مجرى نهر الحاصباني كيلا يستفيد منه الكيان الصهيوني^{١٩٥}، كانت من ضمن عوامل التقارب بين سوريا ولبنان في فترة رئاسة شارل حلو. بعد ذلك بدأت حركة النضال الفلسطيني تأخذ أبعادها السياسية متفاعلة مع تطورات الأحداث على الساحة العربية وظهور سلسلة تغيرات في الموقف العربي بدأت تشكل بحد ذاتها تهديداً مباشراً للسياسة الإمبريالية الأمريكية وللكيان الصهيوني وللقوى الانعزالية اللبنانية.

أولها: ظهور الكفاح المسلح الفلسطيني لقوات "العاصفة"، الجناح العسكري لحركة تحرير فلسطين "فتح"، الذي انطلق مع بداية عام ١٩٦٥ مدعوماً من سوريا وعبد الناصر، والذي لم يقتصر العمل الفدائي فيه على الفلسطينيين، بل أخذ ينضم إليه المناضلون من جميع الأقطار العربية. التغير الثاني كان قيام حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ في سوريا، والتي التقى فيها العمل الفدائي الفلسطيني مع إستراتيجية حرب التحرير الشعبية التي طرحها حزب البعث العربي الاشتراكي بعد قيامها، فانتشرت في سوريا معسكرات تدريب الفدائيين الذين أخذوا ينطلقون منها

^{١٩٣} - مقابلة مع الضابط غابي لحدود ضمن سلسلة غابي لحدود يتذكر، نشرتها: الوسط، في العدد ٣٣٩ (١٩٩٨).

^{١٩٤} - كباره، مرجع سابق، ص ٧١٠.

^{١٩٥} - تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان، المصدر السابق، ص ٣٥٤.

في عمليات متصلة ضد العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة. وأخذ العمل الفدائي بالتعاظم، وبدأ يلحق بالعدو الصهيوني خسائر بالأرواح والممتلكات. التغير الثالث والمهم كان التقارب السياسي السوري . المصري، وتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك في الرابع من تشرين الثاني ١٩٦٦.

كلّ هذه التغيرات كانت لصالح الاتجاهات السياسية الوطنية التقدمية في لبنان، ولكن انتكاسة نظامي البعث والناصرية القوميين التقدميين، أثناء العدوان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧، والتي كانت الدول العربية فيها "ضحية فح نُصب بدهاء ومكر عظيمين أعدته بعناية الدوائر الصهيونية والغربية"^{١٩٦}، إضافة إلى أن احتدام الصراع بين السعودية وعبد الناصر كان لصالح الاتجاهات السياسية الطائفية فيها. بعد الانتصار الصهيوني لهذا العدوان شعر قادة العدو أنهم غدوا أقوى إلى درجة تسمح لهم بتكثيف الضغط على لبنان. وظهر ذلك بوضوح في تصريح وزير الخارجية الصهيوني في آب ١٩٦٧، بأن اتفاقية الهدنة مع لبنان غدت ملغاة، وبدأ الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٦٨ بسلسلة من الاعتداءات عليها. في هذه الأجواء اندفعت الكتائب، بمباركة من بكركي، إلى الدخول في ما سمي بالحلف الثلاثي الذي ظهر في هذا العام، وضمّ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، وكميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الأحرار، وريمون إده عميد حزب الكتلة الوطنية، مما أسهم إلى حدّ كبير في تحضير الأجواء الداخلية اللبنانية للانفجار^{١٩٧}.

زاد انتصار الفلسطينيين المشرف في معركة الكرامة في الأردن في ٢١ آذار ١٩٦٨ من قلق الكيان الصهيوني، ومن تخوفه من المقاومة الفلسطينية ومن الدعم السوري لها، فأراد ضرب سوريا من خلال لبنان. هذا ما يفسّر الأزمة السياسية في العلاقات بين سوريا ولبنان، التي وقعت في تموز ١٩٦٨، حين أعلنت الحكومة السورية عن إحباط محاولة انقلابية أسهم فيها لاجئون سياسيون كان لبنان يقوم بحمايتهم وتشجيعهم في أرضه. وعلى سبيل الضغط اتخذت السلطات السورية إجراءات اقتصادية تمييزية ضد لبنان باستيفاء رسم خدمات ومساع على البضائع والسيارات، واتخذ لبنان إجراءات مقابلة. لكن سرعان ما جرت مفاوضات بين الطرفين، في دمشق من ٩/١٦ حتى ٨/١٠/١٩٦٨، تمّ فيها إلغاء الإجراءات المتخذة، إضافة إلى التوصيات بإجراءات من شأنها تسوية قضايا أخرى بينهما.

في مطلع نيسان ١٩٦٩ بدأت سياسة تضيق واسعة على المخيمات الفلسطينية في لبنان، قابلتها تظاهرات شعبية مؤيدة للعمل الفدائي في كل المدن الساحلية، بدعوة من جبهة الأحزاب والهيئات الوطنية والتقدمية، فكانت مواجهة في الشارع يومي ٢٣ و ٢٤ نيسان، وكانت حصيلتها

(- راجع: مصطفى طلاس، مرآة حياتي العقد الثاني ١٩٥٨-١٩٦٨، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٧٥٣. ١٩٦)

(١٩٧) - الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، المرجع السابق، ص ٩٩.

نحو ٣٠ قتيلاً ومائة جريح. "لذلك انعقدت في دار الفتوى قمة إسلامية في ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٩ برئاسة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد والشيخ محمد أبو شقرا ورئيس الحكومة وشخصيات إسلامية. وقد طالب المجتمعون بتأييد مطلق للعمل الفدائي، وطالبوا الدولة بإطلاقه وبتأييده. "وكانت قد نشأت أزمة حكومية دامت سبعة أشهر، شهدت العلاقات بين سوريا ولبنان أثناءها قمة التوتر ووصل الأمر إلى درجة قيام سوريا بإغلاق حدودها معها دعماً للمطالب الفلسطينية^{١٩٨}. وانتهت بتوقيع اتفاق القاهرة في تشرين الثاني ١٩٦٩، تمّ فيه تنظيم ورعاية الوجود الفلسطيني في لبنان"^{١٩٩}، وأعادت دمشق على أثرها فتح حدودها معه.

وقد وضع غابي لحدود، ملامح المأزق الذي وقع فيه لبنان؛ آنذاك بقوله: "الحقيقة إننا كنا أمام أزمة لا يملك أحد حلاً لها لا شارل حلو ولا رشيد كرامي. كان هناك تعاطف مع المقاومة الفلسطينية. الأحزاب والقوى التي كانت مؤيدة لعبد الناصر باتت مؤيدة للمقاومة، والأحزاب اليسارية أيدت المقاومة، ووجدت الوضع مناسباً لهز هيبة النظام على أمل تغييره. وشاعت المطالبة بإطلاق حرية العمل الفدائي.

ولم تكن الدولة راغبة في منع الفلسطينيين من ممارسة حقوقهم في العمل لاسترجاع أرضهم، ولم تكن قادرة حتى لو رغبت. ولم يكن في استطاعة الدولة القبول بإطلاق حرية العمل الفدائي على مصراعيه، لأن ذلك يعني إسقاط اتفاق الهدنة، وهو الحماية الدولية الوحيدة أمام الكيان الصهيوني الذي هزم الجيوش العربية في عام ١٩٦٧... كان متعزراً جمع اللبنانيين حول إطلاق العمل الفدائي، وكان متعزراً جمعهم حول قرار منعه^{٢٠٠}. وكان أن استغلّ الكيان الصهيوني هذا الوضع ليقوم بسلسلة من الاعتداءات على الأراضي اللبنانية في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠، كان أعنفها الهجوم على منطقة العرقوب في ١٢. ١٣/٥/١٩٧٠.

وأنت انتخابات الرئاسة في لبنان في عام ١٩٧٠، وصمم الشهابيون على إعادة فؤاد شهاب، لكنه أصرّ على الانسحاب، فانحصرت المعركة بين مرشح الشهابية الياس سركيس وسليمان فرنجية الذي فاز بها في ١٧ آب. واستقيل انتخابه، (وقد كان مرشح المعارضة التي ضمت كلاً من كميل شمعون المسيحي المحافظ ومعه صائب سلام خصم الشهابية وكمال جنبلاط التقدمي حليف المقاومة الفلسطينية والأحزاب اليسارية)، "بموجة عارمة من الفرحة الشعبية"^{٢٠١}. وسنتابع سياسته والعلاقات السورية. اللبنانية في فترة رئاسته في الفصل الأول القادم من هذه الدراسة،

^{١٩٨}- تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان، مصدر سابق، ص ٣٧٢ - ٣٧٨.

^{١٩٩}- المرجع نفسه، ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

^{٢٠٠}- غابي لحدود، في: مجلة الوسط، العدد ٣٣٨ (١٩٩٨).

^{٢٠١}- الجسر، ميثاق ١٩٤٣م: لماذا كان...، مرجع سابق، ص ٣٦٥.

ولكن بعد تقديم خاتمة هذا الفصل التمهيدي حول بيان الأهم في عناصر التقارب والتباعد في هذه العلاقات.

ثالثاً) . خاتمة في بيان أهم عناصر التقارب والتباعد السوري . اللبناني.

إنّ عناصر الوحدة والتقارب وعناصر الفرقة والتباعد كانت، وما تزال كما سنرى في الفصول القادمة، العامل المحوري الذي يحدّد مسار العلاقات السورية . اللبنانية وطبيعتها وجميع معطياتها، كما هي الحال بالنسبة لجميع العلاقات الدولية، مما يفسّر حرصي على أن تكون خاتمة هذا الفصل التمهيدي تذكيراً بأهم مضامينها التي ستبقى أساساً في مسيرة هذه العلاقات.

١ . إنّ عناصر الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان قد تكوّنت، أولاً، من عوامل الوحدة السورية، في وجودها منذ العصور القديمة قبل آلاف السنين، والمستمرة حتى التجزئة وتشكيل دولة لبنان الكبير المنفصلة عن سوريا عام ١٩٢٠، وأبرزها عوامل وحدة الواقع الاجتماعي . الاقتصادي والثقافي السوري، ومنها وحدة المصالح واللغة والتاريخ الذي شهد الدور السوري، ومنه اللبناني، في تمدين العالم.

وتكوّنت، ثانياً، من عوامل وحدة الوطن العربي منذ العصور القديمة حتى اليوم، من حيث كون سوريا ولبنان هما جزء منه، وأبرزها أيضاً عوامل وحدة الواقع الاجتماعي . الاقتصادي والثقافي العربي، ومنها وحدة المصالح واللغة والتاريخ الذي شهد أيضاً الدور العربي عموماً، ومنه السوري . اللبناني، في عولمة أو نشر معطيات المدنية والحضارة على المستوى العالمي قديماً ووسيطاً، مما رسّخ المضمون الإنساني الحضاري غير العرقي للعروبة.

تكوّنت عناصر الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان، ثالثاً، من جميع مظاهر تجسيدات عوامل هاتين الوحدتين، السورية والعربية، في مسيرة تطور واقع سوريا ولبنان حتى اليوم، والتي هي مظاهر وعوامل تقارب بينهما في آن واحد، كالعلاقات الاجتماعية ومنها الأسرية، وكالمصالح التجارية والوحدة الجمركية، وكالموقف الموحد من الخطر الصهيوني المشترك وتحرير الأراضي العربية المحتلة، ومن المقاومة الوطنية والوحدة والتنمية وبقية القضايا القومية المهمة في المشروع القومي العربي النهضوي.

٢ . برزت عناصر الفرقة والتباعد بين سوريا ولبنان حديثاً، وتكونت بشكل خاص من التدخلات الاستعمارية الخارجية، ومن أبرزها الحروب والاحتلالات الأجنبية بسياساتها المتوجهة لمنع وحدة العرب وقوتهم ونهضتهم، ومنها الاحتلال العثماني ثمّ الأوروبي للوطن العربي ومنه سوريا ولبنان. وشكّلت الامتيازات في العهد العثماني، مع ما ارتبط بها من حمايات غربية لما دعي بـ"الأقليات"، العامل الأساس الأول للفرقة والتباعد في التاريخ الحديث، ليس على مستوى

العلاقات السورية اللبنانية فقط، وإنما على مستوى العلاقات في الداخل اللبناني نفسه أيضاً. وإنّ تشكّل النظام الطائفي اللبناني، منذ تحويل الجبل اللبناني إلى متصرفية، والدور المستمر للسياسة العثمانية والأوروبية وبخاصة الفرنسية في تغذيته، كان العامل الأساس الثاني. أما العامل الأساس الثالث فكان تجزئة سوريا . الشام إلى أربع دول ومنها دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠.

وهنا يمكن القول: صحيح إنّ بريطانيا وفرنسا كانتا بدون شك وراء تقسيم سوريا . بلاد الشام إلى أربعة كيانات سياسية منفصلة، سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وإن الدور الرئيس في وجود دولة لبنان الكبير القائم على الطائفية السياسية يعود بالدرجة الأولى إلى فرنسا التي تعودت أن تنصب نفسها حامية للموارنة في لبنان، لكنّ المسؤولية الكبرى تتحملها شريحة معينة من اللبنانيين، وبخاصة بعض السياسيين والمستفيدين من التجار في تشجيع فكرة إنشاء الكيان السياسي اللبناني المستقل، طالما أنه يخدم مصالحهم الخاصة على حساب المصلحة الوطنية والقومية. حيث تمكنت هذه الشريحة من إيجاد الأرضية المناسبة لها بعد الاستقلال، من أجل المحافظة على مكاسبها السياسية والاقتصادية التي حققتها خلال فترة الاحتلال الفرنسي. وكانت وما تزال إلى اليوم تعمل على تثبيت وجودها، وتوسيع دائرة نفوذها داخل الكيان السياسي اللبناني، حتى وإن كان ذلك من الممكن أن يؤدي إلى جعل مصيره رهناً بالسياسات الخارجية، بما في ذلك الصهيونية منها، مما يؤثر سلباً، وبصورة مباشرة، ليس فقط على العلاقات اللبنانية السورية، وإنما على مصير الكيان السياسي اللبناني نفسه.

إنّ توجهات وممارسات هذا الفريق السياسي اللبناني الطائفي المتغرب هي أحد أهم عناصر الفقرة والتباعد، إن في الداخل اللبناني، أو مع سوريا والوطن العربي. إذ هو الذي رفض وما يزال يرفض، على سبيل المثال، أي تقارب وثيق حقيقي مع سوريا، وهو الذي رفض وما يزال يرفض العمل الفدائي الفلسطيني عبر الحدود اللبنانية وغير اللبنانية ضدّ "إسرائيل"، وبحيث أدّى دعم القيادة السورية لهذا العمل إلى الأزمة التي شهدتها العلاقات السورية . اللبنانية في عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩. لكن ضغوط القوى اللبنانية الوطنية في الداخل اللبناني أولاً، والضغوط التي مارستها دمشق آنذاك على الحكومة اللبنانية ثانياً، كانت أحد أهم أسباب قبول هذه الحكومة بالتوقيع على اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩، الذي نظم العلاقة بين لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية على الأرض اللبنانية.

٣ . لا شك أنّ السياسة السورية كانت دائماً، ورغم كلّ الأزمات، وما عانته من تجزئة واقتطاعات من أراضيها، عاملاً مهماً في دعم عناصر الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان، إذ حرصت، منذ تشكّل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، على ضمان فشل المخططات الاستعمارية

لتحالف قوى الغرب والصهيونية في تقسيمها إلى دويلات طائفية من شأنها دعم الكيان الصهيوني الذي كانت هذه القوى تخطط لقيامه في فلسطين منذ وعد بلفور عام ١٩١٧، وبالتالي ضمان وحدتها وعروبتها، وذلك بدعم القوى اللبنانية الوطنية إن على المستوى الرسمي أو الشعبي، والتي أسهمت بدورها في تمتين العلاقات اللبنانية . السورية.

٤ . إنّ الإسهام في عناصر الوحدة والتقارب السوري والعربي، أو في نقيضها عناصر الفرقة والتباعد لصالح ارتباط لبنان بالقوى الاستعمارية، هو المحور الأساس الذي حدّد وما يزال يحدّد المضمون السياسي للانقسام اللبناني الذي هو سياسي تماماً ولو أنّه اتخذ، كشكل، الشكل الطائفي المغذى من القوى الخارجية. هذا الانقسام تجسّد بشكل رئيس في اتجاهين: الأول الاتجاه السياسي الوطني المرتبط بسوريا وبقية الوطن العربي وبقضايا الأمة العربية المصيرية، والمحتوي لكلّ الطوائف اللبنانية ومنها المسيحية، إلا أنّ أكثرية إسلامية، والثاني الاتجاه السياسي المرتبط بالغرب وأكثرية مارونية.

وقد نجحت القوى الوطنية اللبنانية، في الاتجاه السياسي الوحدوي الحرّ الأول، في تعميق جذورها في المجتمع اللبناني أكثر فأكثر، بفعل وضوح ارتباط الاتجاه اللبناني الثاني المتغرب بتحالف الصهيونية والغرب بزعامته الأمريكية، من جهة، وبفعل الجانب الإيجابي لما دعي بـ"الديموقراطية الوفاقية"^{٢٠٢} في لبنان، من جهة أخرى، ولتثبت هذه القوى الوطنية، من مسلمين ومسيحيين، والرافضة لأي منطق طائفي والمشاركة معاً في جميع المناسبات الوطنية والقومية^{٢٠٣}، للعالم كله أن لبنان لا يمكن إلا أن يكون عربياً وجزءاً من الأمة العربية.

(- انظر خاتمة هذا البحث.²⁰²

^{٢٠٢}-(راجع: جامعة القديس يوسف (بيروت): معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من ١٩٥٤ إلى ١٩٩٢: نصوص مختارة. جمعتها جوليت حداد؛ إشراف الأب أوغسطين دويرة لاتور وهشام نشابة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥.

مدخل عام

حول أبرز معطيات الواقع الدولي والإقليمي والعربي
فيما بين عامي (١٩٧٠ و ١٩٨٩):

أولاً . أبرز المعطيات الدولية والإقليمية والعربية بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩): من
الحرب الباردة إلى النظام العالمي الجديد.

ثانياً . الوطن العربي والتآمر الاستعماري الغربي . الصهيوني بين عامي (١٩٧٠ و
١٩٨٩).

ثالثاً . سوريا ولبنان والصراع العربي . الصهيوني والتسوية.

أولاً) . أبرز المعطيات الدولية والإقليمية والعربية بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩): من الحرب الباردة إلى النظام العالمي الجديد.

ارتبطت معطيات الواقع الدولي والإقليمي والعربي، ومنه واقع سوريا ولبنان، في هذه المرحلة الممتدة بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٩)، بالمتغيرات العالمية التي فرضت نفسها على جميع الدول، حكومات وشعوباً، والتي بدأت، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وهي مستمرة حتى يومنا هذا: أولها استمرارية سيطرة الزعامة الأمريكية على المعسكر الرأسمالي الاستعماري الغربي، والتي حلت محلّ الزعامة البريطانية فيه وفي جميع مواقع نفوذها ومنها المتعلقة بالوطن العربي، وليصبح خيار بريطانيا المبدئي "أن تتصرف كحليف مخلص غير مشروط للولايات المتحدة الأمريكية في كل الظروف والأحوال"^{٢٠٤}، مما عزز الزعامة الرأسمالية الأمريكية العالمية إلى حدّ كبير. وثانيها استمرارية سيطرة الزعامة السوفييتية على المعسكر الاشتراكي حتى سقوطه. وثالثها استمرارية الصراع بين المعسكرين في إطار ما دعي بالحرب الباردة، ورابعها نهاية هذه الحرب وسيطرة النظام الأمريكي العالمي الجديد.

فترة الحرب الباردة هي التي أطلقت عليها الإدارة الأمريكية برئاسة بوش (Bush) الأب فترة "النظام العالمي القديم"^{٢٠٥}، أي الفترة الأولى من النظام الرأسمالي العالمي الأمريكي، والممتدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى انهيار المعسكر الاشتراكي عام ١٩٨٩، وشهدت مسعى العولمة الأمريكية لدى أصحاب هذا النظام، بهدف "أمركة" العالم، من خلال محاولات توسيع سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية أفقياً بحيث تعمّ جميع دول العالم، وعمقاً بحيث تشمل كل الميادين الحياتية العالمية، على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. والهدف المحرك هو خلق نظام أمريكي عالمي جديد يضمن وجود وحماية واستمرارية الزعامة الأمريكية في حكمها المنفرد للعالم. وسرعان ما وصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحقيق هدفها هذا بفعل ثلاثة متغيرات أساس: تراجع الديغولية^{٢٠٦} أولاً، ونهاية المعسكر الاشتراكي ثانياً، وتراجع حركة التحرر العالمية والتي كان معدل سرعة مدّها التحريري بعيد نهاية الحرب العالمية الثانية "يعادل عشرات أضعاف معدل الزحف الاستعماري"^{٢٠٧}، وكان منها بالطبع حركة التحرر العربية

^{٢٠٤} - أمين سمير: "النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد" (الوحدة، الرباط، العدد ٩٠، آذار ١٩٩٢، ترجمة عن الفرنسية من قبل مصطفى مسناوي، ٣٤ - ٤٩)، ص ٤١.

^{٢٠٥} - Cf. President BUSH George , State of the Union Speech, January, 1991, United States Information Service (USIS).

(: بطل تحرير فرنسا من الاحتلال النازي والتمسك بالوحدة الأوروبية De Gaulle) - نسبة إلى الزعيم الفرنسي شارل ديغول^{٢٠٦} وباستقلالية القرار الأوروبي عن القرار الأمريكي، وبالسيطرة الأوروبية على المتوسط.

(- حمدان جمال، إستراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١٩. ٢٠٧

ثالثاً. وكان لهذه المتغيرات تأثيراتها، سلباً أو إيجاباً، على كلّ دول وعلاقات العالم البينية، ومنها دولتا وعلاقات سوريا ولبنان.

تمّ متغيّر تراجع الديغولية منذ أوائل السبعينيات وتمثل بتراجع فرنسا نفسها عن الحلم والتصور الديغولي في استعادة سيطرة أوروبا وبخاصة في منطقة البحر المتوسط. وقد برز هذا التراجع بعد تخليّ الرئيس الفرنسي شارل ديغول عن الحكم في عام ١٩٦٩، وأخذ أبعاداً واسعة بعد رئاسة جيسكار ديستان (Distend) ثم بعد رئاسة فرانسوا ميتران (Mitterrand) ووضوح تبعية فرنسا في عهدهما للسياسة الأمريكية الأطلسية.

أما متغيّر انهيار المعسكر الاشتراكي، والذي هو تحديداً ما يجمع الباحثون على اعتباره نهاية فترة الحرب الباردة ثنائية القطب، فترة النظام العالمي الأمريكي القديم، وبداية فترة النظام العالمي الأمريكي الجديد، فقد كان تاريخ حدوثه مثار اختلاف بين هؤلاء الباحثين، البعض يحدده مع بداية حكم غورباتشوف (Gorbachov) في الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٥ لأنه المسؤول عن سياسة "إعادة البناء" "البيريسترويكا" (перестройка) وحرية التعبير "الغلاسنوست" التي كما يؤكد أحد أكبر "مؤدجي" هذه السياسة وهو أناتولي ياكوفليف (Iakovlev) مهندس سياسة البيريسترويكا والمستشار الخاص لغورباتشوف، كان "التفكير الجديد هو أحد أكبر مكتسباتها، فبفضله تغير العالم" وبفضله انتهت الحرب الباردة"^{٢٠٨}.

والبعض يحدده في عام ١٩٨٧ مع إعلان غورباتشوف لسياسة "التفكير الجديد" (الغلاسنوست) هذه، والذي أعقبه انسحاب الاتحاد السوفييتي من الساحة الدولية تاركاً الولايات المتحدة الأمريكية "بدون منازع"^{٢٠٩}. وقد بدأ بقيام غورباتشوف بالسماح لليهود السوفييت بالهجرة إلى "إسرائيل"، وقيامه بإخبار الرئيس حافظ الأسد بصراحة ذات دلالة: "أنّه لن يكون هناك حل عسكري للصراع العربي . الصهيوني، كرفض ضمني لجهود الأسد حول إنجاز التوازن الاستراتيجي مع "إسرائيل" آنذاك"^{٢١٠}، ثم أعقبه انسحاب الاتحاد السوفييتي من أفغانستان عام ١٩٨٨ وبدأ تعاونه مع الولايات المتحدة الأمريكية في حلّ الصراعات في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

- Cf. IAKOVLEV Alexandre: Ce que Nous Voulons Faire de l'Union Sovietique - (٢٠٨)

(Entretien avec Lilly Marcou), Seuil, Paris , p. 83 .

FALK Richard: " U. S. Foreign Policy in the Middle East: The Tragedy of Persistence": States and the Middle East, State University of (Various Contributors, The United New York , 1993 , pp. 65-86) , p. 75 Press - (٢٠٩)

GOODMAN Melvin: "Moscow and the Middle East in the 1991,s" (Various Contributors , Riding the Tiger the Middle East Challenge After the Cold War , Oxford , 1993 , pp. 13-37) p. 75. - (٢١٠)

وكان أن تتالت التنازلات السوفييتية للصالح الأمريكي، ومنها إعلان غورباتشوف في كانون الأول ١٩٨٨ في خطابه التاريخي في الأمم المتحدة: "أن السياسة الخارجية السوفييتية قد توقفت عن النظر إلى العالم في قطبين مختلفين، ومقسماً إلى معسكرين متعادين، اشتراكي ورأسمالي، هذه الرؤية التي كانت حجر الزاوية في معظم سياستها في فترة الحرب الباردة"^{٢١١}، داعياً إلى "عالم مستقل يكون التعاون في الدفاع عن القيم العالمية، وليس الصراع بين رأسمالية واشتراكية، هو أساس العلاقات الدولية"^{٢١٢}. وعليه كان إعلانه أيضاً في تموز ١٩٨٨ لمبدأ حرية الاختيار، والذي كان انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وفي أوروبا الشرقية النتيجة المباشرة له^{٢١٣}.

والبعض يحدّد الحدث الحاسم في عام ١٩٨٩، عام اجتماع القمة، غورباتشوف وبوش، في كانون الأول في مالطا، حيث اتّفقا على محادثات الحدّ من الأسلحة الإستراتيجية وخفض القوات في أوروبا، وحيث برهنت أحداث انفجارات أوروبا الشرقية التي أعقبها على أن "مالطا قد نسخت يالطا، وأن العالم الذي صيغ في يالطا عام ١٩٤٥ قد تغير الآن"^{٢١٤}. والبعض يحدده في آخر يوم من عام ١٩٩١ مع قرار تحول الاتحاد السوفييتي من فيدرالية إلى رابطة الدول المستقلة "كومونولث". وأنا مع من يرون أنّ حكم غورباتشوف في عام ١٩٨٥ هو المنطلق الأساس لكل أحداث انهيار المعسكر الاشتراكي، وهو أداة تنفيذها، مما يرجح صحة وجهة النظر الأولى في اعتبار بدايته الحدث الحاسم في هذا الانهيار وبالتالي في بداية النظام العالمي الأمريكي الجديد الفعلية^{٢١٥}.

بالنسبة للمتغيّر العالمي الثالث الذي أسهم في نشوء هذا النظام، الذي هو تراجع حركات التحرر العالمية ومنها العربية، نستطيع إدراك مضمونه وأحداثه من خلال معرفتنا لطبيعة الصلة ما بين هذه الحركة والمعسكر الاشتراكي، من طرف، وما بين الولايات المتحدة الأمريكية، من الطرف الآخر، سواء في ظل نظامها العالمي القديم أو الجديد. وبالقديم، أي فترة الحرب الباردة، نبدأ.

إن ما اتفق عليه معظم الباحثين هو أن المعسكر الاشتراكي، في هذه الفترة، قد أعاق جزئياً حركة المعسكر الرأسمالي عموماً، وحركة زعامته الأمريكية على وجه الخصوص، لكنّه في معظم

^(٢١١) - Cf. HOLLOWAY David: "Gorbachov,s New Thinking"(Foreign Affairs, 68, no. 1, 1988-1989).

212

Ibid.

213

- (Cf.

IAKOVLEV , op. cit. , p. 94 .

^(٢١٤) - شعبي عماد فوزي، النظام السياسي العالمي الجديد، قراءة في الواقع والمتغيرات الدولية، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩١، ص ٨.
(- ولو أنّ الإعلان الأمريكي عن تشكّله جاء متأخراً، من قبل جورج بوش الأب عام ١٩٩٠ قبيل بداية حرب الخليج الثانية ١٩٩١. 215)

الأحيان، وبحجة الحرص على السلام العالمي وتجنب حرب عالمية ثالثة مدمرة للأرض وللعالم ككل، وانطلاقاً من قناعته بضرورة ترسيخ وإنجاح سياسة التعايش السلمي بين المعسكرين، فإنه لم يقدّم بأي دور مانع حقيقي وراذع للسياسة الأمريكية في توجهاتها الاستعمارية الامتدادية في جميع أنحاء العالم من أجل تكوين نظامها العالمي الجديد لصالح زعامتها الأحادية.

لقد وظفت الولايات المتحدة الأمريكية وجود المعسكر الاشتراكي نفسه في خدمة توجهاتها هذه، حيث ضخمت خطره الشيوعي المزعوم كذريعة لتشكيل حلف شمال الأطلسي والتوقيع على المعاهدة الأمريكية - اليابانية، واللتين سيطرت من خلالهما على أوروبا غرباً وعلى اليابان ودائرة نفوذها شرقاً. وضمن السياق نفسه، وكما يؤكد أحد الباحثين، فإنها "استخدمت فترة الحرب الباردة ولزمن طويل من أجل تبرير تدخلها الاقتصادي والعسكري في بلدان أمريكا وإفريقيا وآسيا، ومنها الدول العربية، عن طريق عمليات التخريب وتنظيم الانقلابات والحروب الأهلية ومنها حرب لبنان بين عامي (١٩٧٥ - ١٩٨٩)، والحروب البينية ومنها حرب الخليج الأولى على المستوى الإقليمي بين عامي (١٩٨٠ - ١٩٨٨).

وكذلك استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الضغوطات الاقتصادية والمالية الممارسة من قبل المؤسسات التي تديرها "البنك الدولي وصندوق النقد الدولي"، والتدخلات العسكرية المباشرة وغير المباشرة، وبحجج مزيفة كثيرة، أبرزها الدفاع عن الديمقراطية، ومحاربة الإرهاب والمخدرات، وتطبيق الشرعية الدولية وحفظ السلام والأمن الإقليمي والعالمي. وهنا لا بد لنا من التأكيد أنه صحيح، وبدون شك، أن الدعم السوفييتي والاشتراكي المعنوي والتسليحي الجزئي والنسبي قد أسهم، إلى جانب المقاومة الوطنية، في فشل بعض التدخلات الأمريكية، كما في فيتنام وكوبا، ولكنه لم يمنعها.

بالنسبة للوطن العربي مثلاً، فإن المعسكر الاشتراكي، مع كل التقدير العربي، وبقوة بالطبع، لمواقفه الداعمة للقضايا العربية، لم يستطع منع الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الغربي عموماً من تقديم الدعم الكبير المستمر لـ "إسرائيل" في سياستها الاستعمارية العدوانية التوسعية المستمرة والمتناقضة مع كل مبادئ الشرعية الدولية وحقوق الإنسان، منذ تشكيلها في عام ١٩٤٨ حتى يومنا هذا. وأكثر من ذلك لم يُردِّد الاتحاد السوفييتي حتى سياسة التوازن الاستراتيجي في قضية الصراع العربي - الصهيوني، والتي أصرَّ عليها الرئيس حافظ الأسد، لأنها وحدها من الممكن أن تردع "إسرائيل" وتمنع الحرب. ومن المعروف أن تقديمه السلاح إلى سوريا أو إلى غيرها كان محدوداً وفي إطار وظيفته الدفاعية فقط. وأن طبيعة دعمه التسليحي الجزئي هذا ودعاه المعنوي كانت أيضاً وكما هي العادة معرقة للسياسات الصهيونية وليست مانعة.

وتصاعدت أكثر فأكثر تنازلات الاتحاد السوفييتي وبقية دول المعسكر الاشتراكي المتفكك لصالح هذه الزعامة من خلال اتفاقيات القمة الأمريكية . السوفييتية، بدءاً بقمة ريغان . غورباتشوف في جنيف في تشرين الثاني ١٩٨٥، وانتهاءً بقمة بوش . غورباتشوف في مالطا في كانون الأول ١٩٨٩، في المرحلة المعنية بالبحث بالطبع، حيث تفاهما حول موضوع الحد من الأسلحة الإستراتيجية وخفض القوات في أوروبا ، وحيث وضح تماماً " انتصار الزعامة الأمريكية ، وبخاصة بعد الانفجارات التي شهدتها دول أوروبا الشرقية بعد هذه المعاهدة والتي كان واضحاً فيها أن مالطا الزعامة العالمية الأمريكية الوحيدة قد نسخت يالطا الزعامة العالمية ثنائية القطب ، كما قلنا سابقاً. وتتالت لقاءات هذه القمم بالطبع بعد ذلك.

ثانياً) . الوطن العربي والتآمر الاستعماري الغربي . الصهيوني بين عامي (١٩٧٠ . ١٩٨٩):

إذا أخذنا باعتبارنا مدى أهمية الوطن العربي من حيث هو مصدر الطاقة النفطية الحيوي والحياتي لمعظم القوى العظمى في النظام الغربي الاستعماري الدولي، وبخاصة الأوروبية، والذي ترى زعامته الأمريكية "أن مصلحتها ترتبط بالحفاظ عليه بالدرجة الأولى أكثر من حفاظها على إسرائيل"^{٢١٦}، لأن من شأن هذه السيطرة أن تتيح لها التحكم به والتحكم في كثير من شؤون حلفائها بما يخدم مصالحها وسيطرتها العالمية. وإذا أخذنا باعتبارنا أيضاً أهمية الوطن العربي كمصدر أعلى للأدمغة المهاجرة، ومن حيث هو من أعلى مصدري الطاقة البديلة مستقبلاً أيضاً، أي الطاقة الشمسية، ومن أعلى وأغنى مصدر للكثير من الثروات الزراعية والمعدنية، وخاصة المتعلقة بامتلاك الطاقة الذرية، بالإضافة إلى كونه سوقاً تجارية واسعة استهلاكية، عرفنا لماذا هذا الحرص الكبير على الوجود الاستعماري الغربي فيه بكل المضامين وبكل الأشكال والأساليب، وعرفنا بالتالي لماذا هذا الاهتمام الكبير بكل شأن من شؤونه، وهذا الإصرار على ضرورة السيطرة على الأحداث والصراعات فيه، ومن ضمنها الصراع العربي - الصهيوني، وبما يضمن إفشال كل مشروع عربي قومي نهضوي، إنها عنصرية الغرب وحليفه الصهيوني ضد العرب.

وكان أن تصاعد النمو الواضح لحركة الوعي والرفض العربي لهذه العنصرية ضد العرب وضد مشروعهم القومي النهضوي^{٢١٧}، وضد مصالحهم الحاضرة المتمثلة في وحدتهم

وقوتهم وأمنهم وتطور وتنمية مجتمعاتهم، وضد تاريخهم وحضارتهم الماضية، بالرغم من أنهم أجداد العالم كله بشرياً وحضارياً. وتجمع الأوساط العربية المثقفة الوطنية على رفض هذه

(- انظر سيد أحمد محمد: "مستقبل النزاع العربي . الصهيوني" (مجموعة باحثين، قضايا إستراتيجية في المتوسط ، ترجمة ثناء أبو شقراء ، دار الفارابي، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٢٩. ١٥٩).

(- راجع: مجموعة مؤلفين، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠. ٢١٧.

العنصرية والتي أكثر ما تتجلى في العمل على كل ما من شأنه إبقاء العرب في حالة الضعف والتخلف، كمنع التوحيد ومنع تطوير السلاح والعلم والتقنية والاقتصاد والثقافة والأمن والإعلام، ومنها إعاقة البحث العلمي الأساسي الجدي في بلدانهم، وتهجير أدمغتهم، والوقوف سداً أمام كل محاولة لتطوير وتوحيد طاقاتهم الذاتية، وحرفهم بعيداً عن معركتهم الأساسية في التصدي لمؤامرات تحالف قوى الغرب الصهيونية نحو كل من شأنه إلهائهم عنها ومنه انغماسهم في الحروب البينية ومنها حرب الخليج الأولى بين عامي (١٩٨٠ . ١٩٨٨) على المستوى الإقليمي، أي الحرب بين العراق وإيران بعد ثورة الخميني عام ١٩٧٩ التي أعلنت موقفها الداعم المستمر فعلياً للقضية الفلسطينية، على عكس نظام الشاه المتحالف فعلياً مع الكيان الصهيوني قبلها، إضافة إلى الحروب الأهلية في السودان والصومال وغيرها ومنها حرب لبنان بين عامي (١٩٧٥ . ١٩٨٩)، وإلى الصراعات العربية الحدودية البينية. ودون أن نتجاهل العوامل الذاتية ومنها استسلام معظم الشعوب العربية لعوامل الجهل والضعف والتخلف، ولتبعية كثير من حكوماتها لأوامر صانعيها من أعداء الأمة.

وتكون المرارة في أشدها حين يكون منع العلم والتطور الحضاري هذا موجهاً ضد من بفضل علومهم وحضاراتهم قام هذا العلم وهذا التطور. ولا تقف العنصرية الغربية والصهيونية عند هذا المنع، وعند التزييف والتزوير للتاريخ العربي والإنساني لإخفاء حقيقة الدور الحضاري الإنساني المذهل للعرب عبر التاريخ، وإنما تتجاوز ذلك إلى القيام بحملات إعلامية منظمة فنية تشويهية لصورة وحقيقة العرب.

وتزداد النقمة العربية بتصاعد الوعي العربي، وبالرغم من كل المخططات لإشغال العرب، مثقفين وجماهير، بالرغيف اليومي. ولا تستطيع كل نواظم العالم أن تتكهن متى وكيف يمكن أن تنفجر قوتها الكامنة الرافضة. ولاشك أن القوى العظمى تدرك ذلك، وتدرك تصاعد هذه القوة نتيجة لاختلاف المعايير في تعاملها مع دول العالم، وبالتالي غياب مصداقية نظامها الدولي ومصادقية الأمم المتحدة ومشروعيتها الدولية العادلة، وتدرك أن الرفض العربي الكامن يهدد بالانفجار، وهو انفجار لا يهدد كيان ووجود "إسرائيل" فقط، بالرغم من كل أسلحتها التدميرية، وإنما يهدد المصالح الاستعمارية جميعها.

هذا الإدراك هو الذي يفسر التغير النسبي للموقف الأوروبي من التسوية، والذي بدأ، وعلى أساس ضرورة رضا طرفيها معاً، بعد انتصار تشرين العربي عام ١٩٧٣، ونتيجة لفعالية

استخدام سلاح النفط العربي الحيوي الضاغط. ووضح في البيانات المتعددة والمتعاقبة لمؤتمرات المجموعة الأوربية، على مستوى الوزراء أو القمة، كبيانها في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٣ بعد الحرب مباشرة، وكبيانها في حزيران ١٩٧٧، وكبيانها في البندقية عام ١٩٨٠، وفي بروكسل في شباط ١٩٨٧، وكبيانها في حزيران ١٩٨٩ الخ... حيث كان الموقف الأوروبي يتطور فيها خطوة فخطوة لصالح الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في إقامة كيانه الخاص به وفي حقه بتقرير المصير، وفي ضرورة إشراك ممثلين عنه في مفاوضات السلام، وفي الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد له منذ عام ١٩٧٤، وفي الدعوة إلى مؤتمر السلام العادل والدائم بإشراف الأمم المتحدة وعلى أساس قراراتها، وبخاصة رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨، إلخ...

ولا شك بدور صمود سوريا، وفعل استمرار المقاومة العربية للاحتلال "الإسرائيلي" وتصاعده في فلسطين المحتلة ومنه فعل انتفاضة الحجارة منذ عام ١٩٨٧، وفعل المقاومة الفلسطينية واللبنانية الوطنية ضدّ الغزو "الإسرائيلي" للبنان في عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢، وعلى رأسها مقاومة حزب الله منذ عام ١٩٨٤، في تأكيد وجود هذا الرفض العربي الكامن الذي تدرك القوى العظمى مدى خطورته والذي أسهم في التغير الأوروبي النسبي المذكور. ومن هنا أتى المبرر الأساس للقوى العظمى في توجيهها نحو تسوية الصراع العربي-الصهيوني، ولكن بما يضمن اعتراف العرب بوجود "إسرائيل" ضمن "حدود آمنة" وفق الرؤية الصهيونية لهذه الحدود، مما يعني الاستسلام العربي.

أما بالنسبة للموقف الأمريكي فقد تجسد تطوره المعاصر في انقسامه إلى ثلاثة اتجاهات اختلفت في سبل فرض وضمان مصالحها الاستعمارية في الوطن العربي ليس إلّا: الأول الاتجاه المعتدل القديم لإدارة نيكسون في رؤيتها لضرورة التحالف مع القومية العربية وأخذها بعين الاعتبار في إيجاد الصيغة المقبولة للتسوية والتي كانت استمراراً لرؤية إدارتي أيزنهاور وكينيدي السابقتين لها بهذا الشأن^{٢١٨}. وقد تمثل هذا الاتجاه الأول في مخطط روجرز في فترة

نيكسون، ويتلخص بدعوة الأطراف المعنية بالصراع، بما فيه منظمة التحرير الفلسطينية، إلى مؤتمر سلام تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وعلى أن يتوصل إلى

^{٢١٨} Cf. ARUI Nasser H.: "U.S Policy Toward the Arab – Israeli Conflict"(Various Contributors: the United States and the Middle East, edited by Hooshang Amirahmadi, State University of New York Press, 1993, 89-124) P. 97; COTTAN Richard : "U.S Policy in the Middle East"(V.C. The U.S. and M.E. pp-35-64) P.56.

حلّ يرضي "إسرائيل" وكل الدول العربية، ويأخذ في اعتباره ضرورة إيجاد صيغة حق تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين في غزة والضفة الغربية^{٢١٩}.

الاتجاه الثاني هو الصهيوني المتمثل في مخطط كيسنجر "الخطوة خطوة"، وعلى أن تجري المفاوضات بين "إسرائيل" والدول العربية المعنية، سوريا ومصر والأردن ولبنان، كل على حدة وبالتتابع. ويتضمن إقامة حكم ذاتي للفلسطينيين، وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية بين "إسرائيل" والعرب، واستبعاد الاتحاد السوفيتي، وإهمال دور القومية العربية "لعدم فعاليتها"^{٢٢٠}، حسب ادعاء أصحاب هذا الاتجاه، لصالح تشكيل ما دعي بـ"الشرق الأوسط الكبير" يرمي إلى القضاء نهائياً على فكرة العروبة، بسلخ عرب شمالي إفريقيا عن عرب المشرق، وضمّ غير العرب إلى عرب المشرق من مثل إيران وتركيا وقبرص و"إسرائيل". فماذا يبقى من العروبة؟ وسنشير إلى هذا الاتجاه لاحقاً بـ"الاتجاه الأمريكي الصهيوني الكيسنجري".

والطريق إلى هذا المشروع قد تكون أخطر منه، إنها الفوضى التي تسمى ويا للغرابة بناءً أو خلافة. يراد بها إشعال الفتن في مجتمعاتنا تمهيداً لتفتيتها مذهبياً وطائفيّاً وإثنيّاً كي يصار إلى إعادة لمّها في كيان أكبر عنوانه الشرق الأوسط الكبير، فيكون خاضعاً للهيمنة الإسرائيلية^{٢٢١}.

الاتجاه الثالث هو الاتجاه المعتدل الجديد، أي المرتبط بالنظام الدولي الأمريكي الجديد، والذي برز بعد انهيار المعسكر الاشتراكي. تمثل في مواقف إدارة بوش الأب من التسوية، والتي تتلخص بالحرص على إرضاء الطرف الصهيوني بالإصرار على وجود "إسرائيل" من جهة، وعلى إرضاء الطرف العربي بتحجيم هذا الوجود من جهة أخرى. من هنا يمكن فهم أحد العوامل التي أسهمت، ولو جزئياً، إلى جانب انتصار تشرين ١٩٧٣، في الاعتراف الدولي للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، في دورتها الـ ٢٩ عام ١٩٧٤، بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني.

ومن هنا أتت دعوة وزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر لـ"إسرائيل"، في حديثه إلى لجنة الشؤون العامة الأمريكية . الإسرائيلية (إيباك) المكوّن الأساس للوبي الصهيوني، في كانون الأول عام ١٩٨٨، "أن تتخلى للأبد عن دعوتها غير الواقعية إلى "إسرائيل الكبرى"، وأن تتعامل مع الفلسطينيين ومشكلتهم، لأن الأمور لن تستمر كما هي"^{٢٢٢}.

219- (Ibid.

220 - (COTTAN, op. cit., pp. 56-57.

221. - سليم الحص، سلاح الموقف، طبعة ثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٤٨.

٢٢٢ - (AMIRAHMADI Hooshang: "Global Restricting , the Persian Guff War and the U.S Quest for World Leadership"(V.C. The U.S. and M.E. pp- 363-429) P. 371; New York Times, December 15, 1988, p. A.

طبعاً كان لابد وأن يقوم التيار "الإسرائيلي"، ممثلاً بالاتجاه الكيسنجري الصهيوني، باستخدام ضغط اللوبي الصهيوني من أجل الوصول إلى اتفاق مع الإدارة الأمريكية، يقضي بأن يستمر الدعم الغربي والأمريكي المادي والمعنوي لـ"إسرائيل" مقابل استمرار الضغوط المختلفة الممكنة على الجانب العربي، بحيث يقوي مركزها وتضخم قوتها مقابل إضعاف مركز الطرف العربي وتضخيم ضعفه، لتوسيع دائرة اليأس والاستلام في صفوفه، فتسهل عملية استنزافه، مما يسهل عليها الاستزادة من المكتسبات قدر الإمكان، وخاصة ما تعلق منها بموضوع احتفاظها بالقدس، وبموضوع الاحتفاظ ببعض أراضي الجولان، وبموضوع الإدارة الذاتية للفلسطينيين، وبموضوع إنهاء المقاطعة العربية، وتسوية مشكلة المياه لصالحها، وتطبيع العلاقات العربية . "الإسرائيلية".

ما تقدم يفسر مظاهر الدعم والدلال المستمرة لـ"إسرائيل" من قبل القوى الغربية الكبرى عامة والأمريكية على وجه الخصوص، طوال المسيرة التطورية لعملية السلام، بما فيها تقديم القروض والمساعدات في بناء المستوطنات لليهود السوفييت ولغيرهم من المهاجرين إليها، ومساعدتها الدائمة، من خلال استخدام الفيتو، من أجل منع الأمم المتحدة من اتخاذ أي قرار دولي باستخدام المادة السابعة من ميثاقها، لردع "إسرائيل" ومنعها من الاستمرار في خرقها لمبادئ حقوق الإنسان، وفي رفضها لاحترام الشرعية الدولية وقرارات المجتمع الدولي.

ومنه، في المرحلة المعنية بالبحث، استمرار رفضها لتنفيذ جميع القرارات الدولية المتعلقة بحقوق الفلسطينيين ومنها القرار رقم ١٩٤ بحق عودة اللاجئين، ورفضها لتنفيذ القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ المتعلقة بوجوب قيامها بإعادة كل الأراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ إلى أصحابها، أي الجولان والضفة الغربية وسيناء. وكذلك قيامها في عام ١٩٨١ بخرق أجواء العراق لضرب المفاعل النووي فيه، وقيامها في عام ١٩٨٢ بغزو لبنان واحتلال جنوبه ورفضها تنفيذ القرار الدولي رقم ٤٢٥ بالانسحاب منه، وقيامها بفرض معاهدة ١٧ أيار على لبنان والتي أسقطها التعاون السوري . اللبناني الوطني، وقيامها في عام ١٩٨٥ بخرق أجواء تونس مرتين ثم القيام باغتيال القائد الفلسطيني المعروف خليل الوزير (أبو جهاد).

وبما فيها مساعي هذه القوى لدى الدول العربية من أجل قبولها بإنهاء مقاطعة "إسرائيل" وبالعامل على تطبيع العلاقات معها، ومحاولاتها المتعمدة لتعطيل عملية السلام، بتصريحاتها الاستنزائية حول تمسكها بالجولان والقدس وبتهميدها، وحول رفضها للوجود الفلسطيني المستقل، وبقصصها المتكرر لجنوب لبنان ولمناطق أخرى فيه، وبتصعيد إجراءات العنف ضد المقاومة الوطنية في الأرض المحتلة وضد سكانها العرب عموماً.

كل ذلك مقابل تهديد الأطراف العربية وإرهابها، بدون أي مبرر وتحت عناوين مختلفة، منها ملاحقة "الإرهاب"، ومنها تحديد السلاح، والحفاظ على الأمن والسلام العالمي، ومنها تطبيق الشرعية الدولية، مما يفسر القصف الأمريكي لليبيا عام ١٩٨٦. ويفسر الإصرار على إبقاء سوريا في اللائحة الأمريكية السنوية للدول المتهمة بممارسة "الإرهاب"، بالرغم من كل جهودها في مجال تحرير الأسرى الأمريكيين والأوروبيين الذين كانت تحتجزهم المقاومة اللبنانية "حزب الله" في لبنان احتجاجاً على الدعم الأمريكي والأوروبي لـ"إسرائيل" وعلى سكوت أصحابه عن ممارساتها للإنسانية وعن تحديدها المستمر للمجتمع الدولي وللضمير العالمي. انطلق هذا الضغط على سوريا بشكل خاص من القناعة الأمريكية بأنها "هي المفتاح ... والخصم الأكثر رعباً لإسرائيل"^{٢٢٣}، لأنها "العدو القوي الكامن"^{٢٢٤} لها وإن قبولها بالتسوية، ولو مرغمة، يعني خطوة أولية مهمة في إنجاح عملية التسوية.

تمّ كل ذلك بالرغم من القبول العربي الرسمي، على مستوى القمة وجامعة الدول العربية، ومنذ عام ١٩٧٣، بعملية التسوية حسب قراري المنظمة ومجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨،^{٢٢٥} وكان أن نجح الاتجاه الأمريكي الصهيوني في التسوية، ومن خلال الضغط الأمريكي، في تحقيق بعض الحوارات العربية المنفردة مع "إسرائيل"، كحوار المغرب ومصر والأردن وغيرها، وفي دفع الرئيس أنور السادات إلى زيارة الكيان الصهيوني والكنيست "الإسرائيلي" عام ١٩٧٧، وإلى عقد اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨، بين مصر السادات منفردة وبين "إسرائيل". وكان أن عزلت قوة عربية كبرى، هي القوة المصرية، عن عملية التسوية، من أجل محاولة إضعاف بقية أطرافها، وخاصة سوريا التي رفضت هذه الصيغة الكيسنجيرية لهذا الاتجاه في التسوية، وأصرّت، ومنذ نهاية عام ١٩٧٣، كما سنرى، على شروطها في قبولها.

وكان الموقف من هذه التسوية . الاستسلامية سبباً للانقسام العربي والإسلامي بين اتجاهين: الاتجاه الاستسلامي القابل لها، والذي دعت الإدارة الأمريكية دولة بـ"الدول الحليفة" أو "دول الاعتدال" فيما بعد، وعلى رأسها تركيا ومصر في عهد حكم السادات. والاتجاه الرافض لها والصامد والداعي للمقاومة الوطنية والداعم لها، والذي دعت هذه الإدارة دولة بـ"دول الإرهاب"، وعلى رأسها سوريا وإيران بعد ثورة الخميني عام ١٩٧٩. وإنّ هذا الانقسام وتداعياته قد انعكس بشكل واضح على الساحة الفلسطينية وفي الدولة اللبنانية، وأسهم بالتالي في تحديد طبيعة العلاقات السورية .

(^{٢٢٣})- PIPES Daniel: "Can the Palestinians Make Peace" (Various Contributors: The Middle East, Uncovering the Myths, Papers prepared for conference sponsored by Writers and Artistes for peace in the Middle East, Anti Defamation League, U.S.A., 1991, pp. 35-48) p.46.

224-(AMIRAHMADI, Global Restricting..., p. 372.

225(٢) . نص القرارين في الملحق رقم (٢)

اللبنانية وتحديد طبيعة وتوجهات أعدائها من جهة والصانعين والداعمين لها من جهة أخرى كما سنرى. والمحور الأساس إذن، في هذه العلاقات في المرحلة المعنية بالبحث، هو الصراع العربي - الصهيوني الذي لسوريا ولبنان فيه موقع رئيس، مما يستدعي الوقوف عنده قليلاً.

ثالثاً) - سوريا ولبنان والصراع العربي - الصهيوني والتسوية:

١ - لبنان والصراع العربي - الصهيوني والتسوية:

علينا أن نتذكر الهدفين الرئيسيين وراء خلق دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وإمارة شرقي الأردن عام ١٩٢١، بالنسبة للقوى الغربية في تحالفها مع الحركة الصهيونية بغض النظر عن مدى تحقيقهما: الأول هو تجزئة سوريا وإضعافها، والثاني هو خلق فاصلين، غرباً وجنوباً بين ما تبقى منها وبين دولة الكيان الصهيوني الذي كان التآمر مستمراً من أجل إقامتها في فلسطين العربية، بغرض تأمين حمايته مستقبلاً. الأول عبارة عن كانتونات طائفية تحت السيطرة الفرنسية، والثاني عبارة عن كانتونات إسلامية قبلية تحت السيطرة البريطانية. ومع استنفاد قوة بريطانيا وفرنسا في الحرب العالمية الثانية أخذت الزعامة الأمريكية، في نهايتها عام ١٩٤٥، تحلّ محلّهما في مواقع نفوذهما في العالم ومنه الوطن العربي، بعد أن حلّت محلّ الزعامة البريطانية في موقع المركز في النظام الرأسمالي الغربي الاستعماري الدولي، كما ذكرنا سابقاً.

كان هذا مما يفسر بروز الوجود الأمريكي في الوطن العربي عموماً، ومنه وجوده المدعوم من الحليف الفرنسي في لبنان، ووجوده المدعوم من الحليف البريطاني في شرقي الأردن، ووجوده الداعم لحليفه الصهيوني في فلسطين المحتلة، الذي أعلن تشكّل دولته "إسرائيل" في ١٥ أيار ١٩٤٨. وكان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم لهذه الدولة كلّ دعم، وبخاصة ما تعلق منه بعدم السماح بأي تطور لأية قوة في الوطن العربي عموماً وفي هذين البلدين خصوصاً، لبنان وشرقي الأردن، من شأنه تهديد أمنها، مقابل استمرار الدعم الأمريكي لها في وجودها وتوسعها وجميع ممارساتها، ومنه ضمان تسوية الصراع العربي - الصهيوني وفق رؤيتها لحدودها الآمنة، ليكون الاستسلام العربي بدلاً من السلام كما رأينا.

يتركز الفعل التأمري الاستعماري في الدولة اللبنانية، الذي هو موضوع اهتمامنا هنا، في محاولات تحويله إلى كيانات طائفية هشة يمكن التحكم به بما يخدم وجود وأمن دولة "إسرائيل"، وبخاصة من حيث تبرير الأساس الديني اليهودي الذي تقوم عليه، والذي هو أساس مرفوض بكلّ المعايير والمقاييس الدولية في عصرنا الحاضر، ومن حيث الاستيلاء على مياه نهر الليطاني والحاصباني اللبنانية لرفد الموارد المائية الضئيلة فيها^{٢٢٦}. ويتركز الدور الفاعل للمقاومة الوطنية

(- انظر لاحقاً. 226)

في تشييل هذا الهدف الاستعماري الصهيوني لصالح استقلالية وسيادة وعروبة دولة لبنان وصيانة خصوصية علاقاته مع الشقيقة سوريا، كما يردد الوطنيون اللبنانيون. من هنا أتى ما رأيناه من انقسام سياسي لبناني منذ تشكلّ دولة لبنان الكبير.

وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الانقسام في الموقف من الصراع العربي . الصهيوني بالدرجة الأولى، وبالتالي في طبيعة العلاقات السورية . اللبنانية، بحيث تمسك الاتجاه السياسي الطائفي المتحالف مع الخط الصهيوني بعدم انخراط لبنان في هذا الصراع منذ توقيعه والكيان الصهيوني في ١٩٤٩/٣/٢٣ على اتفاقية الهدنة التي نصت على اعتبار خط الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين المرسوم في عام ١٩٢٣ حداً فاصلاً. وكان هناك شبه إجماع للدول العربية المجاورة للكيان الصهيوني على اعتبار لبنان دولة مساندة لا دولة مواجهة في الصراع مع العدو الصهيوني. وحرص لبنان في الوقت ذاته على تطبيق هذا الإجماع، فلم يشترك في أي حرب ضد الكيان الصهيوني بعد عام ١٩٤٨، ولم تطلب منه الدول العربية أن يفعل ذلك، بدعوى أن لبنان بلد صغير وإمكانياته محدودة، وليس لديه جيش قادر على خوض الحرب، و"أنّ قوة لبنان في ضعفه"^{٢٢٧}.

ولكن نقض الكيان الصهيوني للهدنة من جانب واحد منذ عدوان حزيران ١٩٦٧ حتى اليوم، ووضوح دوره في إشعال الحرب الأهلية في لبنان، وقيامه بغزو الجنوب اللبناني أول مرة عام ١٩٧٨ واجتياح للبنان عام ١٩٨٢، وخروقه المستمرة للأجواء اللبنانية إلخ... كل ذلك قد أضعف كثيراً الاتجاه اللبناني المتحالف معه لصالح الاتجاه السياسي اللبناني العربي الوطني المقاوم والمدعوم من سوريا وإدارة الأسد في رؤيتها للصراع وللتسوية، فما هي هذه الرؤية؟

٢ . سوريا والصراع العربي . الصهيوني والتسوية:

بقدر ما كانت سوريا متمسكة بالسلام، بقدر ما كانت وما زالت ترفض الاستسلام. يقول الرئيس حافظ الأسد: "إن سوريا منذ زمن بعيد تدعو إلى السلام وفق قرارات الأمم المتحدة، وخاصة القرار رقم ٣٣٨ الذي يتضمن القرار ٢٤٢، والذي على أساسه توقف القتال في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ بعد أن وافق العرب و"الإسرائيليون" على هذا القرار. وكانت سوريا آخر دولة وافقت عليه بتاريخ

(- الأمين، لماذا لبنان؟!، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٩-٢٠، ولورد على هذه المقولة راجع خاتمة البحث.^{٢٢٧})

٢٤/١٠/١٩٧٣، بينما وافق الآخرون عليه فور صدوره بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٣^{٢٢٨}. إذاً فإدارة الأسد قبلت بالتسوية منذ عام ١٩٧٣، وكان قبولها هذا لأسباب كثيرة نكتفي بذكر أبرزها وأكثرها أهمية^{٢٢٩}:

السبب الأول الذي دفع الرئيس حافظ الأسد لقبول التسوية هو إدراكه لطبيعة المتغيرات العالمية، ولطبيعة النظام الدولي الأمريكي المهيمن، ولدور الصهيونية الأداتي والمهم فيه، ولطبيعة العلاقة التوظيفية بينها وبين قوى هذا النظام عموماً وزعامته الأميركية على وجه الخصوص، وارتباط ذلك كله بإصرار هذه القوى وهذه الزعامة على بقاء "إسرائيل" على أساس تأطيرها في حدود ما قبل عدوان حزيران ١٩٦٧ فقط، وبشرط الرضا العربي، وهذا في حد ذاته، أي محدوديتها ورفض سياستها التوسعية، هو خطوة مهمة وجدية لقوى وزعامة النظام الدولي، ويجب استغلالها والتي يدل عليها تبني الولايات المتحدة الأميركية وبقية القوى العظمى الأوروبية للقرارات رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥، وعدم اعترافها بكل الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل بالنسبة لضم الجولان والقدس وإقامة المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة قبل عدوان حزيران ١٩٦٧.

السبب الثاني في قبول الأسد للتسوية هو التزامه بالقرار الدولي والعالمي على مستوى جميع المنظمات الدولية، السياسية والاقتصادية والنقابية والثقافية والإعلامية، بوجود السلام والتسوية على أساس احترام الشرعية الدولية الممثلة في قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة. يقول الأسد: "ومع رغبة المجتمع الدولي أيضاً وحماسته التي ظهرت على السطح لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة"^{٢٣٠} بادرت سوريا إلى فتح "الباب أمام هذه الرغبة الدولية في السلام"^{٢٣١}، حيث أننا "كنا نشارك بطبيعة الحال الولايات المتحدة الأمريكية وشعوب العالم أجمع في تقرير أهمية السلام لنا وللعالم"^{٢٣٢}.

السبب الثالث هو التزامه بالقرار العربي على مستوى القمة والجامعة العربية، بمختلف مؤسساتها، والذي جاء منسجماً مع القرار الفلسطيني بقبول التسوية والتعايش بين العرب والإسرائيليين. قال الأسد: "منذ أن تأسست منظمة التحرير الفلسطينية أكدت المنظمة، وهذا ما قبله العرب في نهاية الأمر، أنها هي ممثل الشعب العربي الفلسطيني. وكان الكثيرون من العرب مختلفون مع المنظمة، مثلما كانت المنظمة تختلف مع الكثير من العرب. ولكن معظم هذه الخلافات بقيت في إطار التعاطف الأخوي. وفي هذا الموضوع كانت هنا أشياء أساسية معينة نلتزم

(- من الرسالة التي وجهها الأسد كتحية وشكر للجماهير بعد إعلان نتائج الاستفتاء (تشرين، العدد ٥٢٢٤، ١٢/٥/١٩٩١).²²⁸

(- راجع: محمد نجاح: المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٢٣-²²⁹

.١٢٦

- من حديث الأسد إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢.²³⁰

- من رسالة الأسد إلى الجماهير، ١٩٩١.²³¹

من حديث الأسد إلى صحيفة واشنطن بوست ومجلة نيوزويك، ١٩٩١.²³²-

بها. ولهذا عندما قالت المنظمة إنها تريد التوصل إلى تسوية بناءً على القرارات الدولية شاطرتهاا الدول العربية الأخرى هذا الرأي"٢٣٣.

أدرك الأسد أنه في حال رفضه لهذا القرار العربي ستكون معركة سوريا ليس مع القوى العظمى فقط، وإنما أيضاً مع معظم الحكام العرب، حيث سيتهمونها، كما حصل سابقاً، باللاواقعية واللاعلمية والتطرف، وبأنها ضيعت عليهم الفرصة، فهم يرددون أن "العرب أضاعوا فرصاً كثيرة مواتية لاسترجاع بعض الحق"٢٣٤، وعلينا الآن "أن نقبل بالمشروع الفلاني فهو الحل الأفضل وهو الحل الممكن"٢٣٥. وكان الأسد يرى أن معظم هؤلاء الحكام "يشكلون كوابح لكبح نضال الجماهير باتجاه العدو خاصة، وكانوا دائماً يحاولون امتصاص غضب الجماهير ضد العدو، وتحويل رغبات الجماهير في النضال ضد العدو لياخذ منحى آخر ولتتحرك في أي اتجاه وفي أي موقع غير الموقع الذي تقف فيه إسرائيل"٢٣٦. ونظراً لقناعة الأسد بضرورة التضامن العربي الحقيقي تحت كل الاعتبارات في مثل هذه الظروف، وبأهمية الموقف العربي الواحد في دعم وقوة الحق العربي المطالب به حتى في حدود الممكن، فإنه التزم بهذا الموقف وبالقرار العربي المذكور حوله.

السبب الرابع لقبول الأسد بالتسوية هو التزامه بالقرارات والإجماع الوطني، على مستوى جميع المؤسسات الحزبية والجهوية والجماهيرية والنقابية، حول هذا القبول للتسوية والسلام وفق الشرعية الدولية. ونظراً لأن القرار البداية والأساسي هو القرار رقم ٣٣٨ المتضمن تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ حول خروج إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في عدوان حزيران ١٩٦٧، وحول حق جميع دول المنطقة بالأمن والسلام، وحول ضمان حقوق الشعب الفلسطيني، فإن الأسد لم يقبل به إلا بعد أن ناقشه على كل المستويات في هذه المؤسسات، وبدأ بالجهة الوطنية التقدمية، "وبحث يكون كل شيء مكشوفاً وصريحاً"٢٣٧. ويؤكد الأسد أن "الكل كان حريصاً على أن تتسع الرؤية حول موضوع المناقشة، وأن نخرج بأصح رأي موحد وأصح قرار في النهاية"٢٣٨. وكان هذا القرار قبول القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، ثم قبول بقية القرارات المتعلقة بالتسوية. ويؤكد الأسد: "إننا نضع شعبنا بصورة توجهاتنا السياسية بشكل مستمر... إننا نتحدث بصراحة إلى شعبنا. وهذه الصراحة تساعدنا على أن نسير نحن والشعب على نسق واحد... نحن والشعب بفهم واحد"٢٣٩.

- من مقابلة الأسد مع باتريك سيل، الوسط...، ص ١٦. (٢٣٣)

(- من كلمة الأسد في افتتاح المؤتمر القطري الثامن، ١٩٨٥. (٢٣٤)

- المصدر نفسه. (٢٣٥)

- المصدر نفسه. (٢٣٦)

- من مقابلة الأسد مع باتريك، الوسط...، ص ١٩. (٢٣٧)

من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢. (٢٣٨)

من حيث الأسد إلى شبكة التلفزيون الأمريكية بي. بي. إس ١٩٩٣. (٢٣٩)

لكن هذه الأسباب جميعها، والتزاماً من الأسد بالقرار الدولي والعربي والوطني والفلسطيني، اتخذ موقفه في قبول سوريا للسلام وللتسوية منذ نهاية حرب تشرين ١٩٧٣ وفق الشرعية الدولية في قراراتها رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، وبحيث لا يعني السلام الاستسلام، بل يعني السلام العادل والشامل الكفيل باسترجاع الحقوق المشروعة. وعلى أن تتم التسوية بالتالي من خلال مؤتمر دولي للسلام، تشترك فيه الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى الاتحاد السوفييتي وأوروبا ومنظمة الأمم المتحدة، وعلى أساس الانطلاق من تنفيذ القرارين الدوليين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام، وتحقيق السلام العادل والشامل لكل الأطراف معاً.

ورأى الأسد أن معركة التصدي للعدو الصهيوني وما تشمل كل المستويات الدولية والعربية والوطنية أفقاً، فهي تشمل عمقاً كل المجالات الحياتية للأمة العربية. يقول الأسد: "إن معركتنا هي بالتأكيد معركة الأمة العربية بكل قواها وطاقاتها وإمكاناتها. وينبغي لنا أن نستعد لها على مختلف الصعد وأن نخوض غمارها في مختلف المجالات لأنها معركة اقتصادية وسياسية وثقافية وعلمية بقدر ما هي معركة عسكرية"^{٢٤٠}، ونظراً لشمولية المعركة وشمولية التصدي وشمولية أسلحة العدو فيها فإن علينا أيضاً أن نخوضها بمختلف أنواع الأسلحة، بما فيها الأسلحة السياسية.

ومعركة السلام، التي هي أهم وجه أو سلاح سياسي لمعركتنا اليوم مع العدو، يجب أن تتواكب، أولاً، حسب رؤية الأسد لشمولية المعركة، بالاستعداد لكافة الاحتمالات مما يفسر وجوب الدعم المستمر للانتفاضة والمقاومة الوطنية إن في لبنان وفلسطين أو في غيرهما، ويجب أن تتواكب ثانياً بالجهود العربية المنظمة على كل المستويات الدولية والعربية والوطنية من أجل توضيح الحقائق المتعلقة بالصراع العربي . الصهيوني، وبحقيقة إسرائيل. ويركز الأسد، بهذا الخصوص، على إبراز الحقائق الآتية التي تسهم في توضيح رؤيته للصراع العربي . الصهيوني وللتسوية، والتي ستشكل الموقف الثابت لسوريا حتى اليوم.

١ . حقيقة الإصرار العربي والسوري على التمسك بالحقوق العربية التي أقرتها لهم الشرعية الدولية حسب قراراتها رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥ والتأكيد أن "العرب لن يتنازلوا عن أرضهم لا اليوم ولا أي يوم في المستقبل"^{٢٤١}، وإنه "متوهم أو واهم كل من يظن أو يعتقد أننا يمكننا أن نفرط بذرة من ترابنا، وليس شعب سوريا من يقبل ذلك وليس من أبناء سوريا من يفعل ذلك"^{٢٤٢}. وعليه يؤكد الأسد أن الدعوة إلى إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل وتطبيع العلاقات بحجة الوصول إلى حل للقضية الفلسطينية هي استخفاف بعقول العرب، فكيف يمكن أن

(- من رسالة الأسد إلى الجماهير ، ١٩٩١. ٢٤٠)

(- انظر سابقاً، وانظر حديث الأسد إلى شبكة التلفزيون الأمريكية بي. بي. اس، ١٩٩٣. ٢٤١)

- من خطابه أمام مجلس الشعب ، ١٢/٣/١٩٩٢. ٢٤٢)

نرفع المقاطعة ويسري التطبيع و"إسرائيل" ما تزال تحتل الأرض وتنتهك الحقوق، والملايين من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين ما زالوا مشردين خارج ديارهم"^{٢٤٣}. وتؤكد سورية بقيادة الأسد: "إننا نريد سلاماً عادلاً وشاملاً مرتكزاً على الشرعية الدولية، لا سلاماً الشروط فيه مفروضة والإدارة مغلوطة والأرض محتلة والحقوق مستلبة"^{٢٤٤}.

٢ . حقيقة "إسرائيل" التاريخية كدولة استعمارية استيطانية توسعية، وحقيقة تزويرها للتاريخ والتراث، ولنصوص التوراة، وحتى تزويرها لتفسير النصوص الأصلية في التوراة من الإدعاء بالحق التاريخي المزعوم، بهدف تبرير وجودها ومطامعها التوسعية من الفرات إلى النيل حسب تفسيرها المزيف للتوراة، التي ليس في نصوصها، في معناها الأصلي، ما يشير من قريب أو من بعيد إلى هذا التفسير. لهذا يرى الأسد ضرورة تصحيح التاريخ والتراث. ونظراً لأن هذه المهمة ترتبط تحديداً بالمتقنين والكتاب العرب، فإن الأسد يتوجه إليهم في أحد مؤتمراتهم ليطالب منهم القيام بمهمة التصحيح هذه للتاريخ والتراث، إذا يقول: "إن الصهيونية عمدت إلى نبش ميت للتاريخ واللغة لتتخذ منها مصدراً من مصادر الإلهام في الإعداد لقضية الباطل وتنفيذ إحياء تراثها الفكري، وخاصة في أوقات الخطر، فإننا الآن أحوج ما نكون إلى إحياء تراثنا وجل ما فيه مجيد ومشرق نظراً للصلوات والوشائج المتينة بين تراث الأمة الفكري وقدرتها الأنية على صنع النصر"^{٢٤٥}.

٣ . رأى الأسد ضرورة كشف الفرق بين المقاومة الوطنية والإرهاب، وبيان مشروعية المقاومة الوطنية في الأراضي العربية المحتلة، وإدانة الممارسات الإرهابية لـ"إسرائيل" التي لا تعد ولا تحصى، من خلال البرهان بالدلائل على خرقها المستمر لحقوق الإنسان. فهي تقوم "بضرب المدنيين والأطفال والشيوخ والنساء"^{٢٤٦}، وهي تطرد السكان العرب من الأرض والبيت ولا تتوقف عن إقامة المستوطنات لليهود المهاجرين الجدد، ولا اعتبار لها لحق الإنسان العربي. قال الأسد: "أول حق للإنسان هو أن يعيش حراً في وطنه . وأول حق للإنسان هو أن يشعر أنه يعيش ضمن بلده وضمن بيته سيداً على نفسه"^{٢٤٧}. وقال : "أين هي حقوق الإنسان إذا لا يمكن لشعب من الشعوب الحق في أن يتصرف بأموره وظروفه كما يشاء"^{٢٤٨}. هل هناك خرق

- من رسالته التحية إلى جماهير الشعب ، ١٩٩١ ، ٢٤٣.

- من خطاب سليمان قذاف ، الأمين القطري المساعد ، بمناسبة الذكرى العشرون لحرب تشرين (تشرين ، العدد ٥٧٥٧، ٢٤٤).
(١٩٩٣/١٠/٧).

- المصدر نفسه. ٢٤٥.

(- من خطابه في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩١. ٢٤٦.

- المصدر نفسه. ٢٤٧.

من حديثه إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢. ٢٤٨.

لحقوق الإنسان أكثر وضوحاً من أن نهجر إنساناً من وطنه ونهدم بيته"^{٢٤٩}. وطبعاً من حق الإنسان أن يدافع عن نفسه، عن كيانه"^{٢٥٠}، ومن هنا تأتي شرعية الانتفاضة وشرعية المقاومة الوطنية عموماً.

٤. وأكد الأسد على حقيقة "إسرائيل" الراضة للسلام ولتطبيق الشرعية الدولية، ودلّ على ذلك خرقها الفاضح والمستمر لهذه الشرعية ولجميع قراراتها بوجوب الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ووجوب التسوية العادلة لحقوق الشعب الفلسطيني، وصرّح: "قد قلت كثيراً للأجانب الذين جاؤوا إلى بلادنا مهتمين بعملية السلام أن "إسرائيل" لا تريد السلام، خاصة وأن حكامها يعتقدون أن الظرف الدولي مناسب لتحقيق المزيد من الأطماع والاحتلالات الجديدة وليس للتخلي عما احتلوه من أراضي في أوقات سابقة. ولكنهم ما كانوا يصدقون ذلك، إن حكام "إسرائيل" وعبر زمن طويل غسلوا أدمغة ناس كثيرين وأوهموهم أن في "إسرائيل" أناساً دراويش يبحثون عن السلام والأمن والحرية، أما العرب فلا يبحثون إلا عن الحرب والقتل والذبح والإرهاب، ومن حسنات عملية السلام... والمحادثات التي جرت بين العرب و"الإسرائيليين" أنها كشفت هذا الزيف كشفاً واضحاً لكل الناس، إلا من عمي في بصره وبصيرته"^{٢٥١}.

وأكد الأسد: "لا أظن أن هناك إنساناً في العالم يتابع القضايا العامة، ويتابع القضايا الدولية، ويحترم التجرد والموضوعية، ويؤمن فعلاً بالسلام وعوامله، وبالعدالة التي يجب أن تكون في كل مكان، وخاصة في إطار العلاقات بين شعوب العالم، إلا ويدرك أن "إسرائيل" لا تريد السلام، وتريد أن تبتلع أراضي الآخرين"^{٢٥٢}. وكثيراً ما كان الأسد يحذّر العرب تحديداً من أطماع الصهيونية و"إسرائيل" التوسعية، يقول: إنه "يجب ألا يغيب عن أبصار العرب وبصائرهم أطماع "إسرائيل" في الوطن العربي، وأن لا يهمل هذا الأمر في أية لحظة من لحظات الزمن"^{٢٥٣}.

٥. الحقيقة الخامسة التي كان يؤكد عليها الأسد هي اعتماد "إسرائيل"، في كل ممارساتها الإرهابية ضد حقوق الإنسان والتوسعية ضد السلام، على الدعم الغربي عموماً والأمريكي على وجه الخصوص والذي هو بلا حدود أو شروط، وبالرغم من إساءاته البالغة للغرب

- حول أقوال وفكر السيد الرئيس بما يتعلق بحقوق الإنسان راجع اسكندر لوقا: "حقوق الإنسان في فكر الأسد" (الثورة، العدد 249) ٩١٤٨، ١٩/٦/١٩٩٣ () .

- المصدر نفسه. 250-

- المصدر نفسه. 251-

- المصدر نفسه. 252-

- من خطابه أمام مجلس الشعب، ١٢/٣/١٩٩٢. 253-

والولايات المتحدة، شعباً ومصالح، ودون أي اعتبار لتناقض هذه الممارسات مع التزاماتها الدولية، وخاصة ما تعلق منها بمبادئ الشرعية الدولية عموماً. يقول الأسد: "إن إسرائيل تريد أن تدفع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموماً إلى الواقع الذي سيعيد المنطقة زمنياً طويلاً إلى الوراء في كل زاوية من زوايا الحياة والتاريخ"^{٢٥٤}. وهي "تقيم المستوطنات وتخزن السلاح على حساب جهد وعرق المواطنين الأميركيين ، وفي الوقت الذي يوجد الملايين منهم بدون بيوت، حسب تصريح عضو الكونغرس روبرت دول (DOLL)"^{٢٥٥}. وكان الأسد يبين كيف تتجاوز "إسرائيل" الحدود و"تتصرف كدولة عظمى توجه الأوامر للدول العظمى الأخرى وليس العكس"^{٢٥٦}، وبالتالي مقدار الحرج الذي تضع فيه هذه الدول ليس أمام العرب فقط وإنما أمام العالم أجمع، وقد رأينا هدف ذلك سابقاً.

ورأى الأسد ضرورة الإصرار على مطالبة منظمة الأمم المتحدة بالمصادقية في تطبيق قراراتها وبمعيار واحد. يقول: "طالما أن العالم كله، والولايات المتحدة الأمريكية في المقدمة يتحدث عن الشرعية الدولية، ويقولون أن العالم الجديد هو عالم الشرعية"^{٢٥٧}، فالهيئة الدولية الملزمة بالحفاظ على السلام بموجب الميثاق، وبموجب قرارات دولية كثيرة عامة، من واجب هذه المؤسسة التي تتخذ القرارات أن تبحث عن السبل الفعالة والأكيدة والمضمونة لتنفيذ الوسيلة والطريق إلى تنفيذ قراراتها"^{٢٥٨}.

وأشار الأسد هنا إلى سياسة الكيل بمكيالين في مواقف المنظمة والولايات المتحدة الأمريكية فيما يخص التزامها بتطبيق الشرعية الدولية في كل من العراق وإسرائيل". يقول: "وفي كل الحالات نحن لا نريد معايير مختلفة متناقضة في التعامل مع دول العالم، ولذلك لا نريد أن نرى آخر"^{٢٥٩}، مثل هذا التعامل يتناقض مع روح ميثاق المنظمة، من حيث تناقضه مع مبادئ العدل والمساواة . و"العدالة يجب أن تكون في كل مكان وخاصة في إطار العلاقات بين شعوب العالم"^{٢٦٠}.

٦. أخيراً أكد الأسد على حقيقة هامة جداً وهي أن الرضا العربي هو شرط من شروط إقامة السلام واحترام مصالح الجميع. قال: "العالم كما ترون تلعب المصالح فيه دوراً أساسياً. ويجب أن لا

من حديثه إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢، ٢٥٤.

- من خطابة أمام مجلس الشعب ، ١٢/٣/١٩٩٢، ٢٥٥.

المصدر نفسه، ٢٥٦.

(- من حديثه إلى مجلة التايم الأمريكية، ١٩٩٢، ٢٥٧.

(- من حديثه إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢، ٢٥٨.

(- المصدر نفسه، ٢٥٩.

(- المصدر نفسه، ٢٦٠.

ننسى أبداً أن مشاعر المواطنين في كل مكان في الوطن العربي ليست مشاعر الرضا والارتياح عن هذا الوضع الذي يشعر فيه المواطن العربي أنه معرض للظلم ومعرض للاضطهاد. ونحن طبعاً نعمل وسنعمل ويجب أن نعمل بالتعاون مع قادة العالم ومع دول العالم على أن لا نشعر أحد في هذا العالم بالظلم والاضطهاد ، لأن من شأن هذا أن لا يجعلنا نعيش في عالم مستقر هادئ يبني الحاضر كما يبني للمستقبل. وإذا لم يطمئن المواطنون العرب إلى إنهم غير مستهدفين فلن يكونوا أبداً عامل استقرار ، وبالتالي في رأيي لن نستريح نحن ولن يستريح العالم^{٢٦١}.

ورأى الأسد في ازدياد تأثير التيار الديني المتعصب، والمسمى خطأ بالأصولي^{٢٦٢}، أحد المظاهر الهامة لعدم الرضا هذا، بخاصة" عن مجريات وظروف ونتائج عملية السلام وتسوية الصراع العربي . الصهيوني^{٢٦٣}.

وأصرّ الأسد على دعوة العرب إلى ضرورة التنسيق والتعاون والسعي المنظم لكشف جميع هذه الحقائق المتعلقة بعملية وتسوية الصراع العربي . الصهيوني، محرّضاً إياهم على ضرورة التضامن العربي الفعلي للتصدي الفعال لمخططات العدو الصهيوني. وكان ينبه إلى أن المعركة الأساسية للأمة العربية هي معركتها مع هذا العدو، لهذا فهو يحذر العرب من المعارك الجانبية. قال: "يجب أن تشدنا الأمور الكبيرة قبل الصغيرة. وكل الأمور في حياتنا تهمنا، ولكن هناك أولويات، والأخطر هو الذي يجب أن ينال جهدنا"^{٢٦٤}.

من هنا جاء تأكيد الأسد على الحوار الموضوعي كأسلوب لحلّ جميع الخلافات، سواء فيما بين العرب أنفسهم، أو فيما بينهم وبين الدول المجاورة لهم، كتركيا وإيران، والتي لـ"إسرائيل" مصلحة في تسعيرها. ومن هنا جاء دور الأسد في حلّ خلافات مصر ودول الخليج مع إيران، وفي تحسين علاقات سوريا مع تركيا برغم قضية اللواء وخطورة مشكلة المياه معها، وفي حلّ خلاف مصر مع السودان حول منطقة حلايب^{٢٦٥}، وفي حلّ أزمة الحرب الأهلية اللبنانية، كما سنرى في الفصول القادمة^{٢٦٦}.

(- من مؤتمر صحفي له مع الرئيس حسني مبارك، دمشق (تشرين، العدد ٥٦٨٣، ١٩٩٣/٧/٩).

(- لأنه ليس من أصول الدين وإنما هو خروج عنه.

(- انظر حديثه إلى مجلة التايم الأمريكية، ١٩٩٢.

(- من كلمته في مأدبة الإفطار التكريمية للعلماء، ١٩٩٢.

(- انظر المقابلة مع ياسين سراج ، نائب رئيس حزب الوفد ورئيس الهيئة البرلمانية في مجلس الشعب المصري في (تشرين، العدد

٥٥٦٥ ، ١٩٩٣/٢/٢٨).

(- حول دور الأسد الفاعل في حلّ القضايا المذكورة وكثير غيرها، وفي تركيز سياسته على التضامن العربي، انظر: بيدرلان

لوسيان، حافظ الأسد مسيرة نضال، ترجمه عن الفرنسية الياس بديوي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧، ص ٢٣١ وما يتبع.

الفصل الثاني:

"الحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ والعلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ رئاسة فرنجية في لبنان حتى الغزو "الإسرائيلي" عام ١٩٧٨"

المحتويات:

مدخل الفصل الثاني.

أولاً) . الحركة التصحيحية في سوريا والمنطلقات المعرفية والمنهجية لإدارة الأسد:

١ . المنطلقات السياسية المعرفية للرئيس الأسد.

٢ . المنطلقات السياسية المنهجية للرئيس الأسد.

٣ . مصدر وطبيعة القرار السياسي في سوريا ولبنان.

ثانياً) . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة فرنجية في لبنان ١٩٧٠ حتى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨:

١ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة

فرنجية في لبنان عام ١٩٧٠ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥:

أ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية حتى حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣.

ب . حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣: المسار والممارسات الساداتية والنتائج.

ج . سوريا ولبنان من انتصار تشرين عام ١٩٧٣ حتى قيام الحرب الأهلية

اللبنانية عام ١٩٧٥.

٢ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ بداية الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ حتى

الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان عام ١٩٧٨:

أ . الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥: الأسباب والمقدمات والبدائية.

ب . أطراف الحرب الأهلية اللبنانية: تنظيمات وتحالفات.

ج . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساعي السورية لإيقافها حتى الغزو الصهيوني

لجنوب اللبناني عام ١٩٧٨:

- ١٠ . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساعي السورية الأولية لإيقافها.
- ٢٠ . من إنجازات المساعي السورية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية: الوثيقة الدستورية.
- ٣٠ . دخول القوات السورية تلبيةً للنداءات اللبنانية ومساعيها لإيقاف الحرب الأهلية.
- د . المساعي العربية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية.
- هـ . من زيارة السادات للقدس المحتلة وقيام "جبهة الصمود والتصدي" عام ١٩٧٧ حتى الغزو "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨.
- ثالثاً) . أبرز نتائج الفصل الثاني.

مدخل الفصل الثاني:

شكّل انتخاب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية اللبنانية، في ١٧ آب ١٩٧٠، نقطة تحول داخلي من حيث أنّه "كان في طليعة المهام التي أوكلت لعهد الجديد أن يقوم بتصفية التركة الشهابية"^{٢٦٧}، ومنها المكتب الثاني وبقية الأجهزة الشهابية في الجيش والإدارة، وأن يقوم بالمعالجة المرضية للوجود الفلسطيني المتنامي في لبنان إثر تصاعد أحداث أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠، وانتقال قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعدها إلى لبنان الذي تحول إلى مقر كثافة سكانية متنامية للفلسطينيين منذ ذلك الحين، وإلى مرتكز أساسي للثورة الفلسطينية^{٢٦٨}. ولقد شهدت بداية فترة رئاسة فرنجية حدثين مهمين جداً في تاريخ العرب المعاصر:

أولهما وفاة الزعيم القومي العربي الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ أيلول ١٩٧٠، وبداية نظام حكم أنور السادات الذي بدأ حكمه بتغيير اسم بلاده من "الجمهورية العربية المتحدة" إلى "جمهورية مصر العربية"، وبإزاحة جميع رفاق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومعاونيه عن مراكز القيادة. وما لبث أن أقصى على الفور كل معارضيه في الداخل، عام ١٩٧١، ثم طرد الخبراء السوفييت، عام ١٩٧٢، وكانت الأعذار التي اختلقها للإطاحة برفاق الأمس أنهم تآمروا عليه وأرادوا إقصاءه عن الحكم. وهو الذي عُرِف عنه إعطاء الأولوية للمصالح المصرية^{٢٦٩} على حساب مصلحة الأمة العربية والشعب الفلسطيني^{٢٧٠}.

والحدث الثاني المهم كان قيام الحركة التصحيحية في سوريا، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠، بقيادة حافظ الأسد الذي سيكون له شأن كبير وبخاصة في العلاقات السورية اللبنانية^{٢٧١} حتى رحيله عام ٢٠٠٠، مما يستدعي أولاً التعريف به وبحركته.

أولاً) الحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ والمنطلقات المعرفية والمنهجية لإدارة الأسد:

قام حافظ الأسد وزير الدفاع السوري، بمشاركة رئيس أركانه مصطفى طلاس، بالحركة التصحيحية في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠. وفي الاستفتاء الشعبي الذي جرى في ١٢ آذار ١٩٧١ انتخب الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية لمدة سبع سنوات، ثم أعيد انتخابه في

^(٢٦٧) - تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان...، مصدر سابق، ص ٣٨٥. وحول الرئيس فرنجية عموماً راجع: الديري الياس، سليمان فرنجية، التعاونية الصحفية، بيروت، ١٩٧٠.

^(٢٦٨) - الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، المرجع السابق، ص ٩٨.

- انظر بقرادوني كريم، السلام المفقود، عهد الياس سركيس (١٩٧٦ - ١٩٨٢)، عبر الشرق للمنشورات، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٦٩.

٤١.

^(٢٧٠) - لمزيد من التفصيل انظر هيكل محمد حسنين، أكتوبر ٧٣: السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، طبعة أولى، ١٩٩٣، ص ٦٨ - ٧٦.

(- انظر لاحقاً. ٢٧١)

استفتاءات متتابعة في الأعوام: [١٩٧٨ و ١٩٨٥](#)^{٢٧٢}. وفي ١٤ أيار ١٩٧١ انتخبه المؤتمر القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي أميناً قطرياً للحزب، وفي آب من العام نفسه انتخبه المؤتمر القومي الحادي عشر للحزب أميناً عاماً له. وفي ٧ آذار ١٩٧٢ أنجز إنشاء الجبهة الوطنية التقدمية. وتمّ إقرار الدستور الدائم لسوريا بعد استفتاء شعبي في آذار ١٩٧٣ بموافقة ٩٧.٦ %، وهو دستور وطني حيث الرابطة الأولى فيه هي رابطة المواطنة وعلى مبدأ تساوي جميع المواطنين السوريين أمام القانون. وفي أيار ١٩٧٣ تمّت انتخابات مجلس الشعب. وتناقلت التشكيلات الوزارية برئاسة: عبد الرحمن خليفاي، ومحمود الأيوبي، ومحمد علي الحلبي، وعبد الرؤوف الكسم، إلخ... ولتواصل إدارة الأسد بكلّ مؤسساتها التشريعية والتنفيذية سياستها على كلّ صعيد، ومنه الصعيد الخارجي.

لقد باشر الأسد، منذ أيامه الأولى في الحكم، انفتاحه على جميع الدول العربية، بعيداً عن تصنيفها السابق الفاصل بين من كان منها في الاتجاه الرجعي أو التقدمي، موقفاً على الاتحاد السوري . المصري . الليبي بعد إقراره في استفتاء شعبي في ١/٩/١٩٧١، وعاملاً بإصرار على نصرته القضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والأخرى اللبنانية كما سنرى، وعلى تفعيل التضامن العربي، ومنه تحسين علاقات سوريا مع المملكة العربية السعودية وبخاصة في عهد الملك فيصل، وإعادة علاقات سوريا الدبلوماسية مع الأردن في ٤ تشرين الأول ١٩٧٣^{٢٧٣} إلخ...

وفي الوقت الذي عملت فيه إدارة الأسد على توطيد علاقات سوريا مع الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي، فقد حرص على تحسين علاقات سوريا الخارجية عموماً وبخاصة مع دول عدم الانحياز من جهة، ومع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى. ولم يتساهل يوماً في الخروقات "الإسرائيلية" لخط وقف النار مع سوريا، مما يفسر كثرة الاشتباكات السورية . "الإسرائيلية" سواء قبل انتصار تشرين ١٩٧٣ أو بعده طوال المرحلة الزمنية المعنية بالبحث، بالرغم من محاولات التسوية للصراع العربي . الصهيوني. وكان اهتمام الأسد الأول مركزاً ليس على ضرورة استعادة الجولان المحتل فحسب، رافضاً القرار "الإسرائيلي" بضمه في ١٤/١٢/١٩٨١، وإنما ركّز أيضاً على ضرورة استعادة جميع الأراضي العربية المحتلة. وكما بيّن أحد الباحثين فإنّ الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس حافظ الأسد جاءت "لتنجّ أسلوباً جديداً في المواجهة مع "إسرائيل" يعتمد على وضع وتسخير الإمكانيات البشرية والاقتصادية في

(- أعيد انتخابه أيضاً في عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٩ (راجع الجريدة الرسمية السورية، ومحاضر مجلس الشعب في الأعوام والتواريخ ²⁷² المعنية).

(- كانت قد قُطعت منذ أحداث أيلول الأسود ١٩٧٠ ضدّ الفلسطينيين في الأردن. ²⁷³

خدمة المعركة، وتكريس التضامن العربي، وتعميق أواصر الصداقة مع دول المنظومة الاشتراكية^{٢٧٤}.

وفيما يخصّ العلاقات السياسية السورية . اللبنانية: من الضروري الوقوف مطولاً عند رئاسة الأسد لسببين مهمين مؤثرين بقوة في ثوابت ومتغيرات هذه العلاقات: الأول هو استمرار هذه الرئاسة حتى وفاة الرئيس الأسد عام ٢٠٠٠، مما يعني بالتالي استمرارية إدارته طوال المرحلة المعنية بهذا البحث، أي منذ الحركة المذكورة حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، ولتتعامل، في علاقات سوريا مع لبنان في هذه المرحلة، بدرجة كبيرة مع الرؤساء الثلاثة للجمهورية اللبنانية فيها، وهم على التوالي: سليمان فرنجية، الياس سركيس، وأمين الجميل، وبدرجة محدودة مع بشير الجميل، ورينيه معوض ثم الياس الهراوي. والسبب الثاني هو أنّ الرئاسة العليا في كل دولة هي التي تعبر عن سياستها الخارجية، وتعلن عنها وتتفّذها، وعليه فإن الحديث عن هذه السياسة لأية دولة لا يمكن أن يتم إلا من خلال هذه الرئاسة. فالحديث عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة ويلسون أو بوش أو غيرهما لا يمكن أن يتم إلا من خلال هذه الإدارة لكل منها.

هذا ما يمكننا ملاحظته بسهولة في جميع الدراسات المعنية بهذا الشأن. وعليه فإن الحديث عن مواقف السياسة الخارجية لسوريا عموماً، أو خصوصاً فيما يتعلق بموضوعنا، العلاقات السورية . اللبنانية، لا يمكن أن يتم إلا من خلال الإدارة الحاكمة بكل مؤسساتها صاحبة القرار فيهما، والتي هي إدارة حافظ الأسد، وهذا ما يبرر اعتماد أقواله وأفعاله ومواقفه في هذا البحث، كبعض من المصادر الأولية والأساسية التي نتوصل من خلالها إلى معرفة منطلقات ومواقف سوريا ومنها ما يخص العلاقات السورية . العربية بشكل عام والعلاقات السورية . اللبنانية بشكل خاص في المرحلة المعنية بالبحث. وهذا الاعتماد ليس لأنّ الأسد صاحب القرار الأول، ولكن لأنّ قراره، المعبر عنه في أقواله وأفعاله ومواقفه، هو نفسه القرار المتخذ من جميع المؤسسات السورية المعنية^{٢٧٥}.

وعليه، فمن أجل امتلاك المقدرة على الإدراك الصحيح والفهم العميق للسياسة السورية يجب دراسة المنطلقات المنهجية والمعرفية لرئيسها وصاحب القرار الأول فيها، والتي تحرك نظامه المعرفي . القيمي^{٢٧٦}، إن كعملية تفكير، أو كقرار أو كقول أو كفعل. والبداية مع المنطلقات السياسية المعرفية.

١ . المنطلقات السياسية المعرفية للرئيس الأسد:

(- الحسن بدري وآخرون، حرب رمضان الجولة الإسرائيلية الرابعة، الشركة المتحدة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧١-٧٢. ٢٧٤)

(- انظر لاحقاً. ٢٧٥)

(- انظر محمد نجاح: "منهج الفكر عند حافظ الأسد" في (البعث الأسبوعي، دمشق، العدد ٨٧٩١، تاريخ ١٩٩٢/٣/٩). ٢٧٦)

المنطلقات السياسية المعرفية للأسد هي التي بها ومن خلالها يكون مواقفه من المتغيرات العالمية خاصة ومن الأحداث السياسية المختلفة عامة، إن قراراً أو قولاً أو فعلاً. وتدور جميعها حول محور انتماءاته الثلاثة، العالمية والقومية والوطنية والتي لفكر حزبه شأن كبير فيها.

المنطلق الأول المعرفي هو إيمان الأسد بالتغيير كضرورة وكوجود يمتد عبر التاريخ، ويشمل عصوره المختلفة، الماضية والحاضرة والمستقبلية، كما يشمل أقوامه وشعوبه وأممه ودوله. لهذا فالتاريخ برأي الأسد هو "معلم كبير"^{٢٧٧}. ومنه إيمانه بضرورة اليقظة الدائمة والاستيعاب المستمر لطبيعة التغيرات والتحولات في الواقع العربي والعالم أجمع: "يجب أن نظل يقظين ولا يجوز أن تنال منا غفلة أو استغفال، فالعالم يمر في اتجاهات مختلفة واندفاعات متباينة"^{٢٧٨}.

المنطلق المعرفي الثاني هو إيمانه بوجود العلاقة الجدلية المتبادلة بين شعوب ودول العالم، والتي بها ومن خلالها تتم المتغيرات العالمية: فالتفاعل المجسد لهذه العلاقة موجود "بين شعوب العالم المختلفة، بحيث يأخذ كل شعب من الشعوب الأخرى ما يراه مفيداً ومتلائماً مع العوامل الأساسية التي تحدد النظام وصيغ العمل التي يسير بموجبها هذا الشعب أو كل شعب بالأحرى"^{٢٧٩} و"التعاون واجب ومفيد لشعوب العالم"^{٢٨٠}، ومن خلاله يتم التواصل الحضاري العالمي ومنه العربي، "فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها"^{٢٨١}. ويركز الأسد على أنه "عندما تعرف الشعوب بعضها بعضاً، وتتفهم قضايا بعضها بعضاً، تصبح العلاقات بين الدول قائمة على الفهم المتبادل، وتتسم بالرغبة المتبادلة في التوجه نحو ما ينشر الخير والعدل والسلام في هذا العالم"^{٢٨٢}.

المنطلق المعرفي الثالث هو إيمانه بالمصلحة القومية والإنسانية: إن المصلحة القومية العربية التي يؤمن بها الأسد وحزبه هي الثابت الأساس الذي تختلف معطيات وأساليب تحقيقه، كاستراتيجيات وتكتيك، حسب المتغيرات التاريخية العربية والعالمية. وهي المنطلق الأول في العلاقات مع أمم ودول العالم. وترى سوريا "مصالحها في مصالح العرب الآخرين وأمنها في أمنهم"^{٢٨٣}، وتتسامى دائماً على الجراح من أجل مصلحة الأمة"^{٢٨٤}. ولكن نظراً لارتباط القومية

(- من حديث الأسد إلى بعثة هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية (البعث، العدد ٨٨٥٥، ٣/٦/١٩٩٢).²⁷⁷

(- من خطاب الأسد في افتتاح مؤتمر اتحاد العمال. (تشرين، العدد ٥٥٢١، ١٥/١٢/١٩٩٢).²⁷⁸

(- من حديث الأسد مع هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢.²⁷⁹

(- المصدر نفسه.²⁸⁰

(- انظر دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، وانظر لاحقاً.²⁸¹

(- من خطاب الأسد في افتتاح المؤتمر الأول للبرلمانيين الأمريكيين المتحدرين من أصل عربي، في ٢٦/١٠/١٩٨٥.²⁸²

(- من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢.²⁸³

(- المصدر نفسه.²⁸⁴

العربية على مر العصور بالمضمون الإنساني العالمي، المتصل برسالة أمتها الخالدة الموجهة ليس لخدمة التقدم البشري داخل إطارها فقط، وإنما لخدمته في إطار العالم كله بجميع شعوبه وأممه ودوله، فإنها ارتبطت كمصلحة عربية بالمصلحة الإنسانية للعالم أجمع.

هذا ما يفسر إيمان الأسد وحزبه بهذه المصلحة، التي هي هدف داخل في صلب الرسالة الخالدة للأمة العربية المتوجهة إلى "تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم"^{٢٨٥}. يعبر الأسد عن هذا المضمون الإنساني العالمي للقومية العربية، مصلحة وواقعاً ورسالة هادفة، أجمل تعبير إذ يقول: "القومية العربية حقيقة تاريخية حضارية وإنسانية، عبرت عن نفسها عبر عصور التاريخ من خلال أبنائها بأجيالهم المتعاقدة، بتلك الإنجازات العلمية الضخمة والإشرافات الفكرية والروحية الكبرى والتي كانت للبشرية جمعاء، خدمت الإنسان في كل مكان وفي أكثر من عصر وحتى الآن"^{٢٨٦}.

"إن قوميتنا العربية كانت دائماً قومية سمحاء إنسانية، تبعث في أبنائها الشهامة والإباء، وتبعث فيهم روح المحبة والتعاون والعمل من أجل الإنسان أينما كان"^{٢٨٧}. ولهذا يرى الأسد وحزبه أن الإنسانية "مجموع متضامن في مصلحته، مشترك في قيمه وحضارته"^{٢٨٨}، و"أن الحياة ليست إلا نضالاً مستمراً من أجل قضايا الحياة الإنسانية"^{٢٨٩}. لكل ما تقدم فإن المصلحة القومية والعالمية هي منطلق ثابت لمواقف الأسد من المتغيرات.

المنطلق المعرفي الأخير هو إيمانه بدور العلم والمعرفة والجهد الذاتي والعمل في تحقيق المستقبل المنشود: لأنه "بالعلم والمعرفة نصعد إمكانات الفرد والأمة"^{٢٩٠}. ولأن العمل الصبور المستمر يحقق النتائج المرجوة الكبيرة"^{٢٩١}.

٢ . المنطلقات السياسية المنهجية للرئيس الأسد:

المنطلق الأول هو إيمانه بالديمقراطية الوطنية. يؤكد الأسد بالنسبة لسوريا أنها اختارت صيغة للديمقراطية متطورة ومتجددة وتنطلق من "قراءة الواقع بجوانبه المختلفة قراءة متأنية موضوعية علمية"^{٢٩٢}. أخذت في اعتبارها هذا الواقع وتراثه وخصوصيته، وخاصة ما تعلق منها بظاهرة شغل

٢٨٥- راجع دستور حزب البعث العربي الاشتراكي.

٢٨٦- من خطاب الأسد في افتتاح المؤتمر الثاني لإتحاد شببية الثورة، ١٢/٤/١٩٧٦.

٢٨٧- من خطاب الأسد في افتتاح المؤتمر الثاني لإتحاد شببية الثورة، ١٢/٤/١٩٧٦.

٢٨٨- راجع دستور حزب البعث العربي الاشتراكي.

٢٨٩- من كلمة الأسد في افتتاح المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي، في ١٥/١/١٩٨٥.

٢٩٠- من خطاب الأسد في افتتاح المؤتمر العام التاسع للإتحاد الوطني لطلبة سوريا، في ٤/٥/١٩٨٥.

٢٩١- من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢.

٢٩٢- المصدر نفسه.

الشعب السوري كافة بالسياسة وبشؤونها: "السوريون معروفون أنهم كلهم سياسيون"^{٢٩٣}. من هنا أتى، على سبيل المثال، اشتراك أكبر عدد ممكن منهم في ممارسة العمل السياسي من خلال التعددية السياسية، ومن خلال تواجدهم في المؤسسات الحزبية والسلطوية والجهوية والمنظمات الجماهيرية والنقابية والإدارة المحلية إلخ... فكانت تجربة سوريا حسب تأكيد الأسد: "تجربة جديدة هدفت إلى تحقيق أوسع مشاركة شعبية ممكنة تتم عن طريق الانتخابات والتمثيل الصحيح"^{٢٩٤}. ولقد جسدت هذه التعددية السياسية بالإضافة إلى التعددية الاقتصادية بقطاعاتها الثلاثة، العام والخاص والمشارك، الوحدة الوطنية: "الهدف الأكبر والوسيلة الكبيرة" لأنها "ثروة وكنز وسلاح ووسيلة وغاية يجب أن نصونها بكل ما نستطيع"^{٢٩٥}. وهي تعبر عن الإجماع الوطني الذي هو أحد منطلقات الأسد الكبرى في تحديد مواقفه السياسية، من حيث التزامه بالقرار الوطني الديمقراطي وبالإجماع المستمر، ولنا عودة إلى هذا الموضوع لاحقاً.

المنطلق المنهجي الثاني هو التزامه بالقرار القومي العربي: إن الأسد إذ يؤمن بأن المصلحة القومية تعني كل البلدان العربية، ومنها لبنان، باعتباره جزءاً من الأمة العربية، فإنه يؤكد على وحدة القرار العربي انطلاقاً من وحدة هذه المصلحة. يقول: "من هنا تكون الشراكة في الرأي التي تنبثق من الشراكة في التاريخ، والشراكة في التراث، والشراكة في الحضارة، والشراكة في اللغة، والشراكة في القيم الروحية، والشراكة في الآلام والأمال، والشراكة في المصير، والشراكة في كل ما يعنيه انتمائنا إلى الأمة العربية التي انطلقت من أرضها رسالات السماء، وبهرت العالم بما قدمت من فكر وعلم ومثل. وعلى ذلك فإن المشاركة فيما نحن فيه قولاً وفعلًا هي لنا وعلينا حق وواجب"^{٢٩٦}.

ولتزام الأسد بالقرار العربي الذي تنتهي إليه هذه المشاركة، والذي يتخذ على مستوى جامعة الدول العربية، مشروط بأمرين اثنين: أولهما أن يأتي منسجماً مع ميثاقها، وخاصة ما يتعلق منه بالمصلحة القومية التي هي التمسك بالحقوق العربية. ويقول الأسد: "إذا ما وجدنا أن قوة عربية تنازلت عن الحقوق العربية فإننا سنعارضها"^{٢٩٧}. وثانيها أن يتم الوصول إليه عن طريق الحوار العربي الديمقراطي على مستوى هذه الجامعة. ولهذا يدعو الأسد إلى هذا الحوار دائماً^{٢٩٨}.

(- المصدر نفسه. ٢٩٣)

(- المصدر نفسه. ٢٩٤)

(- من كلمته في مأدبة الإفطار التكريمية للعلماء ، ١٩٩٣. ٢٩٥)

(- من رسالة الأسد إلى صدام حسين في محاولة لإقناعه بانسحاب القوات العراقية من الكويت في ١٢/١/١٩٩١. ٢٩٦)

(- من مقابلة الأسد مع باتريك سيل، الوسط . . . ، ص ١٦. ٢٩٧)

(- انظر على سبيل المثال رسالة الأسد إلى صدام حسين، وانظر خطاب الأسد في مؤتمر القمة الطارئ في ٩/٨/١٩٩٠. ٢٩٨)

المنطلق المنهجي الثالث لإدارة الأسد هو التزامه بالقرار الدولي وبمبادئ الديمقراطية الدولية: يأتي التزام الأسد بهذا القرار انطلاقاً من إيمانه بالمصلحة الإنسانية العالمية في إقامة المجتمع الدولي المتمثل اليوم بمنظمة الأمم المتحدة وباحترام الشرعية الدولية التي تجسدها قراراتها، على أن تأتي منسجمة مع ميثاقها، وعلى أن تتم بمعيار واحد هو معيار المساواة والحرية والعدالة والسلام. من هنا أتت تأكيدات الأسد على الأسس الديمقراطية الآتية:

أ. وجوب التمييز بين الديمقراطية الدولية التي يجسدها ميثاق الأمم المتحدة والتي تنظم العلاقات بين الدول على أساس المساواة والحرية والعدالة والسلام، وبين النموذج الغربي الديمقراطي الذي يحاول الغرب وزعامته الأمريكية فرضه على جميع دول العالم، مما يعني التناقض مع مبادئ الأمم المتحدة²⁹⁹. من هنا جاء رفضه لمحاولة عولمة أو تعميم ما يسمى بلبرلة الاقتصاد والسياسة في جميع دول العالم وفق النموذج الرأسمالي الديمقراطي الغربي. يؤكد الأسد في رفضه هذا على وجود وحدة المضمون الديمقراطي، في عناصره الأساسية المبدئية، بالنسبة لكل الصيغ الديمقراطية في العالم، الدولية والوطنية. لهذا فلا خلاف حول هذا المضمون بشتى أشكاله المتعددة في جميع أنحاء العالم، وإنما الخلاف حول مدى مصداقية الالتزام بتطبيق مبادئه وخاصة من الدول التي ترفعه كشعار، يقول الأسد: "جدير جداً بالدول التي ترفع شعار الديمقراطية أن تطبقه، وخاصة عندما نتحدث بذلك مع الشعوب الأخرى، كما يجري معنا نحن. وأن تمارس الديمقراطية الدولية التي تقتضي المساواة بين الدول والتعامل الحر والنقد للنقد بين الدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والسيادة والاستقلال"³⁰⁰. والمهم في موضوع الديمقراطية هو أنه "يجب أن لا ننسى أبداً أن الأصل هو أن كل شعب يقرر شؤونه وفق مصالحه ورغباته وتطلعاته، دون أن يستطيع أحد أن يفرض عليه ما يفعل. هذه قاعدة نتمسك بها في سوريا. وأظن أن جميع شعوب العالم تتمسك بها وتريد أن تتمسك بها. نحن نريد أن نتمسك بها"³⁰¹.

ب. وجوب التمييز بين التعاون والتفاعل الذي هو "واجب ومفيد لشعوب العالم ولا يتناقض مع الديمقراطية، وبشكل خاص ما يمكن أن نسميه الديمقراطية الدولية"، الذي "يأتي في إطارها ويقدم الفائدة للجميع"³⁰²، وبين مضمون الفرض الذي "لا يجب ولا يجوز أن يقبله أحد. وبالأحرى لا

(- أنظر حديث الأسد إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢، 299)

(- من خطابه أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢، 300)

(- من حديثه إلى بعثة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢، 301)

- أنظر حديث الأسد إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية، ١٩٩٢، 302

يجوز لأحد أن يقبل فرضه. وعبر مسيرة التاريخ كل قوة حاولت أن تفرض نمطها تراجعت، والتاريخ معلم كبير^{٣٠٣}.

ج . وجوب التمييز بين الديمقراطية الدولية التي تنظم العلاقات على مستوى المجتمع الدولي، وبين الديمقراطية الوطنية التي تنظم العلاقات على مستوى المجتمع المحلي الوطني لكل دولة^{٣٠٤} الأولى نموذجها محدد، أما الثانية فنموذجها متعدد تعدد الدول، ومتنوع بتنوع خصوصياتها الوطنية والقومية، ومختلف باختلاف المراحل التاريخية. لأن الديمقراطية ليست إطاراً جامداً، وليست طريقاً موصداً، بل هي موضوع حي يتطور ويتجدد وفق تطور ظروفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية^{٣٠٥}.

ويؤكد الأسد "أن صيغة الديمقراطية ليست سلعة تستورد من هذا البلد أو ذاك، وإنما هي الإطار الذي يمارس فيه المواطنون حقوقهم وواجباتهم وفق ظروفهم المرحلية. وكل مرحلة من مراحل التقدم والتطور البناء تحققها تقدم معطيات جديدة في مجالات الحياة المختلفة لابد أن تعكس نفسها على الإطار الديمقراطي... وبسبب عدم تماثل المعطيات الثقافية والتراثية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بين شعوب العالم، في أي وقت من الأوقات، لم تستطيع أية صيغة ديمقراطية بعينها أن تفرض نفسها بقوتها أو بجاذبيتها على شعوب العالم في أي وقت على امتداد ما هو معروف من التاريخ الإنساني. ورغم تمسك الإنسان دائماً بتحقيق الحياة الديمقراطية بمعنى أنها سيادة الشعب أو حكم الشعب نفسه بنفسه، تعددت في الزمن الواحد، في مرحلة تاريخية واحدة ، صيغ كثيرة جداً تسير بموجبها شعوب العالم، حتى أنه في كثير من الأحيان بدت هذه الصيغ، والتي تسعى إلى الهدف نفسه، متباينة إلى حد التناقض^{٣٠٦}.

المنطلق المنهجي الرابع للأسد هو إيمانه بضرورة الرؤية العقلانية العلمية الموضوعية الواقعية: لأنه "إذا لجأ الإنسان إلى عقله لاشيء مستحيل، ولا توجد مشكلة لا حل لها إذا كان المرء علمياً وموضوعياً"^{٣٠٧}. وهذه الرؤية تعني رفض العاطفة والفردية . النفعية والبراغماتية، وتعني عدم ربط الأمور "بمصالح عابرة وخاصة الانتهازية منها"^{٣٠٨} وتعني أنه "لا يجب أن يعيش المرء بالأوهام، مهما تكن عواطفنا"^{٣٠٩} ولا يجوز للفرد أن يربط التاريخ بشخصه^{٣١٠} والقرار

(- المصدر نفسه، ٣٠٣.

(- من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢، ٣٠٤.

(- المصدر نفسه، ٣٠٥.

من حديث الأسد مع دونالد رامسفيلد، مبعوث الرئيس الأمريكي ريفان، في ١٣/١/١٩٨٤ انظر اسكندر لوقا: حافظ الأسد قيم^{٣٠٦} -.

فكرية إنسانية، دمشق ١٩٨٩، ص ١٦٥.

(- من حديث الأسد مع أندرياس باباندريو، رئيس وزراء اليونان، في ٨/١١/١٩٨٤، لوقا، ص ١٦١^{٣٠٧}

(- من حديث الأسد مع محمد ضياء الحق، الرئيس الباكستاني، في ١٠/٣/١٩٨٢، لوقا، ص ١٦٠^{٣٠٨}.

الصحيح حول تحديد مواطن وأساليب التغيير في الواقع لتحويله إلى الواقع الجديد الذي نطمح إليه يجب أن نتوصل إليه، حسب رأي الأسد، بأن نقرأه، أي الواقع "بجوانبه المختلفة قراءة متأنية موضوعية علمية"³¹⁰.

المنطلق المنهجي الخامس هو إيمان الأسد بالرؤية الشمولية، لأنه: "دائماً معالجة الأمور بأن ننظر إليها على أنها جزئية بمعزل عن الشمولية، مثل هذه النظريات والمعالجة على أساسها لا تؤدي إلى نتائج إيجابية"³¹¹.

المنطلق المنهجي السادس للأسد هو إيمانه بضرورة اليقظة والاستيعاب المستمر لطبيعة التغيرات والتحولات في الواقع العربي والعالم أجمع: يؤمن الأسد وحزبه بـ: "المنطلق العلمي الذي يقوم على التحليل العلمي الموضوعي لظروف النضال، وعلى التحليل الواقعي للأوضاع الملموسة التي ما تبرز في تطور وتغير"³¹². وهذا "ينفي جميع أشكال التفكير الذاتي، كالارتجال والنظرة التقريبية والكسل العقلي والتفكير الوعظي وسائر النزعات المثالية في التفكير"³¹³. ويحذر الأسد: "يجب أن نظل يقظين ولا يجوز أن نتألم منا غفلة أو استغفال، فالعالم يمر في اتجاهات مختلفة واندفاعات متباينة"³¹⁴.

المنطلق السياسي المنهجي السابع للأسد هو إدراكه وحزبه لضرورة التمييز: بين ما هو مرحلي، وبين ما هو مرتبط بإستراتيجية معينة، وبين ما هو دائم ومرتبط بمواقعها"³¹⁵، أي التمييز بين الثابت والمتغير، فالثابت هو المحور الدائم الذي لا تبدل فيه ولا تغير، وهو الحامل لكل المعطيات الحياتية، الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، في كل المراحل التاريخية. وهذه المعطيات، إن كُتبت أو كُشلت، هي المتغير ما بين مرحلة تاريخية وأخرى، والتي بها تحديداً يرتبط قبول الحكم الثوري أحياناً، وتحت ضغط المتغيرات نفسها، "بعدد من التنازلات المؤقتة أو المساومات الضرورية، وقد يجبر على التراجع أحياناً"³¹⁶، لكن ليتقدم من جديد.

المنطلق السياسي المنهجي السابع هو إيمان الأسد وحزبه بـ: "المنطلق العلمي الذي يقوم على التحليل العلمي الموضوعي لظروف النضال، وعلى التحليل الواقعي للأوضاع الملموسة

(- مجموعة مؤلفين: حافظ الأسد القائد المفكر، دمشق، ١٩٩٠، ص ٦٠. 309)

(- من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب، ١٢/٣/١٩٩٢. 310)

(- من حديث الأسد مع هاتز ديتريش غينشر، وزير خارجية ألمانيا الاتحادية، في ٢٧/٨/١٩٧٩، لوقا، ص ٢٩. 311)

(- انظر بعض المنطلقات النظرية. 312)

(- المصدر نفسه. 313)

(- من خطاب الأسد في افتتاح مؤتمر اتحاد العمال. (تشرين، العدد ٥٥٢١، ١٥/١٢/١٩٩٢). 314)

(- المصدر نفسه. 315)

(- انظر بعض المنطلقات النظرية. 316)

التي ما تبرح في تطور وتغير"^{٣١٧}. وهذا "ينفي جميع أشكال التفكير الذاتي، كالارتجال والنظرة التقريبية والكسل العقلي والتفكير الوعظي وسائر النزعات المثالية في التفكير"^{٣١٨}.

المنطلق السياسي المنهجي الثامن والأخير هو إيمان الأسد بالرؤية الحركية المرنة المنفتحة وإيمانه بالتالي بالنسبة وعدم وجود المطلق: "فلأي موضوع وجهان سلبي وإيجابي"^{٣١٩} ومن "الصعب أن يقول المرء أنا أثق مئة بالمائة"^{٣٢٠}، "وتوجد دائماً معطيات جديدة يمكن أن يغير المرء قراراته استنتاجاته في ضوءها"^{٣٢١}. لهذا يجب الانفتاح على معطيات العصر بجميع حقائقها ومعارفها وحضاراتها، ويجب التفاعل معها بعقل علمي موضوعي بعيد عن أي عناد ذاتي متصلب تعصبي أو موقف خيالي عاطفي، إذ "يجب أن نكون عند مستوى الأمور المستجدة التي تفرزها الحياة باستمرار"^{٣٢٢} حتى لو غيرنا آراءنا التي هي "قناعات لكن ليست جامدة بل هي متحركة"^{٣٢٣}. من هنا جاء التجدد في فكر الأسد، والذي يعني، كما يؤكد عبد الله الأحمر مرحلة جديدة، فالثورة التي لا تستطيع إعادة اكتشاف الواقع مع كل تطور تتحول إلى حدث عابر وعادي، ونحن نشهد في زماننا هذا ثورات عديدة انهارت عندما تخلت عن قدرتها على إعادة اكتشاف الواقع.^{٣٢٤}

الآن، بعد أن اتضحت لدينا كل المنطلقات أو الثوابت المعرفية والمنهجية للأسد في سياسة إدارته على كل المستويات العالمية والعربية والداخلية، أصبح من السهل علينا تماماً معرفة مصدر وطبيعة القرار في سوريا، والتي من الضروري التعرف عليها، أي هذه المعرفة، وعلى مثلتها في لبنان، من حيث أهميتها في تحديد وفهم العلاقات السورية . اللبنانية في المرحلة المعنية بالبحث، فماذا عن هذه المعرفة لمصدر وطبيعة القرار السوري وكذلك اللبناني؟

٣ . مصدر وطبيعة القرار السياسي في سوريا ولبنان:

إنّ مصدر وطبيعة اتخاذ القرار هما مختلفان تماماً في الواقع السوري عنهما في الواقع اللبناني. القرار في سوريا، حيث سيادة رابطة المواطنة، وليس الطائفة، في الدستور وجميع

(- المصدر نفسه.³¹⁷

المصدر نفسه.³¹⁸ -

(- من خطاب الأسد في مؤتمر القمة العربي غير العادي، عمان، ١١/٩/١٩٨٧.³¹⁹

(- من حديث الأسد مع كارين بونتنس، النائب الأول لرئيس العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، في

١٩٨٧/٢/٧، لوقا، ص ١١٤.

(- من خطاب الأسد في مؤتمر القمة في ١١/٩/١٩٨٧.³²¹

من خطابه في ذكرى ثورة آذار في دمشق، في ١٩٧٦/٣/٨.³²² -

- من حديث الأسد مع أمين الجميل، الرئيس اللبناني السابق، في ١٩٨٦/١/١٤، لوقا، ص ٣٩٩.³²³

- انظر خطاب عبد الله الأحمر، الأمين العام القومي المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين³²⁴

لثورة آذار (تشرين، العدد ٥٨٨٤، ١٩٩٤/٣/٩).

القوانين، هو للمؤسسات والتنظيمات الوطنية، سواء على مستوى المؤسسات التشريعية والتنفيذية والمنظمات الشعبية الجماهيرية، أو على مستوى الحزب بقيادته القومية والقطرية، أو على مستوى الجبهة الوطنية التقدمية، الحدث الهام في تاريخ سوريا^{٣٢٥}، والمشكلة في ١٩٧٢/٣/٧ من: حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوري وحزب الاتحاد الاشتراكي العربي وتنظيم الوندوين الاشتراكيين وحركة الاشتراكيين العرب، ثم تم توسيعها لتضم حزب الوندوين الديمقراطيين وممثلين عن اتحاد العمال واتحاد الفلاحين.

وإن الرئيس حافظ الأسد كان، كما ذكرنا سابقاً، هو المعبر عن السياسة الخارجية لسوريا لا بحكم وجوده ومشاركته في اتخاذ القرار في بعض هذه المؤسسات والمنظمات^{٣٢٦} فحسب، ولكن من حيث حرصه على وجود القرار الوطني الديمقراطي وبالإجماع المستمر من جهة، ومن حيث التزام إدارته قولاً وفعلًا بهذا القرار من جهة أخرى. يعكس القرار الوطني بالنسبة للأسد "واقع الوحدة الوطنية في سوريا التي أضحت نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً متكامل الأبعاد"^{٣٢٧}، وقائماً على التعددية الاقتصادية والسياسية التي تعكس طبيعة النمط الديمقراطي في سوريا ومدى اتساع تواجده عمقاً وافقاً.

ولقد أعيدت "صياغة مؤسسات السلطة التنفيذية والتشريعية والإدارة المحلية، وهي أيضاً تجربة جديدة هدفت إلى تحقيق أوسع مشاركة شعبية ممكنة تتم عن طريق الانتخابات والتمثيل الصحيح"^{٣٢٨}. وحرص الأسد كامل الحرص على ديمقراطية القرار من خلال حرصه على أن يكون نتاج كل المناقشات والحوارات وإقرار جميع المؤسسات الجبهوية والحزبية والرسمية والشعبية. وكما حرص على ديمقراطية القرار فإنه حرص على استشفاف الرضا الجماهيري المستمر عنه وعن نظامه وتوجيهه السياسي بشكل عام، ليس فقط من أجل تبنيه لهذا القرار أو ذاك، وإنما من أجل الاستمرار في تبنيه والاندفاع في تحويله إلى فعل. أكد الأسد: "لم يسبق لنا أن اتخذنا خلال قيادتنا أبداً أية خطوة واحدة إلى الأمام إذا كنا نعتقد أن شعبنا يتحرك في الاتجاه المعاكس"^{٣٢٩}. وقال: "أولاً نحن نتحدث إليه بكل شيء، ثانياً قراراتنا عندما نتخذها نحن نجمع قيادة الجبهة الوطنية التقدمية التي تضم كل الأحزاب الموجودة في البلد ونقول لها كل شيء، كما نجمع كل المؤسسات الأخرى"^{٣٣٠}. كل هذا يفسر قول بقردوني عن وطنية الأسد وحكته السياسية

(- انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي العقد الثالث ١٩٦٨-١٩٧٨، دار طلاس، دمشق، دون تاريخ، ص ٥٤١-٥٦٧. ٣٢٥)

(- هو الأمين العام القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي، ورئيس الجبهة الوطنية التقدمية. ٣٢٦)

(- من خطاب الأسد أمام مجلس الشعب في ١٩٩٢/٣/١٢. ٣٢٧)

(- المصدر نفسه. ٣٢٨)

(- من مقابلة الأسد مع باتريك سيل (صالح مجلة الوسط، لندن، العدد ٦٧، ١٠/٥/١٩٩٣، ص ٢٠. ١٢) ص ١٨. ٣٢٩)

(- من حديثه إلى شبكة التلفزيون الأمريكية بي. بي. إس (جريدة الثورة، العدد ٩٢٣٣، ٣/١٠/١٩٩٣). ٣٣٠)

عموماً: "هو وطني سوري، حوّل سوريا من لعبة إلى لاعب، ومن دولة في مهب رياح الانقلابات إلى قوة إقليمية عظمى"³³¹.

ولكن ما تقدم لا ينفي وجود بعض من معطيات الفساد والممارسات الخاطئة عند بعض المسؤولين في مؤسسات الدولة، كما هي الحال بالنسبة لجميع دول العالم، ولو بنسب وصيغ مختلفة، والتي اطلعنا أخيراً على ما خصّ منها أخطاء وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام وحلفائه من بعض السوريين واللبنانيين، والتي كان لها تأثير سلبي ولو محدود، آنذاك، على العلاقات السورية - اللبنانية، وتحديداً فيما يخص تنفير قوى وطنية كان يجب أن تكون متفهمة للموقف السوري ومتحالفة معه منذ ذلك الحين، كالقوة الوطنية لميشيل عون.

كان الأسد يهتم بقوة برضا الشعب وثقته به، وبمحبة الجماهير له، مستمداً منهما قوة القرار والإصرار والاستمرار والاندفاع. "ثقة الشعب مصدر قوة، ومحبة الجماهير تعزز في النفس القدرة على مجابهة التحديات"³³². وما هذه التظاهرات الجماهيرية التي كانت تموج بالآلها المؤلفة، بل بملايينها، في كل أنحاء سوريا في كثير من المناسبات الوطنية المتعلقة برئاسة الأسد، سوى شكل هام من أشكال التعبير عن الرضا الجماهيري عن حكمه وعن مواقفه في شتى الاتجاهات، ومن مختلف الأحداث والمتغيرات، لأن الشعب من خلالها "يعلن موقفاً، ويرسم سياسة، ويعزز ثوابت... وهو يعرف أين يضع ثقته، ويعرف كيف يعبر عنها، ولا يضيع عمل عامل ولا ينسى مواقف الشرفاء"³³³. وهو رضا كان يحرص عليه الأسد كل الحرص، من حيث هو الدلالة على وجود الوحدة الوطنية التي منها ينطلق وعلى أساسها يتحرك ويستمر، والتي "أضحت واقعاً ولم تعد مجرد هدف، وأصبحت إرادة ولم تعد مجرد رغبة، وباتت فعلاً محدداً ولم تعد مجرد شعار"³³⁴.

ما يلاحظ أنه في لبنان، بحكم وجود نظام "الطائفية السياسية" فيها، فإن توزيع المناصب النيابية والحقائب الوزارية وفقاً لحجم كل طائفة أدّى إلى استنفار الطوائف، الواحدة ضد الأخرى، خلال الانتخابات والأزمات والمحن، وبالتالي إلى ترسيخ الصبغة الطائفية على التشكيلات السياسية، وإلى دفع المواطنين، طوعاً أو إكراهاً، داخل طوائفهم الحامية لهم والضامنة لوجودهم السياسي، وليصبح القرار اللبناني ومنه السياسي بالتالي منطلقاً في كثير من الأحيان من

(- كريم بقرادوني، السلام المفقود عهد الياس سركيس ١٩٧٦. ١٩٨٢، عبر الشرق للمنشورات، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨٩. 331.

(- من خطابه أمام مجلس الشعب في ١٢/٣/١٩٩٢. 332.

(- علي عقلة عرسان: احتفال جماهيرنا تأكيداً لثوابتها (الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٢٨٩، ٢٨/١١/١٩٩١، 333.

ص ١٢٠).

(- من خطاب عبد الله الأحمر...، مصدر سابق. 334.

القيادات السياسية الطائفية وإليها، وفي ارتباط بعضها بالقوى الخارجية. ولقد أصبح هذا النظام الطائفي عبئاً على لبنان عليها التخلص منه³³⁵.

وليبرز دائماً المضمون السياسي لجميع الانقسامات اللبنانية بغض النظر عن لبوسها الطائفي، والمتجسد في توزعها دائماً، وكما رأينا سابقاً ونرى حتى اليوم، في اتجاهين اثنين رئيسيين كلاهما: الأول هو الاتجاه السياسي اللبناني الوطني العربي بمختلف أحزابه ومنظماته ومنها العلمانية، والحريص بصدق على وجود دولة لبنان ذات الاستقلال والسيادة ولكن في إطار نسيجه العربي وفي إطار علاقاتها المتميزة مع سوريا. والثاني هو الاتجاه السياسي اللبناني المتغرب، ذي اللبوس الطائفي، والمتطلع إلى فصل لبنان عن نسيجه العربي لصالح دمجها في تحالف الغرب والصهيونية، مما يعني عملياً التضحية بما يرددونه نظرياً عن "لبنان أولاً"، وعن "استقلال وسيادة لبنان".

تواجد كلّ الأديان والطوائف في تنظيمات الاتجاهين يدلّ بما لا يقبل الشك على مضمونها السياسي المذكور، وأرى أنّ الانقسامات في أوساط الأكرثيات التي كانت تصبغها بالصبغة الطائفية ماضياً، والتي برز توجهها في كلا الاتجاهين، الوطني والمتغرب، قد قلصت بدون شك هذه الصبغة دون أن تلغيها، بسبب دعمها من القوى الخارجية الاستعمارية الممثلة بتحالف قوى وعملاء الغرب والصهيونية.

وإنّ القرار في هذا النظام الطائفي هو لصالح القيادات الطائفية بالدرجة الأولى وليس لصالح الدولة اللبنانية أرضاً وسلطة وشعباً، وهذا مما يضعف سلطة رئاسة الجمهورية التي من المفترض أن تكون "كل اللبنانيين" وتمثل بالتالي مصالح دولتهم الوطنية ككلّ، وسنرى انعكاس ما تقدم على سياسة إدارات جميع الرؤساء اللبنانيين المعنيين بهذا البحث وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات السورية . اللبنانية في مختلف مراحلها، ومنها المرحلة المعنية بالدراسة في هذا الفصل (١٩٧٠ . ١٩٧٨) والتي سنتناولها الآن.

ثانياً) . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة فرنجية في لبنان ١٩٧٠ حتى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨ :

شهدت هذه المرحلة المعنية بالدراسة هنا فترتين رئيسيتين: الأولى الممتدة منذ الحركة التصحيحية ورئاسة سليمان فرنجية عام ١٩٧٠ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، والثانية الممتدة منذ هذه الحرب حتى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨. والبداية مع الفترة الأولى بالطبع.

(- هناك إجماع على ذلك عند جميع الوطنيين اللبنانيين، ومنهم كثير من الزعامات المسيحية وعلى رأسها ميشيل عون. 335)

١ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية منذ الحركة التصحيحية في سوريا ورئاسة فرنجية في لبنان عام ١٩٧٠ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ :

أ . العلاقات السياسية السورية . اللبنانية حتى حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ :

كان لقيام الحركة التصحيحية في سوريا، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠، بقيادة الرئيس الراحل حافظ الأسد، أثر مهم جداً على التوجه السياسي في المنطقة العربية وخصوصاً على صعيد الصراع العربي . الصهيوني، وعلى العلاقات السورية . العربية بشكل عام والعلاقات السورية . اللبنانية بشكل خاص، حيث أخذت سوريا تتجه منهجاً عملياً في سياستها على جميع المستويات الداخلية والعربية والدولية، مما كان من شأنه أن يمنع عزلتها دون أن يعني تخليها عن ثوابتها الوطنية والقومية.

سعت سوريا مع مصر، ضمن إطار الجامعة العربية، إلى وقف النزيف الدموي بين القوات الأردنية والمقاومة الفلسطينية في أحداث "أيلول الأسود" عام ١٩٧٠، والتي كانت قد وقعت قبل قيام الحركة التصحيحية بشهرين، "ومع أن الجيش السوري قدّم العون للفلسطينيين فقد أنف أن يشرك الطيران ووحدات أخرى لتجنب توسيع رقعة النزاع العربي الذي كان قد بلغ مرحلة خطيرة"^{٣٣٦}. وفي ١٩٧٠/١١/٢٧ أعلنت سوريا انضمامها إلى "ميثاق طرابلس" بين مصر وليبيا والسودان، وبأشرت بذل جهود كبيرة في سبيل تنقية الجو العربي، ومنه إسهامها في ١٩٧١/٤/١٧ بقيام "اتحاد الجمهوريات العربية" بينها وبين مصر وليبيا، "امتداداً لمقررات ميثاق طرابلس نفسه، وتأميناً لمسيرة النضال العربي التي رفع لواءها القائد الخالد جمال عبد الناصر"^{٣٣٧}. وعملت على تحسين علاقاتها مع كلّ الدول العربية ومنها المملكة العربية السعودية^{٣٣٨}، وأصرّت على السعي بصورة فعّالة من أجل إرساء دعائم التضامن العربي، بحيث ركزت في برنامجها السياسي على العناوين التالية:

أ . بناء القوات المسلحة كمّاً ونوعاً وتدريباً للتحضير للمعركة المقبلة.

ب . العمل الدؤوب لإعادة بناء الاقتصاد، وخلق جبهة شعبية داخلية متماسكة.

ج . الانفتاح الأخوي على مختلف الأقطار العربية والعمل على إرساء دعائم التضامن العربي، وبخاصة بعد استكمال استقلال بقية البلدان العربية، حيث حصلت سلطنة عمان على الاستقلال في ١٩٧٠/١١/٨ وتمّ قبولها في الجامعة في ١٩٧١/٩/٢٩. ونالت دولة الإمارات العربية المتحدة استقلالها في ١٩٧١/١٢/٢، وقبلت عضواً في الجامعة في ١٩٧١/١٢/٦.

(- بيتزلان، مصدر سابق، ص ١٣٦. ٣٣٦)

(- راجع طلاس، مصدر سابق، العقد الثالث ١٩٦٨...، ص ٤٨٥-٥٠٦. ٣٣٧)

(- انظر المصدر نفسه، ص ٥٢١ - ٥٣٧. ٣٣٨)

وحازت كل من دولة قطر ودولة البحرين على الاستقلال في ١٩٧١/٩/١ وقبلتا في الجامعة العربية في ١٩٧١/٩/١١. وتم قبول موريتانيا عضواً في الجامعة العربية في ١٩٧٣/١١/٢٦.

د . دعم الثورة الفلسطينية والعمل الدؤوب من أجل استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

هـ . الانفتاح السياسي بالتعامل دولياً على أساس الحوار مع الدول الأجنبية، من خلال مواقفها من القضية الفلسطينية.

إن بروز الأهمية الكبيرة لسوريا في الوطن العربي بعد الحركة التصحيحية، والمكانة المفتاحية التي أخذت تتصدرها في الشؤون الإقليمية و"الشرق أوسطية"، إضافة إلى الدور الشمولي لدبلوماسيتها ذات الاتجاهات المتعددة ودائمة الحضور والنفوذ، كل ذلك لم يأت من فراغ، بل من قراءة تاريخية وجغرافية . سياسية للمنطقة، واستيعاب لمعاني هذه القراءة، تميز بها حافظ الأسد.

توجّهت اهتمامات الرئيس الأسد إلى ما من شأنه تحقيق نهضة سوريا الشاملة، متطلعاً إلى تحويلها إلى دولة قوية ومستقرة وقادرة، ونقلها من حالة كونها أداة يتنافس عليها الآخرون إلى قوة إقليمية يقبل عليها الجيران وغيرهم، طلباً للمشورة والمساعدة والنصح. وكان حريصاً على تصحيح مسار السياسة الخارجية السورية، موضحاً مراميها وأهدافها توضحاً دقيقاً أخرج البلاد من عزلة خانقة، وأزال حالة التشنج في علاقات سوريا الإقليمية والعربية والدولية. كما أعاد نسج شبكة من التحالفات والمواقف في كل الاتجاهات، بحيث عادت دمشق لتكون محطة إجبارية لكل من يسافر في عالم الحياة السياسية العربية والإقليمية والدولية، وأضحت محط أنظار العالم لما تتمتع به من مكانة مرموقة في الوطن العربي والعالم، ولما أضفاه الرئيس الأسد على مسار الدبلوماسية والسياسة الخارجية^{٣٣٩}. حتى غدت من ثوابت الخط البياني للعمل السياسي السوري المبدئي الذي يرى سوريا كبيرة إقليمياً وعربياً ودولياً بغض النظر عن قوتها الاقتصادية وقدرتها المالية وحجمها الديموغرافي، وهو ما جعل السياسة السورية في واقع الأمر تضع المراقبين المهتمين بها في حيرة.

تطلع الرئيس الأسد إلى أن يكون العرب أسياد مصيرهم فوق أرضهم، ورغم أن هذا التطلع كان لايزال غير محقق في الكثير من الدول العربية، فإنه لم ييأس وإنما سعى باستمرار إلى تحقيقه من خلال العمل الجاد على صون حقوق العرب وأمنهم، رافضاً أيّ تجاهل لها، ومنها حقوق وأمن سوريا والشعبين الفلسطيني واللبناني. ومع بداية عهده كان طابع الاستقرار والوحدة

بيترلان، مصدر سابق، ص ٣٦ . ٤٣ . (٣٣٩).

الوطنية هو الأبرز في الحياة السياسية السورية ، كما كان له الأثر البالغ في توجيه دفة العلاقات السياسية السورية مع دول العالم، ودول الجوار، وخصوصاً لبنان. ومما تقدم علينا أن نفهم سياسته عموماً ومنها سياسته في لبنان.

أدرك الأسد مبكراً عمق العلاقة بين الشعبين السوري واللبناني، وأكد على هذه الحقيقة في كلمته في المسيرة الشعبية في مدينة درعا بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧١، حيث قال: "نحن نعرف أن الشعب في لبنان هو مع الشعب في سوريا، نعرف أن الشعب في لبنان مع سوريا العربية، مع سوريا الوندوية، مع سوريا الاشتراكية. ولذلك ولهذا فنحن أيضاً مع شعبنا العربي في لبنان. نحن معه في صف واحد نخوض معركة واحدة ضد أعدائنا، سواء كان هؤلاء الأعداء في الداخل أم في الخارج"^{٣٤٠}، وطبعاً على رأسهم الكيان الصهيوني المغتصب.

في عام ١٩٧١ برزت محاولة دولية جديدة لتسوية الصراع العربي . الصهيوني وشق الصف العربي، وهي محاولة غونار يارنغ، الذي تجدد الأمل لديه، بعد وفاة عبد الناصر واستلام السادات، في إمكانية التقريب بين مصر والكيان الصهيوني، واختبار مدى حظ الحلول الجزئية بالنجاح، فبادر في شباط ١٩٧١ إلى إرسال مذكرة إلى السادات يطلب فيها، مقابل عودة سيناء، أن تلتزم مصر بالدخول في اتفاق سلام مع "إسرائيل"، وتنتهي كل حالات الحرب وأعمال العداء من أراضيها، وتتعهد باحترام استقلال "إسرائيل" وحقّها بالعيش بسلام داخل حدود آمنة معترف بها.

وقد قبلت مصر في جوابها أن تدخل في مباحثات سلام مع "إسرائيل"، ونكرت اسم "إسرائيل" على وجه التحديد لأول مرة، وأعلنت استعدادها لقبول الشروط الأخرى. وقد كان الانطباع العام من جوابها، حتى في بعض الأوساط الأمريكية ولدى بعض "الإسرائيليين"، أنها مستعدة لتقديم كل التنازلات الأساسية التي ينصّ عليها القرار رقم ٢٤٢ من أجل الوصول إلى السلام^{٣٤١}، مع ما يعنيه هذا التحول في خط السياسة المصرية من الكثير الكثير الذي سيظهر وبوضوح منذ حرب تشرين، كما سنرى. كان هذا مقابل إصرار سوريا على تمسكها منذ ذلك الحين بالحلّ العادل بعيداً عن "الصبيغ الجوفاء والخداعة"، وفق تعبير وزير خارجيتها عبد الحليم خدام^{٣٤٢}، وعلى أنّ السلام العادل يجب أن يفي بشرطين: أولهما "إعادة جميع الأراضي المحتلة في عدوان

^{٣٤٠} - راجع الكلمة في: القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية، ١٩٧١.

^{٣٤١} (Yahoshya) - انظر أريلي يهو شيا

(August 1971)

^{٣٤٢} من مقابلة له في مجلة: ()

(mars 1973)

(New Outlook, n. في مجلة:

-(Le Monde Diplomatique, Paris, du 9

حزيران ١٩٦٧ دون أي شرط أو استثناء، وثانيهما استعادة الشعب العربي الفلسطيني لكلّ حقوقه الوطنية بما فيها حقّ العودة^{٣٤٣}.

كان الأسد مدركاً لكلّ ما يتعلق بالتوجهات السياسية الاستعمارية لتحالف قوى الغرب والصهيونية، ومنه إدراكه بأنّ مبادرات التسوية الانفرادية عموماً ومنها المرافقة باعدياءات "إسرائيل" الأخيرة على جنوب لبنان وعلى الأراضي العربية السورية، كانت "جزءاً من مخطط يرمي إلى تفتيت القوى العربية، وبذّر الانقسام في صفوفها"^{٣٤٤}.

قبيّل انتصار حرب تشرين، ورغم علاقات الصداقة الشخصية التي كانت تربط الرئيس حافظ الأسد بالرئيس اللبناني سليمان فرنجية، وحفاظاً على ثوابت السياسة السورية، فقد شهدت العلاقات بين البلدين أولى الخصاصات التي تعرضت لها، والتي وقعت إثر الصدامات بين الجيش اللبناني والمنظمات الفلسطينية في نيسان ١٩٧٣ وأزمة القتال بينهما. وكان الانقسام اللبناني السياسي قد ازداد منذ اتسع الوجود الفلسطيني في لبنان: ضدّ هذا الوجود، أو معه ومنه إنشاء الجبهة العربية، بقيادة زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط، للمشاركة في الثورة الفلسطينية، إثر انعقاد مؤتمر الأحزاب والحركات التقدمية العربية في ٢٧. ٢٩/١١/١٩٧٢، لدعم المقاومة الفلسطينية^{٣٤٥}.

بدأت الأزمة بقيام مجموعة كوماندوس صهيونية في ١٠/٤/١٩٧٣، باغتيال كلّ من كمال ناصر، وكمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، في شارع فردان في قلب بيروت. إن نجاح القوة الصهيونية التي تسللت عبر زوارق بحرية إلى بيروت كان بينهم إيهود باراك، ثم انتقلت بسيارات كانت معدة سلفاً عند شاطئ الرملة البيضاء إلى منازل القادة الثلاثة وقامت باغتيالهم. أثارت هذه الاغتيالات استياءً عارماً في الوسط اللبناني والفلسطيني، وشيعت جماهير غفيرة الشهداء الثلاثة. وبات واضحاً أن الثورة الفلسطينية تحولت إلى قوة سياسية كبيرة في لبنان. ولم تلبث أوساط في الجيش اللبناني أن دفعت الأمور إلى الاصطدام مع المقاومة الفلسطينية في ٢/٥/١٩٧٣، فكان القتال بين الطرفين وكان معه التدخل السوري لإدارة الأسد.

كان الأسد يؤكد: "نحن إلى جانب الثورة الفلسطينية ندعمها مهما غلت التضحيات"^{٣٤٦}. من هنا كان دعمه لجميع فئات المقاومة الفلسطينية الوطنية، ومن هنا وقوفه ضدّ السلطات اللبنانية في قصف الجيش اللبناني للمخيمات الفلسطينية في لبنان وفي الهجوم عليها، وقد شكّلت لجنتين

343. (Ibid).

٣٤٤- من كلمة الرئيس حافظ الأسد في الذكرى التاسعة لثورة الثامن من آذار المجيدة ١٩٧٢/٣/٨ (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

345. - (بيترلان، مصدر سابق، ص ٤٢٨).

346. - (المصدر نفسه، ص ٤٢٨).

لإيجاد تسوية لأسباب النزاع. وبأدركت سوريا، عندما لم تلق تجاوباً بإيقاف القتال، إلى إغلاق حدودها مع لبنان في ٩ أيار. ولم يتوقف القتال إلا بعد تلقي الرئيس سليمان فرنجية إنذاراً حاسماً من الرئيس السوري حافظ الأسد^{٣٤٧} ولم تعيد فتح حدودها إلا في ١٨ آب. لكن الموقف تغير بعد انتصار سوريا في حرب تشرين ١٩٧٣. حيث عادت تستقبل القادة الوطنيين اللبنانيين ومنهم موسى الصدر^{٣٤٨}.

في هذه الأجواء الملبدة، وتحت وطأة الهموم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الثقيلة التي بدأت ترهق الإنسان والوطن، برزت الحاجة إلى حركة شعبية جديدة تستطيع مواجهة التحدي الكبير، خاصة وإنّ "الحركة الوطنية" كانت تتأرجح وتتذبذب بين القول والفعل؛ فهي وإن كانت تدعي مناهضة النظام فإنها حرصت على الاشتراك في معظم الحكومات التي تعاقبت منذ مطلع عهد الرئيس فؤاد شهاب، وكانت تتمثل في معظم الأحيان، بشخص أحد أبرز أقطابها، كمال جنبلاط.

وكان أن ولدت "حركة الشبيبة العربية"^{٣٤٩} ولادة طبيعية، من رحم الواقع المعيشي، عندما تجمع مجموعة شبان معظمهم من جنوبي لبنان، وفيهم البقاعيون والبيروتيون والشماليون والشوفيون، وتلاقوا على البندقية وحملوها، وخاضوا بها حرباً في مجدل سلم، وصفد البطيخ، وبر عشيت وشقرا وبيت ياحون في جنوبي لبنان، في أيار ١٩٧٣، وقالوا: "لا للصدام اللبناني - الفلسطيني". وأسهموا في منع الكارثة، حرصاً على مقاتلي الثورة الفلسطينية وجنود الجيش اللبناني في آن معاً... ورأت ضرورة "ضرب قوى الصهيونية وإنهائها، وتوظيف كافة الطاقات الوطنية في خدمة المشروع العربي القومي الهادف لإعادة بناء لبنان الموحد العربي الديمقراطي التعاضدي الإنمائي"^{٣٥٠}.

وكانت هموم حركة الشبيبة العربية متشعبة تتناول إلى ما هو أبعد من الصدام والمواجهة، ورأوا أن هوية لبنان العربية هي الضحية الأولى في صراع تدور رحاه حول شرعية الوجود الفلسطيني المسلح أو حول قضايا أخرى، كالمشاركة والإصلاح والمساواة والسيادة وما إلى ذلك من شعارات تطرح ذات اليمين وذات الشمال. والجديد في هذه الحركة أنها ولدت مكتملة العافية، حينما ضمت إلى صفوفها، ومنذ البدايات، كوادر تتوزع انتماءاتها الطائفية بنسب تكاد تكون

انظر صقر أبو فخر، أنيس النقاش أسرار خلف الأستار، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠، (٣٤٧) - ص ٤٥.

(- بيتزلان، مصدر سابق، ص ١٧٠ - ١٧٢. ٣٤٨)

(- راجع حول هذه الحركة: عباس إبراهيم والأمين فضل وإنطاكى مصطفى، حافظ الأسد ودوره القومي في لبنان ١، وقف النزيف ٣٤٩ والتصدي للمؤامرة، طبعة الثالثة، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ١٩٨٤، الجزء الأول، ص ٥٠ - ٥١ و ٦٢ - ٦٦.

(- المصدر نفسه، ص ٥٠. ٣٥٠)

متساوية، على الطوائف اللبنانية الرئيسة، كما أنها انطلقت من صميم الجماهير ومن مختلف المناطق اللبنانية، وترى ضرورة "استنهاض الجماهير العريضة"^{٣٥١}، مما يؤكد طابعها الوطني شكلاً ومضموناً. والآن ماذا عن سوريا ولبنان وحرب تشرين؟

ب . حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ : المسار والممارسات الساداتية والنتائج:

وجدت نفسي مضطراً إلى الدخول في شيء من التفاصيل فيما يخص انتصار حرب تشرين، التي كانت الحرب العربية الأولى، والرابعة في مسيرة الصراع العربي . الصهيوني، لسببين أساسيين اثنين: أولهما هو أنه من الطبيعي أن تتأثر العلاقات السياسية بين سوريا ولبنان، وعلاقات كل منهما خارجياً، بالظروف الدولية والعربية والإقليمية المحيطة بهما، وبالتالي كان لزاماً عليهما التأثر بمسيرة الصراع العربي . الصهيوني ومنها حرب تشرين، وبالتغيرات المتعلقة بهذا الصراع وبأوضاع أطرافه الثلاثة، الدولي أولاً، والعربي ثانياً، والصهيوني ثالثاً. وثانيهما هو لما كان لهذه الحرب من نتائج مهمة على كل المستويات والعلاقات العربية البينية ومنها العلاقات السياسية السورية . اللبنانية، وقد يكون من أهم هذه النتائج ما تعلق منها بوضوح الانحراف في السياسة المصرية بعيداً عن دور مصر العربية، القومي والإقليمي والدولي، ومنه ما تعلق بهذه العلاقات بالطبع. والآن ماذا عن هذه الحرب ونتائجها المهمة؟

١٠ . انتصار حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ : المسار:

ما يذكره محمد فوزي^{٣٥٢} في مذكراته هو أنه قد "بدأت أسس وعناصر التخطيط الاستراتيجي العام للصراع مع "إسرائيل" لمرحلة ما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ تظهر بوضوح بعد توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر التي تلقيتها منه يوم ١١/٦/١٩٦٧"^{٣٥٣}. وكان جاداً بدون شك كما تدلّ عليه هذه المذكرات. وعليه، صحيح أن الرئيس عبد الناصر قد وافق على مشروع روجرز، لكنه لم يتنازل للكيان الصهيوني عن شبر من أرض مصر ومن أية أرض عربية، رغم موافقته على المفاوضات.

كان عبد الناصر متفقاً مع التوجّه السوري فيما يخص رفض التفريط بالحقوق، وضرورة خوض حرب الاستنزاف. لكن بعد رحيله، وفي أقل من عام، حصل التحول المأساوي في السياسة المصرية في تموز ١٩٧١، عندما أعلن الرئيس السادات استغناؤه عن خدمات الخبراء السوفييت وطردهم، وبرر قراره هذا بأنه راجع إلى تكلّف الاتحاد السوفييتي بتزويده بالأسلحة

٣٥١ . المصدر نفسه ص ٥٠ . ٥١ (٣٥١).

(- كان وزير الحربية والقائد العام للجيش المصري في أعقاب عدوان عام ١٩٦٧. ٣٥٢.

(- فوزي محمد، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/١٩٧٠ مذكرات الفريق الأول محمد فوزي، طبعة ثانية، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٣، ٣٥٣.

ص ١٩٩.

الحديثة. بينما كان الهدف الأساسي من هذا القرار، إرضاء الولايات المتحدة الأمريكية وتنفيذاً لوعده قطع الرئيس السادات بغية التقرب منها، لإقناعها بممارسة الضغط على الكيان الصهيوني لتعديل موقفه بعد أن فشلت كل المساعي التفاوضية أنفة الذكر، وهدفه كما هو واضح كان عقد صلح منفرد مع الكيان الصهيوني واسترداد سيناء، بأية صورة وبغض النظر عن المقابل، وهذا ما يفسر ما ذكره هيكل: "إنّ سحر هنري كيسينجر عليه، من سوء الحظ، كان غالباً ونافاً"^{٣٥٤}.

ولقد شكّل فشل كلّ الجهود السلمية بين مصر والأردن من جهة و"إسرائيل" من جهة أخرى، السبب المباشر لعودة التوجه الساداتي للتنسيق مع سوريا، والعودة إلى جامعة الدول العربية، حيث توصل السادات إلى قناعة مفادها أن طرق الحلول السلمية قد سُدت تماماً في وجهه، ولن تجدي نفعاً أية محاولة أخرى، ورأى ضرورة تفعيل التنسيق العسكري مع سوريا التي كانت تؤمِّن بشعار "ما أُخذ بالقوّة لا يُسترد إلا بالقوّة". إلاّ أنّه كان يضع قدماً هنا وقدماً هناك، بمعنى أنه كان يشارك في الاجتماعات التنسيقية العربية التي تعد لعمل عربي مشترك ضد الكيان الصهيوني، كما كان يشارك في الوقت نفسه في المفاوضات التي كانت تتم مع العدو لإيجاد حل لتطبيق القرار رقم ٢٤٢، مخفياً استعداده الضمني للانقلاب على الحل الأول، في حال حقق الحل الثاني النتيجة المرجوة منه^{٣٥٥}. أرادت سوريا من التنسيق مع السادات حرباً للتحريض ضد الكيان الصهيوني، وأرادها هو حرباً لتحريك المفاوضات^{٣٥٦}.

كان موقف السادات على العكس من موقف سوريا التي كانت مدركة منذ البداية أنه لا جدوى من المفاوضات، وقناعة الأسد كانت أنّه "لن يتم تحرير الأراضي المحتلة إلاّ بالقوة، وسنهمز أعداء الحرية"^{٣٥٧}. وكانت سوريا فاهمة للنوايا الأمريكية من وراء تلك المبادرات، مما يفسر توجهها إلى ضرورة وضع خطة شاملة من شأنها تحقيق أهدافها القومية في تحرير الأراضي العربية المحتلة، وتأمين الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني. لهذا، فإلى جانب مساعيها في تطوير القوات المسلحة، انطلقت سوريا في المجال الدولي جاهدة في توسيع تأييد الحق العربي في مختلف المحافل الدولية، وتوطيد علاقاتها مع الدول المناصرة للحق العربي وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي الذي كان مصدرها الأول في الحصول على السلاح. وكانت مؤمنة كلّ الإيمان بالعمل العربي المشترك الذي كانت تشارك بالإعداد له على جميع مستويات. لقد وعت سوريا مبكراً التناقض الرئيس في المنطقة، خصوصاً بعد عدوان حزيران ١٩٦٧، بأنه

^{٣٥٤}- محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب و"إسرائيل"، عواصف الحرب وعواصف السلام، الطبعة الثانية، دار الشروق، ١٩٩٦، الكتاب الثاني، ص ١٩١ وراجع ص ١٨١-، و٢٧٨، ولمزيد من التفاصيل انظر للمؤلف نفسه أيضاً: أكتوبر ٧٣: السلاح والسياسة...، مصدر سابق.
^{٣٥٥}- انظر لاحقاً في هذا الفصل من البحث.

(- حول كلّ شيء عن حرب تشرين التحريرية راجع طلاس، مرآة حياتي العقد الثالث...، مصدر سابق، ص ٦٠١-٩٣٧.^{٣٥٦}

(- من خطابه بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة ٨ آذار، ١٩٧٣/٣/٨.^{٣٥٧}

التناقض بين الأمة العربية من جانب، والعدو الصهيوني والإمبريالية من جانب آخر، وأن هذا التناقض لن يُزال إلا بفشل أحد المشروعين وانتصار الآخر.

أما ما يخصّ عملية الإعداد للحرب، فبعد أكثر من عامين من التنسيق والتخطيط، وفي ٢١ آب ١٩٧٣ قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية . المصرية بداية الحرب في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت، السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣^{٣٥٨}. وفي ٢٧ آب التقى الرئيسان الأسد والسادات في بلودان، وتمت الموافقة على قرارات المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية والمصرية، وبدأت الحرب في التاريخ المتفق عليه.

تمثل الانتصار بدايةً في تمكن [الجيش المصري](#) في يوم السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ من عبور القناة وتدمير خط بارليف^{٣٥٩} الحصين جداً، مفقداً العدو توازنه في أقل من ست ساعات، ومتابعاً الانتصارات عليه حتى يوم ٨ تشرين الأول، كما تمثّل في الانتصارات العظيمة للسوريين ومنها استرداد مرصد جبل الشيخ المهم واختراق الدبابات خط ألون الحصين، الخط الدفاعي الصهيوني في الجولان بطول ٧٠ كم، خلال ساعتين وعشرة دقائق، والذي صُنِفَ مع خط بارليف بين أقوى الخطوط الدفاعية في التاريخ العسكري. واخترقت المدرعات السورية خنادق التحصينات الصهيونية في الجولان ووصلت إلى مدينة القنيطرة في الجولان. وفي صباح اليوم الثاني "وصلت الوحدات المدرعة السورية إلى مشارف نهر الأردن في القطاع الجنوبي من الجبهة، وقامت بصدّ هجوم مضاد لدبابات العدو حتى أصبحت على مشارف بحيرة طبرية"^{٣٦٠}. وكان السوريون، وفق اعتراف رائد "إسرائيلي": "يقاتلون كالأسود ولا مجال لإنكار ذلك"^{٣٦١}، وكانوا مهياين للنجاح في استعادة كامل الجولان لولا الخيانة الساداتية كما سنرى.

٢. حرب تشرين والممارسات الساداتية والتحوّل:

يذكر محمد حسنين هيكل، الذي كان أقرب رجل للرئيس السادات في ذلك الوقت، أنه لم يكن قد مضى على بدء المعارك أكثر من عشرين ساعة، حين بعث الرئيس أنور السادات برسالة سرّية^{٣٦٢} إلى هنري كيسينجر وزير الخارجية الأمريكي حينذاك، وقعها حافظ إسماعيل مستشار الرئيس السادات للأمن القومي، وكان من أهم ما جاء فيها من بنود ذات دلالة واضحة هي الآتية: "رابعاً وكنتيجة للاشتباكات فإن موقفاً جديداً قد نشأ في المنطقة، وإننا نود تحديد

انظر الوعلاني محمد علي، التلاحم السوري-اللبناني، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، ١٩٩٨، ص ٢٤٣. (358)-

(359)- هو تحصين عسكري [إسرائيلي](#) تم بناؤه على طول شرق [قناة السويس](#) بعد حرب [حزيران](#)، ١٩٦٧ وذلك لتأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أية قوات مصرية خلالها. (360)- هيكل، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ... ص ٣٦٣.

(361)- بيترلان، مصدر سابق، ص ١٩١.

(362)- انظر نص الرسالة في الملحق رقم (٣).

موقفنا. خامساً: إن هدفنا الأساسي لا يزال كما كان دائماً، تحقيق السلام في " الشرق الأوسط"، وليس تحقيق تسوية جزئية. سادساً: إنَّنا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة"^{٣٦٣}.

ثم يتابع هيكل قائلاً في معرض تحليله للرسالة: "إن بعض العبارات في هذه الرسالة مثيرة للدهشة والاستغراب، مثل العبارة التي وردت في البند رقم ٦ "إنَّنا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة". إنها أول مرّة في التاريخ يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة ويعطيه من التأكيدات ما يمنحه حرية في الحركة السياسية والعسكرية"^{٣٦٤}.

ويروي كيسينجر في مذكراته أن السادات "خاض غمار الحرب، ولم تكن نيّته كسب أراضٍ، لكن لإعادة الثقة إلى مصر بذاتها، ولإضفاء بعض المرونة على دبلوماسيته. أمّا سوريا فقد قاتلت لتصل إلى أهداف أكثر اصطلاحاً وأكثر واقعية: إن هدفها استرداد الأراضي المحتلة، أو على الأقل تكبيد إسرائيل خسائر، ونادرون هم رجال الدولة، الذين في بداية حرب ما، يملكون هذه الرؤية الواضحة لأهدافهم السياسية"^{٣٦٥}.

وفي مابين ١٤ و٩ تشرين الأول توقفت القوات المصرية بما سُمِّيَ بالوقفه التعبوية^{٣٦٦}، في وقت حرج جداً للقوات السورية، إذ كانت بحاجة لتثبيت قواتها التي حققت نجاحاً باهراً، واستعادت تقريباً كل الجولان المحتل. ويقول محمد حسنين هيكل بهذا الصدد: "كان السوريون يرون أن الهجوم المصري يجب أن يستمر إلى أن تصل القوات المصرية إلى الممرات، بموجب الاتفاق بينهم على خطة الحرب، وتكون القوات السورية قد وصلت عندئذٍ إلى نهر الأردن وبحيرة طبرية، لاستغلال نجاحها في التقدّم نحو الناصرة. وعندها فقط يكون للوقفه التعبوية ما يبرّرها، وخصوصاً أن القوات المصرية مازالت في كامل جاهزيتها. وأياً كان السبب، فقد كانت هناك ... فرصة وضاعت"^{٣٦٧}.

وقد اتضح فيما بعد أن هذا القرار السياسي المصري بالتوقف، لم يكن وليد ساعتها، بل جاء تنفيذاً لتخطيط مسبق أخفاه الجانب المصري عن القيادة السورية في مرحلة التخطيط للحرب، بل أبعد من ذلك، فقد خدع القائد الأعلى للقوات السورية . المصرية المشتركة الجانب السوري

^(٣٦٣)- راجع هيكل، أكتوبر ٧٣ : السلاح والسياسة...، مصدر سابق، ص ٣٥٩.

^(٣٦٤)- راجع تحليل كامل للرسالة في: المصدر نفسه، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

^(٣٦٥)- مذكرات كيسينجر في البيت الأبيض، ترجمة خليل فريجات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، طبعة رابعة، ١٩٩٣، الجزء الرابع، ص ٢٨١ .

(- الوقفه التعبوية في العلم العسكري هي: توقف تجرية القوات المحاربة خلال المعركة بعد أن تكون قد خسرت قسماً من قواتها، وبحيث لا تستطيع من دونه إكمال مهامها، مما يستدعي التوقف لإعادة استكمال نواقصها بالعدة والعتاد. والقوات المصرية عندما توقفت لم تكن قد خسرت شيئاً من قواتها أو عتادها.

(- المصدر نفسه، وهيكل، أكتوبر ٧٣ : السلاح والسياسة...، مصدر سابق.^{٣٦٧}

بعرضه خطة تنصّ على تطوير الهجوم في العمق بعد عبور قناة السويس. ويذكر الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية خلال حرب تشرين، في مذكراته ما يلي:

"في نوفمبر ١٩٧٢ أخبرني وزير الحربية بأن خطتنا هي احتلال ١٠ . ١٥ كلم شرق القناة فقط، لكن إذا علم السوريون بهذه الخطة، فلن يوافقوا على دخول الحرب معنا. وطلب مني خطة تشمل تطوير الهجوم بعد عبور المضائق، وأخبرني بأن هذه الخطة سوف تعرض على السوريين لإقناعهم بدخول الحرب، لكنها لن تنفذ. لقد كنت أشعر بالاشمئزاز من هذا الأسلوب الذي يتعامل به السياسيون مع إخواننا السوريين، لكنني لم أكن أستطيع أن أبوح بذلك للسوريين. وقد ترددت كثيراً وأنا أكتب مذكراتي هذه، هل أحكي هذه القصة أم لا. وبعد صراع عنيف بيني وبين نفسي، قرّرت أن أقولها كلمة حق لوجه الله والوطن. إن الشعوب تتعلم من أخطائها، ومن حق الأجيال القادمة أن تعرف الحقائق، مهما كانت هذه الحقائق مخجلة"^{٣٦٨}.

ومن هذا يتضح أن قرار "الوقفة" كان قراراً سبق اتخاذه من قبل القيادة السياسية المصرية منذ مرحلة التخطيط للحرب. وبما أن الخطّة المعروضة على سوريا كانت تنصّ على متابعة الهجوم بعد عبور القناة، فقد طلبت القيادة السورية من مصر تنفيذ ذلك، لكن الأيام توالى والجبّة المصرية متوقفة في مواقعها، في حين حشدت "إسرائيل" جهودها الرئيسة على الجبهة السورية.

واختلف القادة العسكريون في شأن محاسن ومساوئ الوقفة التعبوية، خصوصاً أن ذلك لم يكن منظوراً في الخطة السورية. المصرية المشتركة. ومن الجدير بالذكر أن بعض القادة المصريين لم يوافق على الوقفة، ومنهم "رئيس هيئة العمليات المصري المشير عبد الغني الجسمي، وكان مصرّاً على تطوير الهجوم طبقاً للخطّة المتفق عليها مع سوريا"^{٣٦٩}.

يذكر محمد حسنين هيكل في مقابلة له مع السفير السوفييتي في مصر، بعد إعلان الوقفة التعبوية، أن هذا السفير قال له: "إن الجبهة المصرية تبدو حتى هذه اللحظة وهذا اليوم الثالث للقتال وكأنّهم الأكبر هو تدعيم وتثبيت رؤوس الكباري"^{٣٧٠} على الضفة الشرقية فقط. أخشى أنّنا بعد يومين أو ثلاثة، سوف نجد الجيش "الإسرائيلي" منفرداً بالجبهة المصرية، بعد أن يكون قد سوى أموره على الجبهة الشرقية". ثم تساءل السفير هامساً: إن خبراءنا لا يفهمون لماذا

- مذكرات الشاذلي، حرب تشرين، الطبعة الثالثة، دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤. ص ٣٥، ³⁶⁸

نشرتها مجلة الوطن العربي، الصادرة في باريس، السنة الثانية، العدد ٩٥، تاريخ ١٣-٧/١١/١٩٧٨.

³⁶⁹-(المشير عبد الغني الجسمي، مذكرات، مجلة كل العرب ١٨/١٢/١٩٨٩).

(-الكباري باللهجة المصرية تعني الجسور.³⁷⁰

لم تتقدّموا لاحتلال المضائق؟ فذلك أولاً كان عنصراً في الخطّة التي اتفقت عليها مع السوريين، ثم إنه ثانياً يخفف الضغط عن السوريين، وثالثاً يعطيكم مواقع دفاعية أفضل كثيراً من أية تحصينات تقيمونها لتدعيم رؤوس الكباري"^{٣٧١}.

وما يبين الحالة اليائسة، التي كان يعيشها الكيان الصهيوني، قبل إعلان الوقفة التعبوية، ما قاله موشي دايان (Dayan)، وزير الدفاع أيام الحرب، إلى جولدا مائير (Meir) رئيسة الوزراء في اليوم الثاني للحرب "إنه متشائم ويائس وخائف من خراب البيت الثالث... ومستعد أن يدرس الاستسلام"^{٣٧٢}. وكان أن استغلت "إسرائيل" الإعلان المذكور لتقوم "بفتح ثغرة في الجدار المصري، وهي ثغرة الدفرسوار"^{٣٧٣}. واعتباراً من ليلة ١٥ . ١٦ بدأ الخط البياني المصري يهبط والخط البياني "الإسرائيلي" يصعد، ووسعت "إسرائيل" الثغرة وعبرت قوات كبيرة إلى غربي القناة.

ويذكر الفريق الشاذلي أنه كان هناك خمس فرق و ١٢٠٠ دبابة مصرية شرقي القناة، فطلب سحب فرقة مدرّعة لتصفية الثغرة، لكن السادات عارض ذلك، ولو سحبت هذه القوة يومي ١٩ و ٢٠ أكتوبر لأمكن نجاح هذه التصفية. وكان أن فشلت القوات المصرية في وقفها لاحقاً، لذا غدت الثغرة نقطة الانعطاف الإستراتيجي في مسيرة حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ على الجبهة المصرية، حتى إن البعض يقول إنها غيّرت مسيرة الحرب ونتائجها العسكرية والسياسية"^{٣٧٤}. وهكذا أعلنت مصر وقف القتال بتاريخ ٢٠ أكتوبر "وأرسل السادات رسالة للرئيس حافظ الأسد يعلمه بذلك"^{٣٧٥}. وربما تحقق بهذا ما دعاه الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون (Nixon) "توازن القوى في ساحة المعركة"، والذي كان مقتنعاً أنه "هو وحده القادر على توفير أساس متين تقوم عليه المفاوضات المجدية ومشروع تسوية متماسك"^{٣٧٦}.

بعد ذلك، ولإيقاف الحرب، جرى الاتفاق بين زعامتي العالم، السوفييتية والأمريكية، على ربط القرار الذي سيصدر من مجلس الأمن بالقرار رقم ٢٤٢، فكان أن صدر القرار رقم ٣٣٨ في ٢٢/١٠/١٩٧٣، والمتضمن دعوة مجلس الأمن الدولي جميع الأطراف في القتال الدائر إلى وقف إطلاق النار وإلى البدء فوراً، بعد وقف إطلاق النار، في تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه. ويقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً بين الأطراف المعنية بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط"^{٣٧٧}. وفي ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣ توقفت

(- هيكلمحمدحسنين، الطريق إلى رمضان، نقله إلى العربية يوسف الصباغ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٩٢. ٣٧١

(٣٧٢- انظر غوترمان رازي، صحيفة معاريف، عدد/١٠/٧/١٩٨١، ونشرت مقالته في مجلة الأرض العدد الرابع /١١/٧/ ١٩٨١. ٣٧٣- راجع مذكرات الشاذلي، مصدر سابق.

(٣٧٤- اللواء حسام سويلم، "ثغرة الدفرسوار الأسباب والنتائج" (مجلة السياسة الدولية، القاهرة، الفصل الخاص، العدد ١٣٤، أكتوبر ١٩٩٨، ص ٥).

(٣٧٥- هيكلمحمدحسنين، ١٩٧٣: السلاح والسياسة...، مصدر سابق، انظر نص الرسالة في الصفحة ٥١٢.

(Cf. Nixon Richard, Mémoires de Richard Nixon, Editions Stanké, 1978, pp.671-672. ٣٧٦

(- بهلولان وصالح، مرجع سابق، ص ٤٦٣-٤٦٤. ٣٧٧

الأعمال القتالية تأسيساً على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨، بين مصر و"إسرائيل" اللتين وقعتا اتفاقية لفصل القوات في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤.

أما سوريا فقد رفضته أثناء صدوره، ثم وافقت عليه بعد يومين، وخاضت حرب استنزاف طويلة استمرت ٨١ يوماً، من ١١/٣/١٩٧٤ إلى ٣١/٥/١٩٧٤، بسبب مراوغات "إسرائيل" في رسم خط وقف إطلاق النار، وكبدت "إسرائيل" خلالها خسائر كبيرة. ولا شك أنّ هذه الحرب قد أسهمت في إجبار "إسرائيل" على توقيع اتفاقية لفصل القوات انسحبت بموجبها من جيب سعسع، ومن مدينة القنيطرة التي احتلت في عدوان حزيران ١٩٦٧، ومن قرية الرفيد، ومن ٢١ موقعاً محصناً كانت محتلة منذ عام ١٩٦٧^{٣٧٨}.

٣. نتائج حرب تشرين التحريرية:

إذا كانت حرب تشرين الأول ١٩٧٣ قد أكدت تصميم الأمة العربية على تحرير أراضيها المحتلة مهما كان الثمن، فقد شكّلت نقطة تحول حاسمة في تاريخ الصراع العربي . الصهيوني، وكان لها نتائج إيجابية كثيرة، وعلى درجة كبيرة من الأهمية، وذات أبعاد عسكرية واقتصادية وسياسية على المدى القريب أو البعيد، على المستويين الدولي والعربي ومنه العلاقات العربية البينية عموماً والسورية . اللبنانية خصوصاً.

لقد أبرزت فعلياً حقيقة قومية المعركة ووحدة الصف في الصراع العربي . الصهيوني، إذ خاضت سوريا ومصر ضدّ الكيان الصهيوني المغتصب، بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية، وقوات من العراق والجزائر والمغرب وتونس والسودان والكويت والأردن والعربية السعودية^{٣٧٩}. طبعاً لم تكن قوات كبيرة، ومع ذلك فقد ظهرت من خلالها الأمة العربية قوّة يُحسب لها حساب بين القوى العالمية، وقادرة على لعب دور سياسي دولي من خلال الموقف العربي الموحد الذي تبنته هذه الدول جمعاء خلال الحرب، وبخاصة من حيث استخدام النفط العربي كسلاح استراتيجي سياسي في المعركة، إلى جانب أهميته كسلاح اقتصادي فاعل. وكما قال الصحفي الفرنسي لوسيان بيتزلان (Bitterlin): "سوف يبقى عام ١٩٧٣ في ذاكرة الغرب عام "الصدمة البترولية"... أما بالنسبة للعرب فسيبقى عام النصر"^{٣٨٠}.

لقد ظهرت الأمة العربية في حرب تشرين كقوة يُحسب لها حساب بين القوى العالمية، وقادرة على لعب دور سياسي دولي من خلال الموقف العربي الموحد الذي تبنته الدول العربية وجامعتها خلال الحرب، حين عقد وزراء النفط العرب اجتماعاً في الكويت في ١٦ تشرين الأول

^{٣٧٨}- انظر نص الاتفاقية في: (مجلة السياسة الدولية، القاهرة، السنة ١٠، العدد ٣٧، تموز/يوليو ١٩٧٤، ص ٦١٠).

(- راجع طلاس مصطفى ، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٦٤. ٣٧٩

(- بيتزلان ، مصدر سابق، ص ١٦٧. ٣٨٠

١٩٧٣، لاستخدام النفط، مقرّرين خفض إنتاجه فوراً بنسبة شهرية متكررة لا تقل عن ٥٪، ابتداءً من الشهر نفسه حتى يتم انسحاب القوات الصهيونية من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧. وروعيّ ألا تتضرر البلدان التي تساند العرب، وأن يكون الحظر كاملاً على الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا. وبعد وقف إطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول اجتمع وزراء النفط العرب ثانيةً، وقرّروا خفض الإنتاج إلى ٢٥ ٪، ووقف تصدير النفط إلى الدول التي تساند الكيان الصهيوني وكان أن ساعد توظيف سلاح النفط كسلاح إستراتيجي سياسي عربي في تدعيم الجبهة العربية.

وبشكل عام أحدث استخدام هذا السلاح انقلاباً في الأوضاع الدولية مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تعلن أكثر من مرة عن نيّتها في التدخل العسكري المباشر للسيطرة على منابع النفط العربية في حال استخدامه كسلاح مرة ثانية.

وإنّ هذا البروز لأهمية النفط العربي أثناء حرب تشرين، كان بمثابة المحرّك الحقيقي للحوار العربي . الأوروبي بعدها، والذي دفع أوروبا إلى تغيير سياستها تجاه القضايا العربية نحو الأفضل، نسبياً بالطبع. كما أكدت الحرب المقدرة القتالية والشجاعة للإنسان العربي، وأثبتت قدرته على استخدام أعقد وسائل الصراع المسلّح، وقدرته على استيعاب التكنولوجيا والأسلحة الحديثة والمتطورة، ونقلت الأمة العربية من موقع المهزوم إلى موقع القوي القادر على مخاطبة الآخرين، ومطالبتهم باحترام حقوقه. ولقد أظهرت حرب تشرين التمزق الداخلي في المجتمع الصهيوني، وحدثت أزمات اقتصادية واجتماعية حادة، وبروز الحديث عما دعي بـ"التقصير" في الأداء الحكومي والعسكري"^{٣٨١}.

وعلى الرغم مما حصل على الجبهة المصرية، تبقى حرب تشرين التحريرية الصفحة المشرقة والناصعة في التاريخ العربي المعاصر، حقق فيها الإنسان العربي جملة من الأغراض دفعة واحدة كان منها: استرداد أجزاء مهمة من الأراضي العربية والمواقع الإستراتيجية، وتحطيم مقولة التفوق النوعي للجيش الصهيوني، وتحطيم أسطورة تفوق السلاح الجوي الصهيوني، وإثبات كفاءة الجندي العربي القتالية، حيث كان في كلّ معركة فيها، كما يؤكد وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس، "أبطال من الذين يصنعون تاريخ أمّتهم العربية بعرقهم ودمائهم. وقد امتزج التراب العربي بأريج البطولات التي شهدتها مرتفعات الجولان وشبه جزيرة سيناء"^{٣٨٢}. وقد بيّنت هذه الحرب قدرة الجيوش النظامية العربية على المناورة في حرب الدبابات، وإثبات قدرة الأمة على توفير بعد

"التقصير" (المحذال)، ترجمة () - راجع كتاب رئيسة وزراء الكيان الصهيوني غولداماثير ومجموعة من الصحافيين الإسرائيليين: ³⁸¹

ال فلسطينية، ١٩٨٦. مؤسسة الدراسات

(- طلاس، مرآة حياتي العقد الثالث....، مصدر سابق، ص ٩٣٦. ³⁸²

إستراتيجي للجيش العربية المحاربة، وإثبات قدرة الوطن العربي على توفير بعد جغرافي هائل للمعركة، في حال توفر حسن النوايا عند القادة العرب.

وأهم من كل ذلك أن هذه الحرب حققت غرضاً بعيد التأثير في مستقبل الصراع، وهو خلخلة المجتمع "الصهيوني" من الداخل ووضعه وجهاً لوجه، وللمرة الأولى أمام تساؤلات عريضة حول المستقبل والمصير والقدرة على التناغم الداخلي. وأكدت أيضاً أهمية التضامن العربي، وأثبتت حقيقة وجوده وفعاليته، مما عزز الشعور بقدرة الأمة العربية على المواجهة والتصدي للعدو الصهيوني، وأوضح ضرورة تنظيم العمل العربي المشترك وتوسيع دائرته وتعميق أسسه.

لكنّ النتائج والانتصارات التي حققتها الأمة العربية في حرب تشرين التحريرية قد أربكت تحالف قوى الغرب والصهيونية والعمالة في الداخل العربي، فباشرت مخططاتها التآمرية لإجهاض تلك النتائج، وكانت سوريا ولبنان وعلاقاتهما في قلب هذه المخططات.

ج . سوريا ولبنان من انتصار تشرين عام ١٩٧٣ حتى قيام الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ :

انطلقت المحاولة الأولى لإجهاض نتائج حرب تشرين التحريرية، كما رأينا، من ممارسات السادات في حرف مسار هذه الحرب متخذاً خيارات مناقضة لمصالح شعبه ومصالح العروبة ومصالح القضية الفلسطينية، عاملاً على تدعيم علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية، فاتحاً عبرها القنوات مع الكيان الصهيوني بهدف الوصول سريعاً لتوقيع اتفاقيات منفردة معه، دائراً ظهره للحقوق العربية عامة، والفلسطينية خاصة.

في ظلّ هذه التطورات التي شهدت فتور المناخ الضاغط الذي خلفته حرب تشرين للصالح العربي، أخذ الموقف العربي يتدهور ويفقد شيئاً فشيئاً من صلابته. تجلّى ذلك في اتساع الحديث عن رفع حظر النفط الذي فرض إبان حرب تشرين" بجهود من السادات"^{٣٨٣}. ولم تنفع الجهود المكثفة التي بذلتها سوريا للحيلولة دون ترديه، والتي كان من جملتها نجاحها في العمل على انعقاد مؤتمر مصغّر رباعي في الجزائر، يومي ١٣ و ١٤ شباط ١٩٧٤، ضمّ بالإضافة إليها كلّ من ومصر والجزائر والسعودية، والذي لم يتمكن المؤتمرين فيه من إقناع النظام المصري بالتوقف عن السياسة الانفرادية التي كان ينتهجها.

إزاء كل هذا، وبعد أن تولّت لدى سوريا قناعة بأن الأمور تسير من سيء الى أسوأ، كان عليها أن تبادر مرة أخرى لوقف التدهور العربي والحفاظ على المعاني التي أبرزتها الحرب، فكان قرار العودة إلى القتال وبدء "خوض حرب الاستنزاف" في الجولان الذي عدّه طلاس "أهم

(- محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل...، مصدر سابق، ص ٢٥٠ . ٢٥٤ . 383

قرار اتخذه الرئيس الأسد في حياته^{٣٨٤}. استمرت هذه الحرب لمدة ٨٢ يوماً من ١١/٣/١٩٧٤ إلى ٣١/٥/١٩٧٤، وتمخضت عن نتائج إيجابية غيّرت من الحسابات التي كان قد وضعها العدو الصهيوني بدعم وتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وأسقطت كل المخططات التي رسمت لترتيب الأوضاع من جديد في المنطقة لمصلحة العدو الصهيوني، كما رفعت عالياً من مكانة سوريا وأكسبتها وزناً دولياً هاماً. أضف إلى ذلك أنه بنتيجة هذه الحرب تم إجبار العدو الصهيوني على الانسحاب من أجزاء مهمة من الأراضي العربية السورية المحتلة وتمّ تحرير مدينة القنيطرة.

في هذه الأجواء دعت سوريا لعقد مؤتمر قمة عربية بهدف تعزيز التضامن العربي واستعادة المبادرة العربية واتخاذ موقف عربي موحد تجاه التحركات الأمريكية المعادية، وأثمرت جهودها بهذا الشأن في عقد مؤتمر القمة، بالرغم من المحاولات المحمومة التي قامت بها الدوائر الإمبريالية والصهيونية في المنطقة للحيلولة دون انعقاده، كما أثمرت المساعي السورية في إنجاح المؤتمر، من خلال الدور الفعّال الذي لعبته أثناء اجتماعات وزراء الخارجية العرب التي عقدت في الرباط يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤، والتي قدمت سوريا فيها ورقة عمل شاملة تبناها هؤلاء الوزراء ورفعوها لمؤتمر القمة السابع، مما مهد الطريق أمام القادة العرب لاتخاذ جملة من القرارات الهامة أكدت على الأسس الآتية التي يقوم عليها العمل العربي المشترك:

. "عدم قبول أي محاولة لتحقيق أي تسويات سياسية جزئية، وذلك انطلاقاً من قومية القضية ووحدتها.

. التزام الدول العربية كلها بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني".

. تعزيز القوى الذاتية للدول العربية: عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، ومتابعة بناء القوة العسكرية لقوى المجابهة.

. تحقيق تنسيق سياسي وعسكري واقتصادي عربي فعّال، بما يؤدي إلى تحقيق تكامل عربي في مختلف المجالات.

. تجنب المعارك والخلافات الهامشية العربية بما يؤدي إلى تركيز الجهود ضد العدو الصهيوني^{٣٨٥}.

(- طلاس، مرآة حياتي العقد الثالث...، مصدر سابق، ص ٩٦١. 384

(- (قرار قمة رقم ٦٥ / ٧٥ - ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٤). 385

رأينا سابقاً العوامل التي دعت القوى العظمى إلى البحث عن تسوية للصراع العربي الصهيوني مقبولة من الطرفين، ورأينا الرفض الصهيوني قبل انتصار حرب تشرين ١٩٧٣ لكل مشاريعها ومبادراتها، إلاّ بشروطها هي وحدها، ورأينا انعكاسات هذه الحرب على توجه هذه القوى من جديد بعدها إلى محاولة تسوية هذا الصراع، وعلى أن تتمّ من خلال مؤتمر دولي للسلام اتفق على عقده منذ جلسة مناقشة القرار رقم ٣٣٨ في مجلس الأمن إثر هذا الانتصار. وكان أن أخذت الإدارة الأمريكية للرئيس نيكسون ولوزير خارجيته هنري كيسينجر المبادرة للدعوة إلى هذا المؤتمر في كانون الأول ١٩٧٣.

وكان أن بدأ كيسينجر رحلاته إلى المنطقة، إلى القاهرة والرياض وتل أبيب وكانت محادثاته مع السادات خالية من الصعوبات. وفي ١٢/١٤ حصل على موافقة السعودية وعلى وعدٍ منها بوضع حدّ لحظر النفط ورفع مستوى الإنتاج إلى الوضع الذي كان فيه قبل حرب تشرين. وفي تل أبيب وافقت القيادة الصهيونية على حضور المؤتمر، واشترطت لذلك عدم إعطاء الأمين العام للأمم المتحدة الدور الأساس فيه، ورفضت بشكل قاطع فكرة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيه.

أما في دمشق فقد عجز كيسينجر، ومن بعده السفير الأمريكي في بيروت، عن إقناع الرئيس حافظ الأسد في موافقة سوريا على حضور المؤتمر، والذي، وبمجرد اطلاعه على جدول أعماله أعلن أنّ سوريا لن تحضر المؤتمر، "قبل أن يتم فك الاشتباك بين القوات على جبهات القتال، وأن تتسحب "إسرائيل" من الجولان بالكامل"^{٣٨٦}، وأنها لن تسلم "إسرائيل" قائمة بأسراها لدى الجيش السوري إلا في إطار اتفاق واضح على فك الاشتباك، ويجب أن يتم ذلك قبل مؤتمر جنيف، ورفضت بشكل قاطع فكرة عدم اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيه.

وقد تبين من نتيجة الاتصالات التي قامت بها سوريا لاسيما مع مصر والولايات المتحدة الأمريكية، أنه لا يراد من مؤتمر جنيف معالجة جوهر القضية في المنطقة، لذلك قررت مقاطعة المؤتمر^{٣٨٧}. لقد أدركت سوريا أن المؤتمر لا يسعى إلى حل عادل لقضية الشرق الأوسط بقدر ما يسعى إلى احتواء نتائج الحرب، والتركيز على بعض القضايا الجزئية دون معالجة جوهر القضية. كما يراد منه دعم موقف الكيان الصهيوني قبل الانتخابات، والتغطية للرئيس الأمريكي "نيكسون" على فضيحة "ووترغيت" والضغط على العرب من أجل رفع الحظر على تصدير النفط العربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

(- محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل...، مصدر سابق، ص ١٩٩ و ص ٢٠٨. 386-

الوعلائي، مصدر سابق، ص ٢٤٤. 387-

ويؤكد حسنين هيكل على صوابية الموقف السوري، في شروطه، وفي مقاطعته لمؤتمر جنيف الذي عقد في ٢١ كانون الأول ١٩٧٣، حيث يذكر أن "إسرائيل" "فاجأت الجميع لأن وفدها إلى مؤتمر جنيف خلا من ممثلين عسكريين، ومعنى ذلك أن "إسرائيل" مازالت مصرّة على التفاوض سياسياً مؤجلةً موضوع فك الاشتباك على الجبهة ليظل عنصراً ضاعطاً على أعصاب المفاوضين العرب"^{٣٨٨}. ومقابل الفشل العربي في الحصول على أي قرار في هذا المؤتمر لصالح الطرف العربي، فقد نجح كيسينجر، الذي كان هو المحرك الرئيس فيه، أن يستخدمه في تشجيع سياسة الطرف المصري الساداتي والتمهيد لاتفاقيتي كامب ديفيد. وقد أتى مؤتمر جنيف، حسب رأي حسنين هيكل، في إطار التعامل المصري الأمريكي "كمحاولة لإرساء قواعد وأساليب للعملية التفاوضية مع مصر والعرب"^{٣٨٩}، وإنّ كيسينجر كان "لديه جدول أعمال يريد أن يفرضه على العرب"، وكان "يريد مزيداً من التنازلات"، لكن مقابل ما حصل عليه على الجانب المصري، استمرّ الأسد صامداً يطالب بالانسحاب "الإسرائيلي" الكامل من الجولان^{٣٩٠}.

"وكان النشاط الدبلوماسي الأمريكي في المنطقة آخذاً في الاتساع على يدي وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسينجر. وخلال هذه الفترة بدأ التنسيق المصري مع سوريا يتراجع، وقامت مصر بتوقيع الاتفاقية الأولى للفصل بين القوات في ١٨/١/١٩٧٤، وأخفق مؤتمر القمة الرباعي (سوريا، مصر، الجزائر، السعودية)، المنعقد في الجزائر في ١٣ . ١٤ شباط، في منع مصر من السير في طريق الحلول المنفردة.

والمخططات التأميرية المذكورة كانت تقتضي العمل على محورين في وقت واحد، محور المفاوضات المصرية "الإسرائيلية"، ومحور إشغال سوريا والعرب بجبهة أخرى لصرف النظر عن هذه المفاوضات. ولم يكن اختيار لبنان لتنفيذ الحلقة الرئيسية في الخطة مجرد مصادفة، فلبنان مقرّ ومنطلق للثورة الفلسطينية، ولبنان خاضعة لسوريا، وبالتالي فالحرب في لبنان هي الخطوة الأولى للحرب المضادة التي استهدفت إجهاض نتائج حرب تشرين التحريرية، خصوصاً وأن سوريا بدأت تأخذ منحىً متشدداً لمنع التفريط بالحقوق العربية بعدما لاحظت انحراف مصر عن مسار التنسيق مع الصف العربي.

من أهداف التآمر كانت محاولة العمل من أجل إلحاق لبنان بالاتفاقية المصرية - الإسرائيلية التي يتمّ التفاوض حولها، ولكن بعد تحقيق حلم صهيوني بتقسيمه إلى كانتونات طائفية يسهل السيطرة عليها مستقبلاً، ودفعها للاقتتال مع بعضها البعض ومع جوارها متى شاء

(- هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل...، مصدر سابق، ص ١٩٩. 388.

(٣٨٩- هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل...، مصدر سابق، ص ٢٢٢ .

(- المصدر نفسه. 390.

لها الأعداء. وكان أن بدأ قرع طبول الحرب الطائفية في لبنان، وبدأ التحريض الطائفي يأخذ مجراه حتى اشتعلت، وليكون لها شأن كبير في العلاقات السورية - اللبنانية، كما سنرى.

٢ . العلاقات السياسية السورية - اللبنانية منذ بداية الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ حتى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان عام ١٩٧٨:

أ . الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥: الأسباب والمقدمات والبداية:

إنَّ أسباب الحرب الأهلية التي عصفت بلبنان عام ١٩٧٥ هي متعددة بدون شك^{٣٩١}. يرى البعض من السياسيين والباحثين أنَّها داخلية فقط ومتعلقة بالنظام الطائفي، وبالمشكلات المثارة التي "كانت اجتماعية بالدرجة الأولى، من مشكلة مزارعي الدخان في الجنوب، إلى مشكلة فلاحي عكار إلى مشكلة عمال الغندور، إلى مشكلة صيادي الأسماك، إلى آخر ما هنالك من مطالب شعبية"^{٣٩٢}، وبالوضع الاقتصادي المتدني ومنه تراجع الطبقة الوسطى، وازدياد الفقر، ونقشي الغلاء إلخ.... ويرى البعض الآخر أنَّها تعود إلى خلفيات إقليمية ودولية. ويرى آخرون أنَّها كانت بهدف إضعاف لبنان، لتسهيل عملية غزو "إسرائيل" لجنوبه عام ١٩٧٨، وعملية اجتياحها له عام ١٩٨٢، طمعاً بمياهه بالدرجة الأولى^{٣٩٣}.

ولكن الأكثرية تربط بين توقيت حدوثها واستمراريتها وبين توقيت مسيرة السادات ومجموعة الاتفاقيات التي وقعها مع "إسرائيل"، ابتداءً من اتفاقية الفصل الأولى في عام ١٩٧٤، ومروراً باتفاقية الفصل الثانية بين القوات المصرية والقوات "الإسرائيلية" في سيناء في الأول من أيلول ١٩٧٥، وانتهاءً باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨، وعلى أنها أتت، أي هذه الحرب الأهلية، كحدث لتحويل الاهتمام والغضب الشعبي العربي إليها بعيداً عن هذه المسيرة وهذه الاتفاقيات التي كانت بمثابة المقدمات لفرض تسوية وفق الرؤية الأمريكية . الكيسنجرية . الصهيونية ولصالح ما دعي بضمان "أمن إسرائيل".

ومع التأكيد بدور جميع العوامل المذكورة في قيام الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، فإنني أرى التذكير بأنَّ رغبة استهداف لبنان والسيطرة عليه وافتعال حروب أهليه داخلية فيه، بهدف "بلقنتها"، أي تقسيمها، كما حصل في البلقان، إلى كانتونات طائفية، لم تبدأ مع هذه الحرب

(- راجع: عامل مهدي، النظرية في الممارسة السياسية - بحث في أسباب الحرب الأهلية في لبنان، دار الفارابي، طبعة ثالثة، ١٩٩٠.

٣٩١.

(- منح الصلح في تقديم كتاب الأمين، مصدر سابق، ص ٧. ٣٩٢.

(- انظر لاحقاً. ٣٩٣.

الأهلية، بل هي رغبة صهيونية قديمة ظلت تراود أصحابها على الدوام^{٣٩٤}، لأن من شأنها الإسهام في القبول العربي والدولي بالأساس الديني "اليهودي" لكيانها "الإسرائيلي"، من منطلق قبول الأساس الديني والطائفي لهذه الكانتونات وخاصة المسيحي.

ومن الممكن التأكيد على أنها تأجبت لدى العدو "الإسرائيلي" في أعقاب حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣، ولقد أثارته نتائج هذه الحرب المذكورة سابقاً، والحاجة إلى إجهاضها وتغطية المفاوضات المصرية . "الإسرائيلية، فسرّعت من وتيرة تنفيذها، وبخاصة بعد تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية النضالية عبر الجبهة اللبنانية، عاملةً على الاستعادة من الخلل البنيوي في تركيبة النظام اللبناني. وقد جهد العدو "الصهيوني" للاستفادة من هذا الخلل للتلاعب بالبنية المجتمعية في لبنان^{٣٩٥}.

تمثلت بداية هذا التلاعب في سيناريو الصدام اللبناني في عام ١٩٧٣، وكان مبنياً على أن تقوم الدولة اللبنانية بأجهزتها وجيشها وقواتها المسلحة بالاصطدام بالمقاومة الفلسطينية على غرار ما حصل في الأردن في أيلول الأسود عام ١٩٧٠، وقد فشل هذا السيناريو نتيجة وقوف سوريا بصلابة إلى جانب المقاومة كما رأينا سابقاً. وضمن المخططات "الإسرائيلية" في عام ١٩٧٥ كان السيناريو الجديد في ضرب هذه المقاومة بأيدٍ لبنانية عميلة تمّ إعدادها لهذا الغرض، فكان الانقسام اللبناني حول الموقف من هذا السيناريو، وكانت بالتالي الحرب الأهلية. وهكذا اندفعت قوى التآمر في تحركاتها وفق الخطة المرسومة التي كانت الساحتان اللبنانية والسورية المسرح الرئيس لها.

لا يمكن لأي باحث عن الحقيقة إلا أن يرى الارتباط الموجود بين الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية في عام ١٩٧٥، ومنها حدث اغتيال الملك السعودي الوطني فيصل في آذار ١٩٧٥، لرفضه سياسة "الخطوة خطوة" وتمسكه باسترداد عروبة القدس. وحدث تفجير الأرملة اللبنانية في نيسان ١٩٧٥ لإشغال المقاومة الفلسطينية وسوريا في معركة جانبية لا تحمد عقباها. وحدث الدعم الأمريكي- الصهيوني للممارسات الإرهابية لعصابة "الأخوان المسلمون" في سوريا أيضاً، ومنها ارتكاب جرائم التخريب والترهيب والاغتيالات التي استهدفت أرواح الأبرياء، وبشكل عشوائي مليء بالحق^{٣٩٦}، وكذلك جريمة القتل الجماعي البشعة التي شهدتها

(في ٢٧ / ٢ / ١٩٥٤) Sharett إلى موشي شاريت (Ben Gourion) انظر نص الرسالة التي بعث بها ديفيد بن غوريون (٣٩٤) - في كتاب: عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، ص ٣٤٩-٣٣٩. ويشير فيها بن غوريون إلى أن لبنان هو أضعف حلقة في جامعة الدول العربية، وأن الساعة مواتية لإقامة دولة مسيحية مارونية فيه موالية للكيان الصهيوني. انظر نص الرسالة في الملحق رقم (٤)

(٣٩٥) - مقابلة مع نصري الخوري أمين عام المجلس الأعلى السوري اللبناني، أجريت بتاريخ ٨ / ٤ / ٢٠١٠.
(٣٩٦) - بيتزلان، مصدر سابق، ص ٣٠٣-٣٠٤ و ٣٢٧-٣٣٦.

مدرسة المدفعية في حلب وتلتها مجزرة مجمع الأزبكية بدمشق ثم تفخيخ الباصات التي تنقل طلاب الضباط في إجازتهم القصيرة يومي الخميس والجمعة إلخ... والجدير بالذكر رغم كل العمليات التي قامت بها تلك الجماعات الإرهابية باسم الإسلام، والإسلام منها براء. لم تقدم شهيداً واحداً للقضية الكبرى، قضية فلسطين.

وكلّ هذا لإضعاف سوريا الأسد كي لا تستطيع مقاومة اتفاقات كامب ديفيد، لاسيما وأنّ سوريا كانت، وما زالت، تكوّن "العمود الفقري في المواجهة القائمة ضدّ هذه الاتفاقات المذلة للأمة العربية والمفرطة بحقوقها"³⁹⁷، تمهيداً لإخضاعها وجرها إلى معسكر الاستسلام. وفي هذا السياق جرى التخطيط من أجل عزل سوريا دولياً وعربياً، من خلال محاولة تشويه صورتها، بالقيام بعكس الواقع واتهامها بممارسة الإرهاب ضدّ عصابة "الأخوان المسلمون"³⁹⁸. كان هذا استكمالاً لمحاولة صهيونية كانت قد جرت عام ١٩٧٤، إثر نجاح إدارة الأسد في تأليب العالم ضدّ "إسرائيل" من خلال كشف ما فعلته بالقيطرة من تدمير وتقتيل وتهجير لسكانها من المسلمين والمسيحيين معاً. وكان هدف هذه المحاولة تأليب العالم ضدّ سوريا على أنّها دولة إرهابية تقوم بقمع اليهود فيها، وانتهت المحاولة إلى الفشل وإبراز الواقع الإنساني الحضاري في سوريا، والمتمثل بأولوية رابطة المواطنة لجميع فئات شعبها وبالمساواة أمام القانون، بالحقوق والواجبات، بغض النظر عن الدين والمذهب والأصل³⁹⁹.

في لبنان أخذت مقدمات المؤامرة أشكالاً متعددة كان أبرزها سلسلة الاعتداءات الصهيونية على جنوبي لبنان، وافتعال صدامات بين الفلسطينيين، إذ وجد الكيان الصهيوني في الوجود الفلسطيني على الأراضي اللبنانية مدخلاً لإنكاء الروح الطائفية، من خلال التقارب مع القوى المارونية السياسية، ولغت نظرها إلى أن هذا الوجود الفلسطيني الكثيف في لبنان، وهو في أغلبه من المسلمين، يشكل خطراً على التوازن الديموغرافي بين المسلمين والمسيحيين في لبنان، كما يؤثر على استقراره ووضع المسيحيين فيه.

وهكذا استخدم الكيان الصهيوني وجود قواعد حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان كذريعة للتدخل في شؤونها الداخلية وتفتيتها، عبر تشجيع جزء من أبناء شعبها على محاربة الجزء الآخر. واستمرت في إعداد وإنضاج الظروف لإشعال فتيل الحرب الأهلية من خلال التحريض

(- المصدر نفسه، ص ٣٢٩. 397.

(- المصدر نفسه، ص ٣٢٧-٣٣٦. 398.

(- بيترلان، مصدر سابق، ص ٢١٩-٢٢٤. 399.

الإعلامي والعدوان على أراضي لبنان، ومد يد المساعدة للقوى الانعزالية، ووعدت القوات المسيحية بأن تأتي لمساعدتها في حال تعرضها للخطر^{٤٠٠}.

استرعت هذه الأوضاع مجتمعة انتباه القيادة السورية، فبدأت تعمل بسرعة من أجل تداركها في لبنان من منطلق الحرص على قوى التقدم وعلى الثورة الفلسطينية، ولمنع حدوث مجزرة على نمط ما جرى في الأردن، فانعقدت لهذه الغاية قمة سورية - لبنانية في شتورة في ٧ كانون الثاني ١٩٧٥ انتهت ببيان مشترك أعلن فيه عن استعداد سوريا "لتلبية كل طلب للبنان"^{٤٠١}.

وبدأت كرة الأحداث تتدحرج، فبدأت بصدامات بين الفلسطينيين والجيش اللبناني في الدكوانة وفي مرجعيون حيث سقط ١٢ جريحاً برصاص الجيش اللبناني أثناء تصديه لتظاهرة شعبية نظمها أهالي بلدة كفر شوبا في الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٧٥^(٤٠٢). وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٥ ادعت قيادة الجيش اللبناني أن ثكنة صور العسكرية تعرضت لثمانية صواريخ أطلقت عليها من موقع قريب، واتهمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالحادث.

وفي ٢٤ كانون الثاني قدم رئيس حزب الكتائب بيار الجميل مذكرة إلى رئيس الجمهورية اللبنانية سليمان فرنجية، تتناول "هموم" حزب الكتائب السياسية والاجتماعية، وخصوصاً الفلسطينية منها، وانتهت المقابلة بتصريح للجميل جاء فيه: "لا نطلب مشكلة مع الفلسطينيين، ولن تكون حرب متى عادت السلطة إلينا"^{٤٠٣}.

وفي اليوم التالي صرح ياسر عرفات معلقاً على مذكرة الجميل بقوله: "إن الثورة الفلسطينية تضع كل إمكاناتها المتواضعة في تصرف الأخوة اللبنانيين والسلطات اللبنانية، في سبيل التعاون والذود عن حياض لبنان وشعبه". فيما أيد كميل شمعون مذكرة الجميل في ٢٧ كانون الثاني، وشهدت بيروت في الثلاثين منه مسيرة "اليوم الوطني لدعم الجنوب"^{٤٠٤}.

لقد تتابعت الأحداث متسارعة بعد ذلك تنذر بالعاصفة، ففي ٢٠ شباط ١٩٧٥ قدم الجميل مذكرة جديدة للرئيس فرنجية يطالب فيها بطرح فكرة استفتاء الشعب حول جدوى تنازل لبنان عن مسؤوليته على حدوده، بالنسبة إلى المقاومة وإستراتيجية الكفاح. وكانت هذه المذكرة بمثابة الضوء الأخضر لشن الحرب المضادة. وبالفعل، فإن عناصر عسكرية تابعة للنظام قد افتعلت

(- تقرير لجنة كاهان، التحقيق في مذبة صبرا وشاتيلا (صحيفة السفير اللبنانية، ١٠/٢/١٩٨٣).⁴⁰⁰

انظر عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، ص ٣٢. ⁽⁴⁰¹⁾-

المصدر نفسه. ⁽⁴⁰²⁾-

عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، ص ٣٣. ⁽⁴⁰³⁾-

المصدر نفسه. ⁽⁴⁰⁴⁾-

في ٢٦ شباط صداماً مسلحاً مع تظاهرة صيادي الأسماك في صيدا، وسقط فيه قتيلان وسبعة جرحى.

أعقب الحادث عدد من الأحداث تسارعت بشكل دراماتيكي مذهل: فمن تظاهرات ٢٨ شباط في الضاحية استنكاراً لحادث صيدا، إلى اشتباكات أول آذار بين الجيش وعناصر مسلحة في صيدا، إلى تظاهرة الخامس من آذار المؤيدة للجيش، فمطالبة المجلس الإسلامي للرئيس رشيد الصلح بالاستقالة في ٦ آذار بحجة أن "الإدارة الإسلامية" لم تعد ممثلة في الحكومة، إلى اغتيال معروف سعد في ٨ آذار عام ١٩٧٥ وما رافقها من تعديل قانون الاحتجاج السليبي^{٤٠٥}، إلى تصريح رشيد الصلح باعتزامه العمل على تعديل قانون الجيش بإنشاء مجلس قيادة له ورفض الجميل وشمعون أي بحث فيه.

ثم إلى قيام الإمام موسى الصدر بالتهجم على الحكومة والجيش في خطاب له مؤبناً فيه معروف سعد. وليتم بعد ذلك إحالة رجال الصحافة إلى القضاء وإصدار الأحكام المجحفة بحقهم، فاستقالة الأمير مجيد أرسلان في ٢ نيسان، وصولاً إلى المجزرة التي عُدَّت البداية الفعلية للحرب الأهلية اللبنانية أو كما دُعيت "الحرب القذرة"^{٤٠٦}، وهي مجزرة عين الرمانة التي وقعت في ١٣ نيسان. الشرارة الحقيقية لها كانت عندما قامت ميليشيات حزب الكتائب بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. القيادة العامة إلى مخيم تل الزعتر في طريق عودتهم من احتفال في صبرا^{٤٠٧}، مروراً بمنطقة عين الرمانة. سميت الحادثة بحادثة البوسطة والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء القتال في كل أنحاء البلاد. بانتشار الخبر سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية والكتائبية في أنحاء المدينة.

جاء تسلسل الأحداث ليوضح بشكل قاطع الأيدي التي كانت تحرك الفتنة اللبنانية: ففي ١٤/٤/١٩٧٥، أي في اليوم الثاني لمجزرة عين الرمانة، وجه بيار الجميل رئيس حزب الكتائب نداءً إلى القادة العرب، وعلى الفور وجه الرئيس السادات رسالة إليه يؤكد فيها أنه سيستجيب

- "ولد معروف سعد عام ١٩١٠ في صيدا، سافر إلى حيفا ١٩٣٥، شارك في أعمال المقاومة مع عبد القادر الحسيني، عاد إلى صيدا عام ١٩٣٦، انضم إلى الحزب السوري القومي وتطوع للقتال في منطقة طولكرم عام ١٩٣٧. ترك الحزب السوري القومي وتابع نضاله في سوريا وفلسطين ولبنان، اعتقل عدة مرات، شارك في معركة المالكية ضد القوات الصهيونية عام ١٩٤٨، ترشح للانتخابات النيابية عام ١٩٥٧، وفاز وتكرر فوزه في دورات ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٨. قاد المقاومة الشعبية ضد حكم كميل شمعون في صيدا عام ١٩٥٨، عارض احتكار الصيد البحري وخرج على رأس تظاهرة الصيادين في ٢٦/٢/١٩٧٥ فأطلقت النار على التظاهرة وأصيب في رأسه وتوفي في ٦/٣/١٩٧٥. وكان استشهاد من أسباب اشتعال الحرب الأهلية وكان من اغتاله كان يريد ذلك لأنه يعرف أن اغتيال شخصية كبيرة بهذا الحجم ستؤدي إلى تظاهرات شعبية يمكنه استغلالها لتأجيج مشاعر الناس" (راجع: أبو فخر، مصدر سابق، ص ٨٧، والأرناؤوط شفيق، معروف سعد نضال وثورة، المؤسسة اللبنانية، بيروت، ١٩٨١).

(- الحص، سلاح الموقف...، المصدر نفسه، ص ١٣٧.⁴⁰⁶

- انظر عباس والأمين وإنطاكي، المصدر نفسه، ص ٣٤.⁴⁰⁷

لندائه للتدخل بالشأن اللبناني. وفي ١٩٧٥/٥/٢٥ صرح هنري كيسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية أن الوضع في لبنان سينفجر ويتحول إلى حرب أهلية كالتّي وقعت في الأردن عام ١٩٧٠، وفي ١٩٧٥/٨/٢١، وصل كيسينجر إلى المنطقة لإنجاز توقيع اتفاقية سيناء التي وقعت في ١٩٧٥/٩/١، والتي عارضتها سوريا ومنظمة التحرير، وبعدها وجّه السادات إنذاراً للمقاومة الفلسطينية وهددها بأنها ستواجه المشاكل في لبنان إذا لم تتسجم مع اتجاهه السياسي، وهكذا اشتعلت الحرب، وتزايدت الأجواء المشحونة بالتناقضات بين الأطراف اللبنانية كافة، فمن هي هذه الأطراف ومن هي تنظيماتها وتحالفاتها الجديدة؟

ب . أطراف الحرب الأهلية اللبنانية: تنظيمات وتحالفات:

صحيح أن الصراع وما أنتجه من انقسامات وتحالفات في لبنان، كما رأينا سابقاً، كان سياسياً بين الاتجاهين المذكورين سابقاً، الاتجاه اللبناني الوطني العربي، والاتجاه اللبناني المتعرب والحليف مع "إسرائيل"، لكن التحالفات اللبنانية خلال الحرب الأهلية كثيراً ما خلطت الأوراق أحياناً لتعود وتغير مسارها بما ينسجم وهذا الانقسام في اتجاهيه. والأطراف الرئيسة في الحرب اللبنانية الأهلية كانت أربعة:

الطرف الأول كان الطرف الفلسطيني الممثل بشكل أساس من تنظيمين رئيسيين لم يكن لفصائلهما موقف واحد في هذه الحرب: الأول منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات، وأكبر فصائلها الذي هو حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح). وهذه المنظمة معترف بها في الأمم المتحدة والجامعة العربية منذ عام ١٩٧٤ كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين، ولقد رأينا سابقاً ظروف انتقال مركزها إلى لبنان، حيث هجرة الفلسطينيين ومخيماتهم فيها بدأت مع هزيمة ١٩٤٨، وازدادت مع عدوان حزيران ١٩٦٧. والثاني جبهة الرفض، واسمها الكامل "جبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الاستسلامية"، وهي تكتل شكلته سنة ١٩٧٤ الحركات الفلسطينية المعارضة لقرارات دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشر التي أقرت بإقامة الدولة الفلسطينية على أي جزء من فلسطين وذلك كجزء من برنامج النقاط العشر.

تشكّلت جبهة الرفض هذه من الفصائل الآتية: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. القيادة العامة، جبهة التحرير العربية، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، منظمة الصاعقة. جمدت فصائل الجبهة مشاركتها في نشاط منظمة التحرير الفلسطينية. تزعمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الجبهة التي تلقت دعماً من

العراق وليبيا، وانتخب أحمد اليماني (أبو ماهر) كأمين سر لها. لعبت فصائل الجبهة دوراً مهماً في بداية الحرب الأهلية اللبنانية وكانت متحمسة إلى التحالف مع الحركة الوطنية اللبنانية^{٤٠٨}.

الطرف الثاني كان حزب الكتائب اللبناني الذي عقد مؤتمره العام في عام ١٩٧٥. وفي رأس قائمة القضايا التي عالجها اتساع رقعة العمل الفدائي الفلسطيني في لبنان وعبره، و"اختلال التوازن" على الصعيدين السياسي والاقتصادي وخصوصاً على الصعيد "الطائفي". وانتهى مؤتمر الكتائب إلى قرارات، بعضها علني ومعظمها سري، وجاء في بنود القرارات السرية: التزام الحزب بتشكيل ميليشيات طائفية للدفاع عن النظام، والقيام باسمه بضرب الثورة الفلسطينية وحركة التحرر اللبنانية. وبدأت التدريبات العسكرية لعناصر حزب الكتائب على قدم وساق^{٤٠٩}، وتحت سمع النظام وبصره.

وتحول الموقف إلى إستراتيجية "لبننة الحرب" وهي باختصار إستراتيجية "الفتنة"، أي استخدام طرف لبناني للقيام بالحرب الداخلية على أن تكون الدولة داعمة لهذه الحرب بقدر الإمكان. ومنذ ذلك الوقت بدأت عمليات تسليح الأحزاب اليمينية وتدريب عناصرها، وأحياناً "بمساعدة ضباط من الجيش اللبناني"^{٤١٠}. بعد ذلك وأثناء الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٩٧٦ تشكل تحالف "الجبهة اللبنانية" بين عدة أحزاب وشخصيات يمينية، ضاماً حزب الكتائب وتيار المردة وحزب الوطنيين الأحرار وحزب حراس الأرز وميليشاتهم العسكرية، أي ميليشيا الكتائب وميليشيا النمر التابعة لحزب الوطنيين الأحرار، وميليشيا جيش تحرير زغرنا التابع لتيار المردة وميليشيا حراس الأرز. ورافق التحالف المدني لهذه الأحزاب تحالف لميليشياتها المسلحة سمي بـ"القوات اللبنانية"، شكّله بيار الجميل ليكون الذراع العسكري لهذه الجبهة. كانت هذه القوات إحدى أهم الأطراف المتصارعة أثناء الحرب وخاضت معارك عديدة ضد ميليشيات الحركة الوطنية اللبنانية والمنظمات الفلسطينية، كما أنها دخلت في صراعات خاطفة مع ميليشيات يمينية أخرى كانت حليفة لها.

(- انظر لاحقاً في هذا الفصل. 408)

"في الحقيقة إن التدريب العسكري في حزب الكتائب قديم جداً وقد أسس على تقاليد الفاشية الإسبانية. أما التدريب والتسليح في (409) المرحلة التي سبقت الحرب الأهلية فقد بدأ فور توقيع اتفاقية القاهرة في ١٩٦٩/١١/٣، ثم أنشئت فرقة (ب . ج) أي بيار الجميل، وفي عام ١٩٧٣ أصبح التدريب العسكري مركزياً، وفي عام ١٩٧٦ بوشر بإقامة التكتات العسكرية" (أبو فخر، مصدر سابق، ص ٧٣). "هناك فضيحة مشهورة جداً عن اشتراك الضباط، تسمى فضيحة "الأكوامارينا" في ١٩٧٥/١١/٦: رست باخرة في ميناء صغير (410) - في جونية يدعى الأكوامارينا، ويملكه في حينه تاجر السلاح المعروف بطرس الخوري، وعلى متنها أسلحة لأحزاب "الجبهة اللبنانية"، فطلب رئيس الحكومة ووزير الدفاع آنذاك رشيد كرامي من قائد الجيش حنا سعيد حجز الباخرة فرفض. أما الضباط فعرف منهم سامي شدياق وشربل بركات" (أبو فخر، مصدر سابق، ص ٧٤).

إنّ الجبهة اللبنانية، التي دعي أعضاؤها بـ"الانعزاليين" والذين أكد كمال جنبلاط أنهم "لا يمثلون أكثر من ٢٥٪ من المسيحيين"^{٤١١}، قد طالبت بسيادة لبنان على كامل أراضيه، ومن بين مقترحاتها إقامة نظام فيدرالي، ولقبت بالجبهة الانعزالية من طرف خصومها. ترأس الجبهة الرئيس الأسبق كميل شمعون زعيم حزب الوطنيين الأحرار. ومن أهم أقطابها رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميل، ورئيس تيار المردة الرئيس سليمان فرنجيّة، إضافة إلى إتيان صقر رئيس حزب حراس الأرز الذي أعلن انطلاقته مع بداية الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٩٧٥، والذي كان الشاعر سعيد عقل، المؤمن بالقومية اللبنانية والذي كان ينادي باستخدام العامية كبديل للفصحى وبكتابتها بالأحرف اللاتينية، يعتبر أباه الروحي.

الطرف الثالث في هذه الحرب تمثّل في "الحركة الوطنية اللبنانية"^{٤١٢}، وهي جبهة متكونة من عدة أحزاب وحركات قومية ويسارية، وكانت قد تشكلت عام ١٩٦٩، ولكنها انطلقت فعلياً سنة ١٩٧٣ على أساس برنامج مشترك ينادي بإحداث إصلاحات سياسية واقتصادية، إضافة إلى الإعلان الواضح لعروبة لبنان. ترأس الحركة الزعيم كمال جنبلاط^{٤١٣}، وضمت عدداً من الأحزاب وهي: الحزب التقدمي الاشتراكي^{٤١٤} بزعامته أيضاً، والحزب الشيوعي اللبناني، ومنظمة العمل الشيوعي، والحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث (التنظيم الموالي لسوريا)، وحزب البعث (التنظيم الموالي للعراق)، وحركة الناصريين المستقلين، والتنظيم الشعبي الناصري، إضافة لتنظيمات ناصرية صغرى.

وقد انضمّ إلى "الحركة الوطنية اللبنانية" التنظيم المدعو "أفواج المقاومة اللبنانية" أو "حركة أمل"، ولقد تأسس بدايةً تحت مسمى "حركة المحرومين" بعد دعوة الإمام السيد موسى الصدر للمواطنين اللبنانيين، في خطاب ألقاه بتاريخ ١٩٧٥/١/٢٠ بمناسبة ذكرى عاشوراء، إلى تشكيل مقاومة لبنانية تتصدى للاعتداءات الإسرائيلية^{٤١٥}. وسرعان ما تحولت هذه الحركة بقيادة الإمام موسى الصدر إلى مدّ شعبي جارف اتسع وتجدّر في الجنوب والبقاع وبيروت.

(٤١١) - انظر: بيطرلان، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

(٤١٢) - راجع حول كلّ ما سيذكر عنها: وثائق الحركة الوطنية اللبنانية، ١٩٧٥-١٩٨١، صادرة من المجلس السياسي المركزي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان، بيروت، بدون تاريخ.

(٤١٣) - راجع: خليل أحمد خليل، مع كمال جنبلاط شهادة وتاريخ ومقاربة فلسفية، المركز الثقافي العربي-المغرب وبيروت، ٢٠١٠.

وراجع مؤلفات كمال جنبلاط .

(٤١٤) - انظر أشتي فارس، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩-١٩٧٥، المختارة، الدار التقدمية، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، بيروت، ١٩٨٩.

(٤١٥) - في عام ١٩٧١ اجتمع سمير أبو غزالة الملقب "الحاج طلال" مع الإمام موسى الصدر الذي قال له بوضوح نحن معكم لتحرير فلسطين، واقترح عليه تشكيل "كتائب الإمام علي لتحرير فلسطين" لتعمل تحت إشرافه. وهذا الاقتراح ظهر قبل تأسيس حركة أمل. وأجابه بأن الثورة الفلسطينية لا يرى الجميع الأمور بالعين نفسها، والبعض يتحسس من أي مسألة إسلامية بسبب خلفيته الماركسية، والبعض يريد أن يراعي الحركات اليسارية اللبنانية، وفي النهاية اتفق على أن يكون هناك حركة باسم "أفواج المقاومة اللبنانية" (أمل)

رفضت الحركة منذ انطلاقها وقائع اللامساواة في توزيع مغانم الازدهار على المناطق والطوائف اللبنانية، الأمر الذي ألحق غيباً فاضحاً، انعكس "حزماً للحرمان" يحيط ببيروت من الأوزاعي إلى الكرنتينا، مروراً ببرج البراجنة والشياح والغبيري وتل الزعتر وجسر الباشا وجسر النبعة، وبرج حمود. وكانت هذه المناطق مأهولة في الغالب بخليط من الجنوبيين والبقاعيين والعكاريين والفلسطينيين والأرمن إلخ ...

كما رفضت الحركة تقاعس النظام في إقرار وتنفيذ المشاريع الإنمائية، لمناطق لبنانية معينة، فارتفع صوت قائد هذه الحركة، الإمام الصدر، مطالباً بالمساواة وإلغاء الغبن، وبلغ الأمر حد التهديد بالعصيان المدني. وركزت الحركة توجهها السياسي على مسألة الدفاع عن البندقية الفلسطينية في لبنان، ومنع النظام من توجيه ضربة قاصمة للمقاومة الفلسطينية. وانتهى الأمر بأن أعلن الإمام الصدر شعاره المعروف: "السلاح زينة الرجال"^{٤١٦}. وكان يردد أن على كل مسلم واجب القتال من أجل فلسطين^{٤١٧}.

لا شك أنّ انضمام حركة المحرومين، أمل، هذه إلى "الحركة الوطنية اللبنانية" قد أسهم في قوتها أكثر فأكثر، ولتتحالف في بداية الحرب الأهلية مع منظمة التحرير الفلسطينية، في مواجهة الجبهة اللبنانية اليمينية ذات الأغلبية المسيحية من الموارنة. ولقد حققت "الحركة الوطنية اللبنانية" نجاحات عسكرية ضدّ هذه الجبهة في بداية الحرب، جعلها تسيطر على حوالي ٨٠٪ من الأراضي اللبنانية، لكن سرعان ما دبّت انقسامات بين أعضائها أدّت، والمستجدات الناتجة عن التدخل السوري لإيقاف الحرب، إلى تراجعها.

أما الطرف الرابع، والذي كان من الاتجاه اللبناني الوطني العربي أيضاً، فقد كان الطرف المصرّ على عدم الانخراط في الحرب الأهلية تحت أي مبرر، ساعياً لإيقافها في إطار الوحدة اللبنانية والوفاق الوطني. وتشكّل من التنظيمات القومية وعلى رأسها "حركة الشباب العربي، وحزب البعث العربي الاشتراكي التابع للتنظيم القومي لهذا الحزب في سوريا، والحزب السوري القومي الاجتماعي، والأحزاب الناصرية. وقوى هذا الطرف هي التي ستشكّل "الجبهة القومية" التي ستتعاون مع سوريا من أجل إيقاف الحرب^{٤١٨}.

وتم التخلي عن اسم كتائب الإمام علي. وافتتح أول معسكر لتدريب حركة أمل بإسهام من حركة فتح (انظر أبو فخر، مصدر سابق، ص ١١٠-١١٣).

رفع الإمام موسى الصدر شعاره "السلاح زينة الرجال" في عدة مهرجانات ثلاثة منها: مهرجان بعلبك في ١٧/٣/١٩٧٤،^{٤١٦} - ومهرجان صور في ٥/٥/١٩٧٤. انظر: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات:

www.imamsadr.net/News/news.php?NewsID=5108

انظر أبو فخر، مصدر سابق، ص ١٠٩.^{٤١٧} -

(- انظر لاحقاً في هذا الفصل من البحث.^{٤١٨}

ج . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساوي السورية لإيقافها حتى الغزو الصهيوني للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ :

١ . تأجج الحرب الأهلية اللبنانية والمساوي السورية الأولية لإيقافها :

شهدت لبنان منذ بداية الحرب الأهلية اللبنانية في ١٣ نيسان ١٩٧٥ أحداثاً دامية وتطورات خطيرة كانت تزيد في تأججها، ضمن مسلسل طويل من الاقتتال العنيف بين أبناء البلد الواحد، نتج عنه الكثير من المآسي والدمار وسفك الدماء، مما حدا بسوريا إلى التدخل، بناء على طلب الشرعية اللبنانية، لوقف هذا الاقتتال بين الأشقاء، إدراكاً منها بأن ما يجري في لبنان عبارة عن مؤامرة "صهيونية" تستهدف التغطية على اتفاقية سيناء، وتصفية المقاومة الفلسطينية، وتقسيم لبنان والقضاء على وحدته أرضاً وشعباً، واستغلال الجبهة اللبنانية لاستنزاف حركة المقاومة الفلسطينية عسكرياً، وإلهاؤها عن دورها الأساسي في مواجهة المخطط الصهيوني، وإقناع الجهات اللبنانية المتعاونة مع الكيان الصهيوني، بالوقوف في صف القوى العربية المستعدة لمصالحاتها وتطبيع العلاقات معها، وعلى أنها هي الوحيدة القادرة على حماية تلك الجهات. كما تستهدف تخريب مساوي التهدة، ودفع القوى المتعاونة معها إلى نقض الاتفاقيات التي يتم التوصل إليها، وذلك من أجل إطالة أمد الحرب الأهلية، وتوسيع الشرخ وإشغال سوريا عن التصدي للمخططات الصهيونية.

دولياً لم تكن الإدارة الأمريكية بعيدة عن اللعبة التقسيمية في المنطقة. ففي حين كان الهدف المعلن من سياسة كيسينجر "الخطوة خطوة" في "الشرق الأوسط" إيجاد تسوية سلمية لقضية الصراع العربي الصهيوني، معتمداً أسلوب التسويات الجزئية المنفردة، كان الهدف المضمّر والحقيقي هو ضرب التضامن العربي، وإضعاف الموقف العربي، وامتصاص نتائج حرب تشرين التحريرية "خطوة خطوة"، وإعادة الخلافات والصراعات العربية من جديد، الأمر الذي دعا بعض الدول على مستوى الجامعة العربية، إلى الأخذ بزمام المبادرة والتحرك جدياً لوقف هذا التدهور المريع في الوضع العربي، من خلال العمل على وضع حد لما يجري في لبنان، وإنهاء الأزمة التي أخذ خطرهما يتفاقم ويتزايد يوماً بعد يوم. وكان من الطبيعي أن تكون سوريا على رأس هذه الدول، لتمارس دورها المستمر المتميز في مبادرتها الأولى لوقف الحرب الأهلية^{٤١٩}.

بداية المبادرة من سوريا كانت إرسال وفد رفيع إلى بيروت يرأسه عبد الحليم خدام ومعه مصطفى الشهابي، والاجتماع بالرئيس سليمان فرنجية، في ٢٤ أيار ١٩٧٥ في أعقاب إقدام فرنجية على تعيين حكومة عسكرية برئاسة العميد أول المتقاعد نور الدين الرفاعي في ٢٣ أيار.

(- راجع حول ما يتعلق بها وبالموقف السوري منها: أرشيفي وزارة الخارجية السورية ووزارة الخارجية اللبنانية. 419)

وكان من نتائج هذا اللقاء إقالة الحكومة العسكرية في ٢٦ أيار، تجاوباً مع الرغبة السورية في احترام المعارضة الوطنية لها، وتم تكليف الرئيس رشيد كرامي^{٤٢٠} بتأليفها في ٢٨ أيار. وفي ١٦ حزيران ١٩٧٥ اجتمع الوفد السوري المذكور برئيس الجمهورية، وعقد سلسلة من اللقاءات مع قادة المقاومة الوطنية وقيادات الصف الوطني.

في ٢٧ حزيران ١٩٧٥ وفي مسجد العاملة كان اعتصام الإمام موسى الصدر الذي أخذ منحى بالغ الأهمية، وبخاصة بعد انضمام المفتي الشيخ حسن خالد إليه في وقت كان الإمام يوجه رسالة إلى اللبنانيين متضمنة أربعة مطالب. وقد افترش المفتي خالد الأرض بجوار السيد موسى، وبعد انتهاء تسجيل وتصوير تلاوة الرسالة عبر الإذاعة والتلفزيون تعانق الاثنان، وقال المفتي خالد أمام الحاضرين إنني من هذا المقام أضم صوتي إلى صوت سماحة الإمام الصدر، وأؤكد أن موقفه هذا استمرار لموقف المسلمين جميعاً وتعبير صريح وصادق عن موقفنا وأمانينا.

أما المطالب الأربعة التي أوردها الإمام موسى الصدر في رسالته والتي لا تختلف موجبات تحقيقها عما هي موجبات حل الأزمة مع تبديل الأسماء والدواعي، فهي:

وقف النزف البشري وكل الأعمال المسلحة في كل المناطق اللبنانية أولاً، والخروج من الأزمة التي تهدد البلاد في أسرع وقت ثانياً، وتشكيل حكومة غير حزبية تعيد البلاد إلى الحالة العادية ثالثاً، وتشكيل هيئات ثلاث إلى جانب الحكومة: إحداها لإجراء تحقيق شامل في الحوادث التي حصلت وأسبابها وتفاصيلها ومعرفة المسؤولين عنها، والثانية لوضع مشاريع التنمية للمناطق المحرومة موضع التنفيذ، والثالثة لإجراء المصالحة الوطنية الشاملة. ولقد هزت خطوة الإمام الصدر مشاعر الناس بمن فيهم رئيس الجمهورية سليمان فرنجية الذي قال "إنني أعتبر أن قرار الإمام الصدر هو إنقاذ للبنان". لكن في الوقت نفسه هزت الانفجاريات العاصمة، ووصل العنف إلى حد الخشية من تفجير لا علاج له^{٤٢١}.

في ٢٩ حزيران باشر الوفد السوري من جديد اتصالاته، وفي اليوم التالي التقى كمال جنبلاط، ونجحت المبادرة السورية في وقف النزف وإقرار وقف لإطلاق النار. وعرف لبنان هدنة طويلة امتدت حتى أيلول ١٩٧٥^(٤٢٢). ومن أقوال الرئيس الأسد أثناءها للصحفيين المرافقين لرئيس الوزراء رشيد كرامي، في زيارته دمشق في ٢ آب ١٩٧٥، قوله المعروف: "إن

(- جول شخصيته راجع: رزق رزق، رشيد كرامي السياسي ورجل الدولة، مختارات، بيروت، ١٩٨٧، ٤٢٠.)

(- انظر مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، مصدر سابق، ٤٢١.)

(- انظر: عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٣٦، ٤٢٢.)

سوريا معنية بالدفاع عن لبنان، ولبنان معني بالدفاع عن سوريا...سواء أكان ذلك مكتوباً على الورق أو لم يكن^{٤٢٣}.

وعُدَّ تصريحه هذا مهماً وله دلالاته الواضحة، التي لخصها المراقبون آنذاك بأنه ضوء أخضر لتحرك سوري مكثف سياسي وغير سياسي إذا لزم الأمر، لمنع تكرار الحوادث التي عرفتھا الشهور الستة السابقة. لكن المؤامرة عادت للتحرك ثانية بعد هذا التاريخ، وعرف لبنان خريفاً حاراً اتسعت خلاله رقعة القتال، وامتدت لتشمل معظم المناطق، وإنَّ أعمدة الدخان، المتصاعدة من المرفأ والمصانع والفنادق والأسواق التجارية والمباني السكنية، قد حجبت وجه أنور السادات فيما كان يوقع اتفاقية الفصل الثانية بين القوات المصرية والقوات "الإسرائيلية" في سيناء في الأول من أيلول ١٩٧٥، كما كان مطلوباً أن يحصل.

جاء في هذه الاتفاقية: إن النزاع بينهما وفي "الشرق الأوسط" لا يتم حلّه بالقوة، وإنما بالوسائل السلمية. وقد أدت هذه الاتفاقية إلى تجميد الجبهة المصرية، في الوقت الذي ما يزال القسم الأكبر من سيناء يزرع تحت الاحتلال. كما أدت الاتفاقية إلى إنهاء واقعي وتعاودي لحالة الحرب بين مصر والكيان الصهيوني، وأغفلت الإشارة إلى الأراضي العربية المحتلة الأخرى، وإلى قضية الشعب الفلسطيني، ودعمت السياسة الصهيونية المعلنة من أن الصراع مع العرب ينبغي أن يحل بالمفاوضات الثنائية. وتضمنت وجوداً أمريكياً في منطقة سيناء وإدخال الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً مباشراً في الصراع^{٤٢٤}.

وكان لا بدّ من تغطية جديدة لإلهاء الشعب العربي عن اتفاقيات كامب ديفيد القادمة، بالتعاون مع بعض الأطراف المسيحية. يروي المراسل السياسي للإذاعة "الإسرائيلية" شمعون شيفر "أن العلاقة بين "إسرائيل" وبعض الأطراف المسيحية "تُسجت في الأشهر الأولى من سنة ١٩٧٥، وفي بداية سنة ١٩٧٦ توجه أول وفد "إسرائيلي" إلى لبنان بعد معركة الدامور، ونزل على الشاطئ بالقرب من جونية أربعة "إسرائيليين" على رأسهم العقيد بنيامين بن أليعازر قائد المنطقة الشمالية لـ"إسرائيل" وكان بانتظارهم على الشاطئ داني شمعون.

وقد "مهد هذا اللقاء إلى لقاء بين الرئيس كميل شمعون وإسحاق رابين رئيس الحكومة "الإسرائيلية" على متن سفينة حربية "إسرائيلية" في آذار ١٩٧٦. وكان هذا اللقاء فاتحة علاقة وطيدة بين الرجلين. تلاه اجتماع آخر انضم إليه بيار الجميل وولده بشير وأمين^{٤٢٥}. أما جوزيف أبو خليل فيروي في كتابه "قصة الموارنة في الحرب"، أنه "ذهب إلى "إسرائيل" في إحدى

(- الوعلائي، مصدر سابق، ص ٢٤٩. ٤٢٣)

(www.marefa.org/-) راجع نصّ الاتفاقية في: اتفاقية فك الاشتباك الثانية بين مصر وإسرائيل. ٤٢٤

(- شيمون شيفر، كرة الثلج، أسرار التدخل "الإسرائيلي" في لبنان، دون مكان نشر، ١٩٨٤. ٤٢٥)

ليالي آذار ١٩٧٦، بعدما استأذن بيار الجميل، وطلب أسلحة من شمعون بريس، فكان له ذلك، ثم تطورت العلاقة بين الطرفين^{٢٦}، والهدف هو طرد الفلسطينيين وتقسيم لبنان إلى كاتنونات طائفية، فكان أن تأججت الحرب الأهلية منذ أواخر عام ١٩٧٥.

في ٦ كانون الأول ١٩٧٥ عثر على أربعة جثث لأعضاء من حزب الكتائب، فقامت الميليشيات المسيحية في يوم السبت، الذي عرف لاحقاً بـ"السبت الأسود"، بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت، وقتلت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية، التي كانت آنذاك تدون مذهب حاملها. أدت عمليات القتل إلى اندلاع الاشتباكات على نطاق واسع بين الميليشيات، فانقسمت بيروت ولبنان معها، إلى منطقتين عرفتا بالمنطقة الشرقية وأغلبها مسيحيين، والمنطقة الغربية التي كانت مختلطة مع أكثرية إسلامية.

كانت بيروت الشرقية محاطة بمخيمات الفلسطينيين المحصنة مثل منطقة الكرنيتينا ومخيم تل الزعتر. في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٦ قامت الميليشيات المسيحية باقتحام منطقة الكرنيتينا ذات الأغلبية المسلمة والواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية والتي كان يسكنها أكرد وسوريون وفلسطينيون. قتلت الميليشيات المسيحية ١٥٠٠ من سكان المنطقة. ردت الميليشيات الفلسطينية بعدها بيومين باقتحام بلدة الدامور المسيحية وقتل المئات من السكان المسيحيين. هرب الآلاف من السكان بحراً حيث كانت الطرق مقطوعة. أدت هاتين الحادثتين إلى هجرة جماعية للمسلمين والمسيحيين، كان كل منهم يلجأ فيها إلى المنطقة الواقعة تحت نفوذ طائفته، وليخدم هذا مخطط تقسيم لبنان.

أعلنت سوريا أنها لن تسمح بتقسيم لبنان، وبتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٧٦ قام وفد سوري بزيارة بيروت في محاولة لوقف إطلاق النار وإجراء مصالحة وطنية وتشكيل حكومة وحدة وطنية، وكذلك تشكيل لجنة عسكرية عليا سورية . لبنانية . فلسطينية لمراقبة وقف إطلاق النار. في ٧ شباط ١٩٧٦ قام الرئيس سليمان فرنجية بزيارة سوريا وأجرى مباحثات مع الرئيس حافظ الأسد، تطرقت إلى عدد من النقاط التي كان من شأنها أن تساعد على حل الأزمة التي يمر بها لبنان.

وصرح الرئيس الأسد في ختام المباحثات قائلاً: "أعتقد أن الجميع حريصون على أن تعود الحياة إلى مجراها الطبيعي، وفي مقدمهم الرئيس سليمان فرنجية، وهذا أمر طبيعي والجميع يعرفون حرصنا في سوريا على سلامة لبنان وعلى أمنه، فمن الصعب الفصل بين أمن لبنان بمعناه الواسع وبين أمن سوريا لقد حققت جهودنا تقدماً جيداً. وزالت أكثر مظاهر التوتر

(- أبو خليل جوزيف، قصة الموارنة في الحرب، سيرة ذاتية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ص ٥٩. 426)

وتحولت المشكلة لتأخذ طابعاً داخلياً، ومثل هذه المشكلة وباللون المعين الذي تتخذه ليست غريبة على الحياة السياسية في لبنان. وكما تم التغلب على مثل هذه المشكلة في ظروف سابقة، فيجب، بل الأولى أن يتم التغلب عليها الآن^{٤٢٧}. وكان أن بدأت المساعي السورية لتحقيق ذلك.

٢٠. من إنجازات المساعي السورية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية: الوثيقة الدستورية:

رأينا سابقاً دور ووعي وتمسك إدارة الأسد بالمصالح الوطنية والقومية في اتخاذها لقراراتها. وكانت هذه الإدارة مدركة ما تمثله الحرب اللبنانية المدمرة من مخاطر مصيرية على البنية الاجتماعية والقومية، مما قد يهدد مصير المجتمع القومي والأمة بكاملها، ولهذا فقد كانت منذ اندلاعها في مقدمة الهموم السورية. وكما كانت سوريا أول الداعمين للمقاومة الفلسطينية والحامية لوجودها في لبنان، كما رأينا، على أنه ليس توطيئاً وإنما مؤقت ريثما تتم عودة اللاجئين إلى بلدهم الفلسطيني، فقد رفضت أن تتحول بندقيتهم إلى إخوانهم اللبنانيين، مما سيدفع الشعبان اللبناني والفلسطيني ثمنه غالياً، ولا يستفيد منه سوى أعداء الأمة العربية، وبخاصة العدو الصهيوني الذي قطعت الطريق أمامه في دخول لبنان، بالتعاون مع بعض فئات الجبهة اللبنانية، وكتلية لاستنجاها به مما كانت تدعوه بـ "الخطر الفلسطيني".

وكما حمت سوريا الفلسطينيين من الموارد سابقاً، فقد حمت الموارد من الفلسطينيين لاحقاً، وكذلك حمت اللبنانيين من بعضهم. وكانت منطلقة من أربع قنوات صحيحة وحكيمة ومشرفة: الأولى هي وجوب "تمتين علاقات التحالف الإستراتيجي بين القوى المناهضة للمؤامرة"^{٤٢٨}، وعلى أن "التلاحم النضالي ما بين المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية وسوريا هو الشرط الأساسي للانتصار على المؤامرة"^{٤٢٩}. والثالثة هي أن الانقسام اللبناني هو سياسي، وعليه فجميع الطوائف والفئات اللبنانية تتضمن كل الاتجاهات، الوطنية العربية والمتغربة "الإسرائيلية". من هنا وكما أن الفلسطينيين ليسوا في اتجاه سياسي واحد، فكذلك فإن "المارونية اللبنانية ليست كلّها ذات نهج عنصري تأمري، بل هناك قوى مارونية رافضة للنهج العنصري الفاشي العميل التي تنهج القوى التي أخذت على عاتقها دور أدوات تنفيذ المؤامرة في لبنان، ولذلك لا بد من مخاطبة هذه المارونية وخاصة قواعدها الشعبية التي رأت نفسها مندفعه في الصراع بحكم واقع التعبئة والتلاعب على عواطفها واستغلال قضية الأقلية والأكثرية والضمانات السياسية والمادية لاستمرارية الحفاظ على وجود الأقليات ودورها "المتميز" في

^{٤٢٧} - من لقاء الرئيس حافظ الأسد مع مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٧٥/٦/٢٢.

^{٤٢٨} - الأمين، المصدر نفسه، ص ٨٠.

^{٤٢٩} - المصدر نفسه، ص ٥٥.

هذا الوطن المميّز^{٤٣٠}. والقناعة الرابعة، والمرتبطة بسابقتها، هي وجوب إشعار جميع الأطراف اللبنانية بالأمان، مما يقنع البعض المسيحي "بأنّ حمايتهم لا يمكن أن تأتيهم بعد من الغرب"^{٤٣١}.

بهذه المنطلقات كان التحرك السوري السياسي على الساحة اللبنانية، والذي اتفق على تسميته "بالمبادرة العربية السورية". وفي الوقت ذاته الذي كانت تطالب سوريا فيه بمشاركة قوات مسلحة عربية، وإعداد إستراتيجية شاملة للمواجهة، وتعزيز التضامن العربي لصالح المعركة المقبلة مع العدو المشترك، ورغم كلّ الصعوبات الناشئة عن عدم قدرة بعض القيادات اللبنانية على فهم البعد الحقيقي للمؤامرة، "إن القيادة السورية ومن موقعها المتميز، أصرت على متابعة نهجها الثابت في المعالجة الجذرية للمؤامرة.

وعلى هذا الأساس اتجهت المبادرة السورية نحو مخاطبة جميع اللبنانيين وكل القيادات والفعاليات السياسية على الساحة اللبنانية، ودفعت بالأمر باتجاه الحوار المباشر بين جميع الأطراف، كما أنها لم تهمل دور السلطة التي كان على رأسها آنذاك الرئيس سليمان فرنجية، بل أكثر من هذا فقد عدّته المبادرة السورية أساساً في الحوار وأساساً في الحلول المقترحة، لأن الرئيس فرنجية وبرغم انتمائه لتحالف العائلات السياسية الحاكمة في لبنان، إلا أنه لا ينتمي إطلاقاً للمارونية العنصرية الفاشية بل هو متصادم معها بسبب انتمائه الوطني وعلاقاته العربية التي تشكل دائماً صمام أمان لنهجه السياسي برغم كل الأخطاء والهفوات التي حصلت خلال مرحلة حكمه، وبرغم انحيازه في بداية الأحداث إلى جانب التجمع السياسي الذي سُمي فيما بعد بالجهة اللبنانية^{٤٣٢}.

في ٧ شباط ١٩٧٦ زار الرئيس سليمان فرنجية ورئيس الوزراء رشيد كرامي دمشق. وبعد مباحثات مع الرئيس حافظ الأسد تمّ التوصل إلى اتفاق حول "ميثاق وطني جديد"، أعلن عنه الرئيس اللبناني سليمان فرنجية في رسالة وجهها إلى الشعب اللبناني في ١٤ شباط ١٩٧٦، وعرف بـ "الوثيقة الدستورية"^{٤٣٣}. "إن هذا الإنجاز الذي تحقق خلال هذا الشهر يعدّ حسيّة جهود مضيئة بذلها القادة السوريون"^{٤٣٤}، وقد استوحت القيادة السورية "نصوص وبنود هذه الوثيقة السياسية الإصلاحية من دراسة مستفيضة لمجمل البرامج والنصوص التي اقترحتها أكثر الأطراف ونتيجة لحوار صعب استمر أياماً مع قادة الحركة الوطنية اللبنانية بدأ في بيروت واستكمل في دمشق... وقد كان الوصول إلى مثل هذه الصيغة مهمة شاقة، كثيراً ما تدخل الرئيس حافظ

(٤٣٠) - الأمين، مصدر سابق، ص ٨٠. ٤٣٠

(٤٣١) - بيترلان، مصدر نفسه، ص ٢٥٥. ٤٣١

(٤٣٢) - الأمين، مصدر نفسه، ص ٨٣-٨٤. ٤٣٢

(٤٣٣) - أبو خليل، مصدر سابق، ص ٦٤. انظر نص الوثيقة الدستورية في الملحق رقم (٥)

(٤٣٤) - الأمين، مصدر سابق، ص ٨٥. ٤٣٤

الأسد مباشرةً لحل بعض العقد التي تعترض طريقها... واعتبر ذلك في ساعة إعلانها انتصاراً كبيراً للمبادرة السورية وهو بحد ذاته انتصار على المؤامرة إذا ما اكتمل تنفيذ ما قرر على أرض الواقع اللبناني^{٤٣٥}.

وكان من أبرز ما أقرته هذه الوثيقة عروبة لبنان، حيث جاء فيها: "لبنان بلد عربي، سيد حر، مستقل"^{٤٣٦}. وأكدت الوثيقة كذلك على العرف القاضي بتوزيع الرئاسات الثلاث، "فيكون رئيس الجمهورية مارونياً، ورئيس المجلس النيابي مسلماً شيعياً، ورئيس الوزراء مسلماً سنياً، وتوزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسلمين والمسيحيين، ونسبياً ضمن كل طائفة، وانتخاب رئيس الوزراء من قبل المجلس النيابي بالأكثرية النسبية، وإزالة الطائفية بالوظائف، واعتماد مبدأ الكفاءة، مع المحافظة على المساواة في وظائف الفئة الأولى بين الطوائف"^{٤٣٧}. "أما بالنسبة للفلسطينيين فقد أُعيد التأكيد على مضمون اتفاقية القاهرة"^{٤٣٨} لعام ١٩٦٩ حول تنظيم العمل الفلسطيني والكفاح المسلح.

أثارت الوثيقة الدستورية ارتياحاً لدى المسلمين والمسيحيين، إلا أنها لم تأت بالنتائج المتوخاة، "لأن العوامل الخارجية، من عربية ودولية، لم تكن تريد القبول بالحل"^{٤٣٩}. وعارضت أحزاب الحركة الوطنية، مدعومة من العراق ومصر الوثيقة، وعملت سوريا جاهدة في معالجة الحرب الأهلية اللبنانية، وفق بنود الحل العربي الذي يدعو إلى التهدئة، والمضاد للمشروع الصهيوني التفجيري. وبينما كان الجهد السوري منصباً على استقطاب قوى الخط العربي المقاوم والعمل على حشدها، حققت الولايات المتحدة الأمريكية اختراق النظام المصري الذي غدا رأس الحربة في الخط العربي المهادن، عاملة على انسحاب مصر من معادلة الصراع العربي . الصهيوني من جهة، وعلى تدفق المساعدات العسكرية الأمريكية إلى الدولة الصهيونية من جهة أخرى، مما أدى إلى اختلال ميزان القوى في المنطقة لمصلحة العدو، واتساع حرية العمل أمام الآلة العسكرية الصهيونية التي وجدت نفسها في وضع يسمح لها بمتابعة دورها التفجيري في لبنان وتهديد سوريا.

وفي منتصف آذار ١٩٧٦ بدأت المساعي السورية . اللبنانية بإشراف عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، لأجل تشكيل "الجبهة القومية" التي كان "لحركة الشبيبة العربية" دور فعال في توفير المناخ السياسي والشعبي لتشكيلها من الأحزاب القومية

(- المصدر نفسه، ص ٨٥، ٤٣٥)

(٤٣٦) - المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(- عارف العبد، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل، طبعة أولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ٤٣٧ ص ١٢٣.

(٤٣٨) - المصدر نفسه.

(٤٣٩) - فواز طرابلسي، صورة الفتى بالأحمر، أيام في السلم والحرب، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧، ص ١٥٢.

اللبنانية، ومنها التنظيم القطري لهذا الحزب في لبنان، وهذه الحركة والأحزاب الناصرية والحزب السوري القومي الاجتماعي. واستمرت هذه القوى، منفردة أو في إطار الجبهة القومية المشكّلة، في رفض الحرب الأهلية وفي السعي إلى جانب سوريا في إيقافها^{٤٤٠}.

وكان قد تصاعد القتال الأهلي من جديد، ومع ذلك تمّت انتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية وانتخب الرئيس إلياس سركيس في الثامن من أيار ١٩٧٦ بترشيح من "حركة الشبيبة العربية" وبمساع منها^{٤٤١} ومن الجبهة، وباشّر في ممارسة صلاحياته. وكان أن دفعه استئناف القتال هذا إلى طلب المساعدة من الدول العربية عموماً وسوريا خصوصاً^{٤٤٢}، وكان أن بدأت المساعي العربية لوقف القتال، ومنها دخول الجيش السوري في ٣١ أيار، تلبيةً لطلبات المساعدة من المؤسسات الرسمية اللبنانية المعنية وبخاصة رئاسة الجمهورية.

وقد أعلن كمال شاتيل أمين عام "الجبهة القومية" ورقة عملها والمبادئ الأساسية لها في ١٦ حزيران ١٩٧٦، وأهمها وحدة واستقلال وعروبة لبنان، وإلغاء الطائفية وتحديث النظام الديمقراطي البرلماني. وقد نظمت ليوم وحدة لبنان في ١٢ حزيران ١٩٧٦ الذي حضرته الجماهير اللبنانية الغفيرة، والتي كانت جميعها تقدر "مبادرة الشقيقة العربية سوريا إلى نجدة لبنان بكل طاقاتها"^{٤٤٣}.

٣. دخول القوات السورية تلبيةً للنداءات اللبنانية ومساعدتها لإيقاف الحرب الأهلية:

وعليه، و"اعتماداً على اعتبار المنطق القومي كنقطة الانطلاق في تعاملها مع هذه الحرب"^{٤٤٤}، وبسبب الإدراك الصحيح لحقيقة العلاقة المتبادلة بين الأمنين القومي والقطري ولكلّ الخفايا التي كانت تهددهما، رأت سوريا أن تحقيق أمن لبنان يوفر الجهد والدم العربيين ويخدم بالتالي مصالح الأمن القومي. من هنا جاء قرارها التاريخي الذي اتخذته الرئيس حافظ الأسد وبموافقة جميع المؤسسات المعنية^{٤٤٥}، والقاضي بإرسال الجيش العربي السوري إلى لبنان بمهمة قومية من أجل وضع حدّ لهذه الحرب، ومن أجل منع العدو "الإسرائيلي" من تحقيق أهدافه وغاياته المرسومة^{٤٤٦}.

- حول هذه الجبهة راجع: عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، ص ١٣٣-١٥٣. 440

(- انظر المصدر نفسه، ص ٦٥-٦٦. 441

(٤٤٢)- راجع أقواله لاحقاً في خطابه في مؤتمر القمة العربية السادسة المنعقد في الرياض بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٧٦ (وثائق جامعة الدول العربية، أرشيف الأمانة العامة أو القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

(- انظر عباس والأمين وإنطاكي، مصدر سابق، ص ١٤٧-١٥٣. 443

(٤٤٤)- العبد، مصدر سابق، ص ١٢٢-١٢٦.

(- راجع أرشيف محاضر مجلس الشعب السوري، الجلسة المعنية، عام ١٩٧٦. 445

(٤٤٦)- مقابلة مع نصري الخوري ...، مصدر سابق.

وكان هذا الدخول بناءً على طلب رسمي من رئيسي الجمهورية اللبنانية، سليمان فرنجية وخلفه الياس سركيس، ممثلي الشرعية اللبنانية^{٤٧}، وعلى مجموعة من الطلبات الرسمية والشعبية الأخرى، ومنها المقدمة من وفد من نواب زحلة، وكان بينهم الرئيس اللبناني الأسبق الياس الهراوي إلخ... ورداً على سؤال مباشر للرئيس حافظ الأسد، في المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده مع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في ختام زيارة الأخير لسوريا في ١١/٢٨/١٩٨٤، حول من الذي طلب تحديداً الدخول السوري إلى لبنان عام ١٩٧٦، أجاب الأسد: "باختصار، إن الذي طلب دخول القوات السورية إلى لبنان هو رئيس جمهورية لبنان الرئيس سليمان فرنجية، وقد أعلن هذا أكثر من مرة... وقد وجه رسالة في حينه إلى جامعة الدول العربية يؤكد فيها شرعية التدخل السوري والوجود السوري في لبنان. والرسالة موجودة في الجامعة العربية، وموزعة على الدول العربية، ولدينا بطبيعة الحال نسخة من هذه الرسالة"^{٤٨}. ثم كان طلب سركيس كما سنرى.

في ٢٠ تموز ١٩٧٦ أشار الأسد إلى أنه تلقى ثلاثة طلبات متلاحقة من "قمة عرمون" التي جمعت القيادات الإسلامية كافة مع ياسر عرفات، وهي تطلب من الرئيس الأسد التدخل لإنقاذ الوضع. فقال: "واجتمعنا في دمشق وفكرنا في ما يمكن أن نعمله لإنقاذ الموقف. جهداً سياسياً بذلنا، سلاحاً أعطينا، ذخائر أعطينا، كل هذا موجود ومتراكم، ولم يستطع أن ينقذ الموقف... إذن ليس أمامنا إلا أن نتدخل بشكل مباشر"^{٤٩}. ومنذ هذا التدخل المباشر بدخول القوات السورية لبنان أصبحت العلاقات السورية اللبنانية أكثر تلاحماً وتداخلاً وترابطاً بكل ما كان يجري في سوريا ولبنان.

وبالفعل وبفضل هذا القرار التاريخي الكبير، وبفضل التضحيات الكبيرة التي قدمها الجيش العربي السوري "تمكن لبنان، بعد جولات حربية متعددة من أدوات المؤامرة، من أن يجتاز هذه المراحل الصعبة، وأن يسقط مناطق التقسيم والتفتيت لمصلحة إعادة بناء الدولة وإسقاط الحواجز ما بين المناطق، وفتح قنوات التواصل الاجتماعي والعمراني والثقافي كخطوة أساسية لا بد منها، من أجل إطلاق مسيرة إعادة بناء الدولة بكل مؤسساتها، خاصة مؤسساتها العسكرية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت سوريا مساهمة فعالة في إنجاحها"^{٥٠}. وهكذا حملت سوريا وقواتها العسكرية العبء الأكبر في تنفيذ الحل العربي من أجل إيقاف الحرب الأهلية،

(- الحَص، سلاح الموقف...، مصدر سابق، ص ٢٦٢-٢٦٣. ٤٤٧)

^(٤٨)- من حديث الرئيس حافظ الأسد في المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده مع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في ختام زيارته لسوريا ١١/٢٨/١٩٨٤ (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

^(٤٩)- من خطاب الرئيس الأسد الذي ألقاه في ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٧٦ بمناسبة انعقاد مؤتمر أعضاء مجالس المحافظات للإدارة المحلية (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

^(٥٠)- مقابلة مع نصري الخوري..

والذي سوف يبارك ويقر من قبل جامعة الدول العربية في إطار المساعي العربية لإيقاف هذه الحرب.

د . المساعي العربية لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية:

اجتمع وزراء الخارجية العرب في دورة طارئة لمجلس الجامعة في القاهرة، في التاسع من حزيران ١٩٧٦، وقرروا تشكيل قوات أمن عربية رمزية تحت إشراف الأمين العام للجامعة، لإعادة الأمن والاستقرار إلى لبنان، على أن يتم تحريك هذه القوات لمباشرة عملها وإنهاء مهمتها بناءً على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية. كما قرروا الطلب إلى جميع الأطراف توقيف القتال فوراً وتبنيته.

لكن هذا لم ينفذ على أرض الواقع، بل كان أن بدأ في ٢٠ حزيران حصار القوات اللبنانية لمخيم تل الزعتر الفلسطيني، ولينتهي بعد ٥٢ يوماً بمجزرة هائلة للفلسطينيين في ١٢ آب ١٩٧٦. ولقد شهد الجيش اللبناني أثناء هذا الحصار انقسامه إلى جيشين: جيش لبنان العربي الذي قام أحمد الخطيب بإعلان إنشائه لدعم المقاومة الفلسطينية. و"جيش لبنان الجنوبي" المزعوم^{٤٥١} بدعم من إسرائيل وبقيادة الخائن المعروف سعد حداد، وتألف هذا الجيش في مدينة مرجعيون من وحدات من الجيش اللبناني منشقة ومن أبناء من القرى الجنوبية ممن كانت لهم مشاكل مع فصائل من المقاومة الفلسطينية التي سيطرت على جنوب لبنان في ذلك الحين. وقد بدأوا بممارسة القمع والتعسف بحق المواطنين اللبنانيين الراضين للاحتلال والداعمين للمقاومة^{٤٥٢}.

وتكرر طلب الرئيس اللبناني للتدخل العربي، فكان أن عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعاً طارئاً آخر في القاهرة، يوم ٤/٩/١٩٧٦، قرروا فيه: تشكيل لجنة عربية خاصة وإرسالها إلى لبنان للسهر على تنفيذ قرار وقف إطلاق النار، واستعجال إرسال قوات السلام العربية إلى لبنان، والطلب إلى الأمين العام اقتراح عقد قمة عربية ورفع تقرير لمؤتمر القمة حول الوضع الراهن في لبنان. وقد بذلت الأمانة العامة للجامعة العربية مختلف الجهود، غير أن القتال استمر على الجبهات كافة، واتسع نطاق العمليات العسكرية، واشتدت حدة النزاع بين الأطراف. وكانت تدخلات القوات السورية مع هذا الطرف أو مع ذاك، الباهظة الثمن والتضحيات، بهدفين اثنين:

(- يجب التحفظ على هذه التسمية، وأنا مضطر إلى استخدامها لكونها كانت هي المتداولة، وأضعها ضمن أقواس صغيرة دلالة⁴⁵¹ على تحفظي عليها، فلا يجوز أن يدعى "جيش لبنان الجنوبي" وهو الذي كان يتعامل مع "إسرائيل"، فلا هو ممثل لجيش لبنان ولا هو ممثل لجنوبه.

الأول منع التقسيم، والثاني حماية الجميع من بعضهم وحيث تجب الحماية من منطلق وحدة لبنان من خلال تنوعه.

لمعالجة الوضع الذي كان يزداد تأزماً في لبنان، خاصة بعد انهيار اتفاقات وقف إطلاق النار لمرات متكررة، وإثر تعرض قوات الأمن العربية إلى إطلاق النار عليها من قوات الجبهة الانعزالية، عقد في الرياض مؤتمر القمة السادسة في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٦، وقد حضره ملوك ورؤساء سوريا والسعودية ومصر والكويت ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية. وانطلق المؤتمر من الالتزام القومي بالحفاظ على وحدة لبنان وأمنه وسيادته، والحفاظ على المقاومة الفلسطينية، وتصعيد قدرتها على الصمود في وجه كل المحاولات التي تستهدف الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره واستعادة ترابه الوطني.

ووضح في خطاب الرئيس سركيس في هذا المؤتمر تمسكه بالدعم السوري كـ بعض من الدعم العربي، حيث قال: "في تصوري، إنّ الدول العربية الشقيقة، سواء سوريا الشقيقة التي بيننا وبينها من روابط الجوار والتاريخ والنضال والأهداف المشتركة مما يحتم التلاقي والتكاتف والتضامن والتعاقد إلى أقصى الحدود، أو الدول العربية الشقيقة الأخرى المهيأة في هذه الظروف، لن تبخل علينا بما نحن في أشد الحاجة إليه. من هذه الزاوية بالذات كان اعتماد السلطة اللبنانية على الشقيقة سوريا وعلى دخول القوات المسلحة السورية الأراضي اللبنانية لحفظ الأمن... ولابد من أن يكون للقوات العربية السورية الدور البارز في تكوين القوة العربية الأمنية، مما يتلاءم ومقتضيات مصلحة الوطن^{٤٥٣}.

ولابد هنا أيضاً من التأكيد على أنه في حال الاستجابة لطلبنا، أن يكون للسلطة الشرعية اللبنانية القرار الأخير في طريقة تشكيل القوة الأمنية وفي تحديد حجمها ودورها ومهامها، على أن تخضع هذه القوة لسلطة المراجع الرسمية اللبنانية. ومن الطبيعي أن يخضع مستقبل هذه القوة الأمنية للسلطة الشرعية اللبنانية التي لها أن تتخذ حيالها الموقف الذي تراه متوافقاً مع المصلحة اللبنانية العليا في ضوء الظروف القائمة^{٤٥٤}. ولقد اتخذ المؤتمر القرارات الآتية:

ـ "وقف إطلاق النار وإنهاء الاقتتال في الأراضي اللبنانية كافة، من قبل جميع الأطراف بصورة نهائية".

ـ "تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان، بإمرة رئيس الجمهورية اللبنانية، على أن تكون في حدود الثلاثين ألف جندي، ويكون من مهامها

(٤٥٣) - من خطابه في مؤتمر القمة العربية السادسة المنعقد في الرياض بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٧٦، مصدر سابق. ٤٥٤ - المصدر نفسه.

الأساسية: فرض الالتزام بوقف إطلاق النار، وإنهاء الاقتتال والفصل بين القوات المتحاربة، وردع أي مخالف، وتطبيق اتفاقية القاهرة وملحقاتها، وحفظ الأمن الداخلي، والإشراف على سحب العناصر المسلحة إلى الأماكن التي كانوا فيها قبل تاريخ ١٣/٤/١٩٧٥، والإشراف على جمع الأسلحة الثقيلة من مدفعية وهاون وقواعد صواريخ وآليات مدرعة من الأطراف المعنية، ومساعدة السلطة اللبنانية، عند الاقتضاء، على استلام المرافق والمؤسسات العامة، تمهيداً لإعادة تسييرها وحماية المنشآت العامة العسكرية والمدنية".

"إعادة الحياة الطبيعية في لبنان إلى الحالة التي كانت عليها البلاد قبل بدء الأحداث، أي قبل تاريخ ١٣/٤/١٩٧٥، كمرحلة أولى".

"تنفيذ اتفاقية القاهرة وملاحقها والالتزام بمضمونها، نصاً وروحاً، وذلك بضمانة من الدول العربية المجتمعة. وتؤلف لجنة، تضم ممثلين عن السعودية، ومصر، وسوريا، ودولة الكويت، تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وملاحقها. وتكون مدتها تسعين يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار".

"تأكيد منظمة التحرير الفلسطينية احترامها لسيادة لبنان وسلامته، وعدم تدخلها في شؤونه الداخلية... وتضمن السلطة الشرعية اللبنانية، لمنظمة التحرير الفلسطينية سلامة وجودها وعملها في الأراضي اللبنانية، ضمن إطار اتفاقية القاهرة وملاحقها"^{٤٥٥}.

كما حدّدت القمة ملحقاً تضمّن الإعلان عن وقف إطلاق النار، وإنهاء الاقتتال في الأراضي اللبنانية كافة من قبل جميع الأطراف بصورة نهائية، اعتباراً من يوم ٢١ تشرين الأول عام ١٩٧٦، ووضع نقاط مراقبة من قوة الأمن الرادعة، بعد إنشاء مناطق عازلة في الأماكن المتوترة، لتثبيت وقف إطلاق النار وإنهاء الاقتتال، وسحب المسلحين وجمع الأسلحة الثقيلة وإزالة المظاهر المسلحة، ووضع نقاط مراقبة ودوريات على الطرقات غير الآمنة، من عناصر قوة الأمن الرادعة، بالاتفاق مع الأطراف المعنية وقائد القوة المذكورة. وحدّد لها فترة ستة أشهر قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة، وبطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

واستندت جامعة الدول العربية إلى ميثاقها في تشكيل قوات الردع، التي تألفت من قوات سورية بشكل أساس، إضافة إلى قلة من الوحدات السعودية والليبية والسودانية ومن اليمن ودولة الإمارات العربية المتحدة^{٤٥٦}، والمتضمن ما يلي: "إذما ما اضطرب الأمن والسلام في دولة عربية بشكل يدعوها إلى طلب المساعدة من الجامعة، فإن من حق الجامعة وواجبها أن تلبي الطلب،

^{٤٥٥} - انظر قرارات القمة العربية: (قرار قمة ٨٤ د غ ع/١٨-١٠/١٩٧٦). (قرار قمة ٨٥ د غ ع/١٨-١٠/١٩٧٦). (قرار قمة ٨٦ د غ ع/١٨-١٠/١٩٧٦). (قرار قمة ٨٧ د غ ع/١٨-١٠/١٩٧٦). (قرار قمة ٨٨ د غ ع/١٨-١٠/١٩٧٦).
^{٤٥٦} - مركز الدراسات العسكرية، تاريخ الجيش العربي السوري (١٩٧٠ - ٢٠٠١)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، المجلد الثالث، ص ٢٧٢.

وخاصة إذا كان الاضطراب يشكل خطراً على الأمن القومي^{٤٥٧}. وبتاريخ ١٠ تشرين الأول ١٩٧٦ أذاعت قوات الردع العربية بياناً أعلنت فيه أنها باشرت بتنفيذ المراحل الأولى من مهمتها، وفقاً للخطة الأمنية المقررة.

وهكذا تحول وجود القوات السورية في لبنان "في إطار قوات الردع العربية" ومساعي التهدئة السياسية، إلى عقبة أساسية أمام المخطط الصهيوني النفثتي، وأمام أغراض الإستراتيجية الأمريكية والصهيونية، وأصبحت دمشق أكثر من أي وقت آخر الهدف الأول لأعداء الأمة العربية بعدما ظهرت خطتها لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية وفق معطيات الحل العربي. في حين كان المطلوب تصاعد الاقتتال ليعطي عربياً على اتفاقيات السادات مع الكيان الصهيوني، فبدأت عمليات الاغتيال والخطف وتمحورت الأحداث في بيروت، وانفجرت حرب الكرنيتا وتلتها حرب الدامور، وظهرت بوادر الانقسام الطائفي في الجيش اللبناني. وفي ٨ آذار ١٩٧٦ كانت مجزرة بيروت، فكان لابد من مبادرة عربية سريعة لتدارك الموقف، فعقد مؤتمر القمة العربي الثامن.

تأكيداً لمقررات مؤتمر القمة السادسة عقد في الرياض مؤتمر القمة العربي الثامن ما بين ٢٥. ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٦، وكان في مقدمة قراراته: دعم لبنان ضد الاعتداءات "بأن تساهم الدول العربية، كل حسب إمكانياتها، في إعادة تعمير لبنان وتقديم الاحتياجات المادية المطلوبة لإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلّت بالشعبين اللبناني والفلسطيني"^{٤٥٨}. وإنشاء صندوق خاص "لإنفاق على متطلبات قوات الأمن العربية في لبنان... وأن يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق. وأن تُحدّد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة الذي يعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية"^{٤٥٩}.

لكن الحرب الأهلية لم تتوقف، ومما زاد في تأجيجها حدث اغتيال الزعيم السياسي الكبير كمال جنبلاط في ١٦/٣/١٩٧٧، مرافق بمحاولة اتهام إدارة الأسد بالقيام به، بهدف سحب ثقة القوى اللبنانية الوطنية بها، والتي فشلت، حيث كان كلّ من الأسد وجنبلاط: "يقدر الآخر، ولم يكن كمال جنبلاط يخفي ذلك"^{٤٦٠} ومن أقواله: "كان حافظ الأسد يودّني، مع ذلك كنت من جانبي أجدّه متعقلاً، وكنت شخصياً أقدره لاسيما لأنه منح السوريين قدراً كبيراً من الحرية"^{٤٦١}. وبرهنت إدارة الأسد من خلال ممارساتها على مدى حرصها على أمان جميع الفئات اللبنانية من جهة، وعلى إصرارها على دعم القوى اللبنانية الوطنية العربية من جهة أخرى. ومما أغضب هذه

^{٤٥٧} - ميثاق جامعة الدول العربية، المادة السادسة.

^{٤٥٨} - قرار القمة رقم ٩٤ / ٨ د - / ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٦.

^{٤٥٩} - قرار القمة رقم ٩٦ / ٨ د - / ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٦.

(- بيترلان، مصدر سابق، ص ٢٥٥. 460

(- المصدر نفسه. 461

الإدارة أنه في مثل هذه الظروف التي كانت لبنان وفلسطين يحتاجان فيهما إلى التضامن العربي أتت زيارة السادات إلى العدو الصهيوني في القدس المحتلة لتوجه لهذا التضامن طعنة جارحة في الصميم.

هـ . من زيارة السادات للقدس المحتلة وقيام "جبهة الصمود والتصدي" عام ١٩٧٧ حتى الغزو "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ :

في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٧ وصل الرئيس السادات إلى دمشق في زيارة استغرقت يوماً واحداً. ويروي الرئيس حافظ الأسد بمرارة ما دار بينهما لحسنين هيكلاً، وكيف حذر السادات أن زيارته "تعطي معنى الاستسلام" و"وضع الخيانة" وهذا أمر لا يرضاه هو لصديقه وشريكه في حرب تشرين الأول/أكتوبر" ولقد عدّ إصراره عليها "استهتاراً وخفة" وأنها "سوف تهدم السلام بدل أن تبنيه"^{٤٦٢}.

ويتحدث الأسد في أحد خطبه عن حوار هذا مع السادات قائلاً^{٤٦٣}: "جاء يوم الأربعاء، وجلسنا مساءً في اليوم الثاني يوم الخميس، وفي يوم السبت كانت زيارته للقدس كما عرفنا منه آنذاك... لم يكن يريد أن يترك لنا متسعاً من الوقت لكيلا يكون لموقفنا أي تأثير شعبي أو رسمي على زيارته... تحدثنا طويلاً كما قلت، فروى لي قصة ولادة الفكرة، لم تكن مقنعة، لم نستطع أن نوجد أي قاسم مشترك بيننا، قال أخيراً: أنا لا أريد أن أخرجك، لكن أنا أطلب إليك أن تسكت إذا نجحت فيها... وباختصار قلت له: المسألة ليست أن تنجح أو تفشل، المسألة ليست مسألة إحراج، فالقضية والمسألة ليست مسألتني أو مسألتك، إنها مسألة الأمة العربية، ونحن لن نسكت، وسنحدد موقفنا مباشرة. وافترقنا ونحن مختلفون، وذهب السادات كما تعرفون إلى القدس، وأعلن في تصريحه بعد الزيارة أن دماء ستسيل في لبنان وفي سوريا".

وعقب رحيله عقد الرئيس الأسد في مطار دمشق الدولي مؤتمراً صحفياً أعلن فيه عدم موافقة سوريا على زيارة السادات للقدس المحتلة التي قرر القيام بها. وأصدرت القيادتان القومية والقطرية والجبهة التقدمية والحكومة في سوريا بياناً استنكرت فيه هذه الزيارة، ودعت العرب إلى مواجهة هذا الوضع الخطير وتحمل مسؤولياتهم القومية في مواجهة الأخطار التي سيسببها، والعمل لإحباط المخاطر المتوقعة وتطويقها.

(- من مقابلة لهيكل مع الرئيس الأسد في ١/٦/ ١٩٩٥ (انظر: هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل...، مصدر سابق، 462

ص ٣٦٤ - ٣٦٥).

^{٤٦٣} - من خطاب الرئيس حافظ الأسد في الذكرى الثامنة عشرة لثورة الثامن من آذار ١٩٨١/٣/٨م، القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية.

لقد جاءت هذه الزيارة في الوقت الذي كانت القضية الفلسطينية قد حققت فيه انتصارات عديدة، بفضل النتائج الإيجابية التي أفرزتها حرب تشرين التحريرية، والتحرك السوري الفاعل والهادف باتجاه الاستفادة من هذه النتائج، والمناخ الملائم الذي وفرته لتعزيز هذه الانتصارات المتمثلة في تزايد الاهتمام العالمي بقضية الصراع العربي . الصهيوني، وفي توسيع نطاق جبهة القوى العالمية المناهضة لسياسة الكيان الصهيوني التوسعية والمساندة للحقوق العربية، واتخاذ التجمعات الدولية الأساسية المتمثلة في الدول الاشتراكية والاتحاد الأوروبي ومجموعة عدم الانحياز ومجموعة دول منظمة الوحدة الإفريقية والدول الإسلامية، مواقف واضحة وصريحة إلى جانب الحق العربي. وكان أن صدرت عن الأمم المتحدة، في إطار تحرك سوريا مع الدول الصديقة، قرارات تاريخية مهمة على صعيد إدانة العنصرية الصهيونية والإقرار بحقوق الشعب العربي الفلسطيني، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً له^{٤٦٤}.

كل هذه الجهود والانتصارات التي حققتها القضية العربية، دفعت باتجاه حلّ عادل وشامل لقضية الصراع العربي . الصهيوني، ونحو التوصل إلى صيغة مقبولة لعقد مؤتمر للسلام وفق الشروط والأسس التي تحقق الانسحاب الصهيوني الشامل والتام من جميع الأراضي العربية المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧، وإقرار الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة سلطته الوطنية المستقلة ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة الشرعي والوحيد آنذاك. وعليه فقد كانت زيارة السادات هذه مفاجأة كبيرة للعالم بأسره عموماً، وللأمة العربية على وجه الخصوص حيث شكّلت ضربة موجعة ومؤلمة لها، وأحدثت صدمة عنيفة هزت وجدان كل مواطن عربي، وطعنة للنضال العربي وللشهداء العرب عموماً والمصريين خصوصاً، وللتضحيات العربية عبر الكفاح الطويل ضدّ العدو الصهيوني.

بعد زيارة السادات للقدس المحتلة في ١٩/١١/١٩٧٧، وتبادلته للتحيات من قبل الحكام الصهاينة المحتلين، انعقد في مدينة طرابلس الليبية، في المدة مابين ٢ . ٥ كانون الأول ١٩٧٧، مؤتمر قمة سداسية ضمّ الرئيس حافظ الأسد والرئيس الجزائري هواري بومدين والعقيد معمر القذافي والرئيس اليمني (اليمن الديمقراطية) والسيد طه الجزائري (العراق) وياسر عرفات، وقرر المؤتمر تشكيل جبهة موحدة لمواجهة العدو الصهيوني والتصدي للمؤامرة، مؤلفة من سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية والجزائر الجماهيرية واليمن الديمقراطية، كنواة لجبهة قومية للصمود والتصدي يتاح للدول الأخرى الانضمام إليها.

- (٤٦٤). لمزيد من التفصيل حول هذه الزيارة وردّ الفعل السوري واللبناني انظر بقرادوني، السلام المفقود... ، مصدر سابق، ص ١٣٨

وفي المدة مابين ٢ . ٤ شباط ١٩٧٨ انعقدت الدورة الثانية لقمة الجبهة القومية للصمود والتصدي في الجزائر، وجاء في البيان الصادر عن المؤتمر^{٤٦٥}: "إن السادات يعمل ضمن المخطط الامبريالي الصهيوني . الأمريكي الذي يرمي إلى التصالح مع العدو والاعتراف بشرعية وجوده، وإلى مساعدة الكيان الصهيوني على تثبيت مفهومه بشأن التوسع والاحتفاظ بالأراضي. واتخذ المؤتمر عدداً من القرارات كان منها: مقاومة جميع المحاولات لتصفية قضية فلسطين عبر استهدافها عن طريق بعض الأطراف اللبنانية، واستهداف لبنان عبر إشعال فتنة بينه وبين أطراف المقاومة الفلسطينية، "ورفض كل اتفاق يمس القضية الفلسطينية، ورفض أي محاولة لجر لبنان إلى صف الفريق العربي المؤيد لكامب ديفيد، والتأكيد على التضامن العربي، والوقوف إلى جانب سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية في مواجهة المشروع الصهيوني . أمريكي الجديد".

إنّ اليد التي مدها السادات إلى الكيان الصهيوني استغلته الامبريالية والصهيونية في تعريض أمن العرب جميعاً للخطر. وغني عن القول إنّ لبنان كان الضحية الأولى الكبرى من ضحايا الجريمة الساداتية، حيث أدّت إلى استغلال الحرب الأهلية الدائرة في لبنان وإلى غزو الجيش "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، وإنّ القوات السورية، التي دخلته لوقف الاقتتال الطائفي فيه بين الأشقاء، قد وجدت نفسها في حرب مفتوحة شرسة مع جيش العدوان الصهيوني، وكان عليها أن تقدم التضحيات كما سنرى في الفصل الثالث.

ثالثاً) . أبرز نتائج الفصل الثاني:

١ . قوبل التحول الجديد في السياسة السورية بعد الحركة التصحيحية ووصول الرئيس حافظ الأسد إلى السلطة عام ١٩٧٠ بامتناع من جانب الكيان الصهيوني والقوى الغربية الموالية له وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. فالقيادة السياسية السورية الجديدة بقيادة الرئيس حافظ الأسد قد طرحت خيارات جديدة لحسم قضية الصراع العربي . الصهيوني، بما في ذلك خيار تحرير الأراضي العربية المحتلة بالقوة العسكرية، وبادرت إلى تحديث الجيش العربي السوري كمّاً ونوعاً، فجرى التخطيط الغربي . الصهيوني لجرّها إلى الوقوع في مستنقعين: مستنقع التسوية الاستسلامية الثنائية للصراع العربي . الصهيوني على طريقة كيسينجر "الخطوة خطوة"، ومستنقع الحرب الأهلية اللبنانية.

وكان أن بدأ التصعيد الصهيوني في لبنان قبل حرب تشرين التحريرية بستة أشهر، ووقعت الصدامات العسكرية المسلحة بين الجيش اللبناني وحركة المقاومة الوطنية الفلسطينية في نيسان ١٩٧٣. وكان على القيادة السورية أن تتخذ موقفاً حازماً يقطع الطريق على المؤامرة الجديدة

(- راجع أرشيف وزارة الخارجية السورية، إدارة الوطن العربي، ١٩٧٦. ٤٦٥)

فوقفت بحزم إلى جانب المقاومة الفلسطينية، ومارست الضغوط على القيادة السياسية اللبنانية وتمكنت من نزع فتيل الأزمة، ونجحت في تحييد الفتنة التي عادت تطلّ برأسها من جديد رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها لمنع وقوعها في أواسط سبعينيات القرن العشرين، دافعةً لبنان إلى هاوية الحرب الأهلية في عام ١٩٧٥، شاعلةً إياها بخطر الوجود الفلسطيني المزعوم فيها عن الخطر الصهيوني الحقيقي.

٢. بمراجعة ما كتب وما نشر حول الخطة الحربية للدوائر الصهيونية العليا يتبين أنها كانت تعتمد النظرية التي عرفت "بحرب المجتمع على ذاته" وهذه النظرية "تعني فيما تعنيه، اعتماد الحرب المباشرة على مجتمعنا والعمل على تقجيده من الداخل بهدف تفتيته وتفكيك مؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحويله إلى مجموعة دوائر عرقية ومذهبية مغلقة على ذاتها ومتاحة مع بعضها البعض وجاهزة للتصهين في مفاهيمها وأنماط حياتها"^{٦٦}، ولم تكن الحرب الأهلية سوى بعض من هذه الخطة.

من المعروف أنّ الأهداف الصهيونية الكامنة وراء إشعال فتيل الحرب الأهلية اللبنانية، من جهة، وجرّ التدخل السياسي والعسكري السوري من أجل إحباطها، من جهة أخرى، هي الآتية:

أ. العمل من أجل انقسام الوطن اللبناني عمودياً إلى قوتين، مع العروبة أو مع "إسرائيل"، والعمل على ارتداد حالة الانقسام هذه لتأخذ شكلها الطائفي الصرف الذي سيضطر بعض الأطراف إلى خوض معركة الدفاع عن النفس ضمن إطار القضاء على الثورة الفلسطينية، وعلى ارتداد حالة الانقسام هذه لتأخذ شكل التقوقع والانغلاق لدى قوى المارونية السياسية التي ستضطر في حالة إخفاق برنامجها العسكري إلى ضرورة التعاون مع الطرف الذي سيؤهل لها خاصية الاستمرار والمقارعة، والذي سيحمي ظهرها، وهذا الطرف هو الكيان الصهيوني.

ب. تدمير كامل لصيغة التعايش بين الطوائف في الساحة اللبنانية. وهنا سيسقط تلقائياً الشعار الفلسطيني الذي كان مطروحاً في تلك المرحلة والقائل بالدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين.

ج. العمل من أجل تقوية القوة الضاربة الكتائبية الشمعونية على مسرح الساحة كقوة رديفة للقوة الضاربة الصهيونية، ومن أجل إنجاح القوى الحليفة لـ"إسرائيل" عموماً في تصفية الثورة الفلسطينية، وهذا ما كان سيؤدي إلى بروز الطرف الفلسطيني الثالث الذي يحمل

^{٦٦} - مقابلة مع نصري الخوري ...،

كامل الاستعداد للتعاون مع الكيان الصهيوني وفقاً للشروط والمبادئ التي حددها المفهوم الكيسينجري للسلام، والنموذج الصهيوني . المصري.

د . العمل من أجل اشتعال الساحة العربية بمعاركة جانبية خطيرة تهدد الكيان القومي للأمة العربية برمتها، جراء وقوف الأطراف العربية مع الأطراف اللبنانية ضد بعضها البعض، مما سيجعل مشكلة تلك الأطراف مع بعضها بالمرتبة الأولى، ومع الكيان الصهيوني في المرتبة الثانية، ورفع الثقل الفلسطيني هكذا عن كاهل أنظمة "اليمن العربي" التي سيكون بمقدورها الانطلاق لمعالجة مشكلاتها الثنائية مع هذا الكيان بما يرضيه.

هـ . جر سوريا إلى الغرق في الرمال اللبنانية لإسقاط حالة تصديها العنيد لأي انجراف عربي نحو التسويات الاستسلامية، والذي كانت تترصده في تلك الفترة بالذات، فترة اتفاقيات كامب ديفيد، ودفعها إلى الانشغال بالشؤون اللبنانية واستنزاف قواها فيها بعيداً عن محاربة هذه التسويات والاتفاقيات.

و . التمهيد من خلال كل ما سبق إلى غزو "إسرائيل" للبنان بغرض الاستيلاء على مياهه^{٤٦٧}.

نخلص من هذا كله إلى القول: إن العامل الصهيوني في الساحة اللبنانية كان ومازال أحد أكبر العوامل وأكثرها خطراً، وهو يشكل مشروعاً تهديدياً مستمراً لأي حلّ عبر هذه الساحة. ولبنان ضمن هذا الإطار يشكل نقطة ضعف عربية وسلاحاً من الأسلحة الخطيرة بيد العدو الصهيوني. من هنا فإن أي حلّ لأزمة لبنان لا بد له من أن يسقط رأساً العامل الصهيوني فيها، وإسقاطه يتم مباشرة عن طريق إسقاط الذرائع الصهيونية في هذه الساحة، وهي تتمثل بالحضور العسكري والسياسي للقوى الحليفة "للكيان الصهيوني" سواء ضمن الرقعة التي فرضت لسعد حداد، أو تلك التي كانت تحمل السلاح الصهيوني ضمن إطار قوى "الجبهة اللبنانية"، والتي دعيت بـ"القوى الانعزالية" منذ بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥.

٣ . لم تكن هذه "القوى الانعزالية" في لبنان أقل خطورة على العلاقات السورية . اللبنانية على المستويين النظري والعملي من القوى الخارجية الأخرى التي كانت تتشط بالتنسيق معها على الساحة اللبنانية منذ بداية الحرب الأهلية اللبنانية وحتى الغزو الصهيوني الأول للبنان عام ١٩٧٨، والتي قدمت خدمات مجانية للكيان الصهيوني من حيث هي تدري أو لا تدري، وخدمت أهدافه وتطلعاته التوسعية في لبنان.

(- راجع البند الأول من الفصل الثالث. 467)

وما يثير أكثر من هذا كله هو التلاقي الذي حصل على الأرض اللبنانية بين هذه القوى وبعض القوى والأنظمة العربية الاستسلامية، وبخاصة نظام أنور السادات في مصر الذي هادن الكيان الصهيوني وأجهض نتائج انتصار حرب تشرين ١٩٧٣، وزار المسؤولين "الإسرائيليين" المحتلين في القدس المحتلة عام ١٩٧٧، وبأشر مباشرات كامب ديفيد. وغدت مهمته الأولى مساعدة الكيان الصهيوني في تحقيق أهدافه وضرب محور المقاومة العربية ممثلاً بسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الوطنية اللبنانية بكافة أطرافها وأحزابها السياسية وقواعدها الشعبية، الأمر الذي عكس حقيقة التحول الخطير الذي بدأت تشهده المنطقة العربية، ووجد له انعكاساً مباشراً على الساحة اللبنانية، لصالح محاولات إرساء سياسة التخلي عن قضية العرب المركزية والمصرية، القضية الفلسطينية، من قبل حكومات عربية كانت تنزع إلى الاستسلام بحجة الحاجة إلى السلام، وإلى الخيانة بحجة الواقعية السياسية، وليضرب التضامن العربي لصالح الانقسام ما بين حكومات الصمود وعلى رأسها حكومة سوريا، وما بين حكومات الاستسلام وعلى رأسها نظام السادات.

٤. كان الدور السوري الوطني الواعي لحقائق الأمور، من خلال التدخل السياسي ثم العسكري عام ١٩٧٦ الذي تمّ بناءً على طلب الجهات الشرعية اللبنانية كما رأينا، هو الذي أفضّل كلّ المخططات الصهيونية المذكورة في لبنان. وهذا لأنّ الإدارة السورية كانت مدركة لأمرين مترابطين هامين: الأول خطورة أمن لبنان على أمن سوريا، خاصة والاعتداءات الصهيونية على حدود البلدين، وخرق أجواء لبنان، وهذا كثيراً ما كان يتكرّر مشكلاً شعوراً دائماً لديهما بالخطر "الإسرائيلي"، والثاني ظهور الساحة اللبنانية كورقة أساسية في معادلة الصراع العربي . الصهيوني، بخاصة بعد أن حاول السادات استخدام الحرب الأهلية فيها من أجل إلهاء سوريا عن معارضة اتفاقياته الاستسلامية. وعليه فقد حرصت هذه الإدارة على أن يتمّ تدخلها العسكري المباشر لوقف هذه الحرب والمحافظة على وحدة لبنان من خلال تنوعه وحماية كلّ أطرافه، وبخاصة المقاومة اللبنانية والفلسطينية، ودون أن يلهيها ذلك عن فضح السياسة الساداتية وبيان خطورتها.

تم توجيه سؤال للرئيس حافظ الأسد: "لماذا وافقت سوريا على إرسال قواتها إلى لبنان وهي تعرف أنها ستتكد تلك الخسائر الفادحة" فقال حول خطورة مؤامرة الحرب الأهلية: "إن المؤامرة فيما تسعى إليه من أهداف تستهدف ضرب قضية هي قضية كل مواطن عربي سوري في هذا البلد. ومن تلك الأهداف: ضرب المقاومة الفلسطينية، وتقسيم لبنان، فكيف يمكن لسوريا أن تقف موقف المتفرج من مؤامرة تستهدف تحقيق هذه الأهداف؟ نحن معنيون بهذه المؤامرة،

وعلينا أن نعد أنفسنا بالقدر الذي نستطيع فيه أن نتصدى للمؤامرة والمتآمرين، الأمر يعيننا، ولا مفر من المواجهة^{٤٦٨}.

وكان أن توجه السعي السوري من جملة ما توجه إليه، إلى كل ما من شأنه ضمان مصلحة الثورة الفلسطينية في إطار ضمان سيادة لبنان ومصلحته. قال الرئيس حافظ الأسد رداً على سؤال فيما إذا تمّ الوفاق اللبناني بهذا الخصوص فأجاب: "هذا هو الأمر الذي نسعى إليه... تثبيت سلطة الدولة اللبنانية والسيادة اللبنانية وتأمين الثورة الفلسطينية، والتوفيق بين هذين الأمرين ليس مستحيلاً". وحول ما إذا كانت هناك إجراءات على هذا الصعيد، بعد لقائه الرئيس اللبناني الياس سركيس، قال: "ما بحثناه مما يعني الأخوة في منظمة التحرير الفلسطينية، سنبجته مع قيادة المنظمة... فشعار إضعاف المقاومة الفلسطينية وتقزيم الثورة سيظل شعاراً مركزياً على المستويين الصهيوني والأمريكي، وستظل القوى الرجعية المرتبطة مع القوتين المذكورتين تمارس ذات الدور السابق. من هنا فإن عوامل الخطر لم تزل مستمرة وقائمة أصلاً وستبقى^{٤٦٩}".

وهكذا كانت المساعي السورية المستمرة لوقف الحرب الأهلية اللبنانية، مدعومة من مساعي قوات الردع العربية التي شكلتها جامعة الدول العربية عام ١٩٧٦ على أن تصبح القوات المسلحة السورية في لبنان جزءاً منها، مما أضفى على وجودها الشرعية العربية. وعليه، صحيح أنه كانت هناك مشاركة قوات ردع عربية من أجل إيقاف هذه الحرب، لكنها كانت مؤقتة، إذ سرعان ما سحبت الدول العربية المساهمة قواتها تاركة الأمور مرة أخرى في يد سوريا بالدرجة الأولى، والتي كانت قواتها العسكرية هي القوة الأساس، وكانت سوريا لدى اشتداد القتال بين الفئات اللبنانية المتنازعة أسرع الأطراف العربية إلى لعب دور الوساطة بينها، بهدف إيقاف الاشتباكات، منطلقاً من قناعتها بأنها الأكثر تأثراً بما يجري في لبنان، والأكثر تأثراً فيها، نظراً لروابطها الخاصة بها، والتي تفسّر انطلاق الوساطة السورية من منطلقات أربعة مترابطة، تبدو منطقية لمعظم الأطراف: الأول هو أنّ ضمان أمن سوريا في مواجهة الكيان الصهيوني يتطلب الحفاظ على لبنان كوجود مستقر وقوي. والثاني هو أنّ استعمال القوة بين فئات اجتماعية وطائفية مختلفة سيؤدي إلى تقسيم لبنان إلى دويلات طائفية ضعيفة. والمنطلق الثالث هو أنّ سوريا، وجميع الدول العربية، لن تقبل التعامل مع أي كيان في لبنان مستقل عن الدولة اللبنانية. والمنطلق الرابع هو ضرورة الحفاظ على وحدة لبنان وعروبته.

^(٤٦٨) - من خطاب الرئيس حافظ الأسد خلال لقائه مع أعضاء مجالس المحافظات، المصدر نفسه.

^(٤٦٩) - من نص التصريحين اللذين أدلى بهما الرئيسان الياس سركيس وحافظ الأسد حول لقائهما في اللاذقية في أول حزيران ١٩٧٨. (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

بالإضافة إلى الأعمال ذات الطبيعة العسكرية التي كانت تقوم بها أو قامت بها قوات الردع العربية . السورية، كان مطلوباً أن تكون هناك خطوات سياسية تستهدف الوفاق بين الأطراف المتقاتلة، من أجل وضع حدٍّ لمحنة الحرب التي "كانت ستودي بكافة مكونات الدولة وسيادتها، وكانت سوريا خلالها تؤكد على تعزيز دور المؤسسات وإعادة البناء والإعمار هناك"^{٤٧٠}. ولم يكن من الممكن أن يكون مثل هذا العمل السياسي من مسؤولية قوة عسكرية في لبنان، فتحقيق الوفاق والسلام في لبنان، هو من مسؤولية القيادات السياسية الموجودة على الساحة اللبنانية، فالردع السوري حقق الأمن بوقفه الحرب الأهلية، وكان يجب على الجهات السياسية والحزبية والرسمية، أن تبذل جهودها من أجل اجتثاث العوامل التي كانت سبباً في الحرب الأهلية في لبنان حتى يصبح هذا الوقف فاعلاً.

وقد حرصت سوريا بهذا الشأن، ومن قبيل الشعور بالواجب نحو أشقاء، على أن تبذل كل جهد ممكن، من اتصالات مكثفة ومحاولات لتدفع الجميع إلى الحوار بغية تحقيق الوفاق الوطني، لأن سوريا كانت على قناعة أن الحوار والوفاق هما وحدهما القادران على أن يخرجوا لبنان من مناخ الحرب الأهلية. وما شهدته المناطق اللبنانية من حالات التآكل الداخلي يفسّر لماذا كادت أن تنجح في جر معظم المناطق الأخرى إلى لعبتها "لولا الدور السوري الكابح والرادع والعامل على إعادة الأمور إلى نصابها، وتغليب لغة العقل والمصلحة الوطنية على المصالح الفئوية الضيقة. وهذا ما تجلّى في المساعي التي بذلتها دمشق من أجل تحقيق تسوية عرفت بميثاق الوفاق الوطني"^{٤٧١}، أو بـ"الوثيقة الدستورية".

٥ . لقد وضح أكثر فأكثر أنّ الانقسام اللبناني في الحرب الأهلية، رغم اللبوس الطائفي لبعض فصائلها، كان سياسياً بالدرجة الأولى: بين اتجاه وطني عروبي يرى في العدو "الإسرائيلي" الخطر الأول الذي يجب الإعداد لمجابهته، وبين اتجاه يصرّ على أن لا خوف من "إسرائيل" ولا خطراً منها على لبنان. مردداً القول المعروف: "قوة لبنان في ضعفه"، ولا أحد يدري كيف يكون الضعف قوة^{٤٧٢}!

٦ . وأخيراً: أثبتت سوريا للبنانيين والفلسطينيين والعرب والعالم كله أن أهدافها في لبنان هي الحفاظ على لبنان العربي أرضاً وشعباً ودولة، وحمايته من الانهيار والتقسيم إلى جانب الحفاظ على حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية على الأرض اللبنانية، ومنع الكيان الصهيوني من تحقيق أهدافه التوسعية على حساب لبنان. وبالتالي سخرت سوريا كل ما لديها من إمكانيات

مقابلة مع الأستاذ وليد المعلم وزير خارجية الجمهورية العربية السورية، بتاريخ ٢٠ / ٤ / ٢٠١٠. (470)-

(٤٧١) - مقابلة مع نصري الخوري..

(- انظر المزيد حول هذا الموضوع في خاتمة البحث. 472)

وبذلت جهوداً جبارة، وقدمت تضحيات هائلة، ليس فقط من أجل الحفاظ على علاقة مميزة مع بلد عربي شقيق وجار، بل ومن أجل أن يبقى بلداً حراً سيداً مستقلاً، وقوياً في وجه الأطماع والمخططات الصهيونية.

خاتمة البحث

حول أهم نتائج البحث ودروسه

كنا قد تابعنا دراسة العلاقات السياسية السورية - اللبنانية فيما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٩، من خلال فصول البحث الأربعة: الفصل الأول التمهيدي الذي يتناول هذه العلاقات في المراحل التاريخية الممتدة حتى بدايته في عام ١٩٧٠، والفصل الثاني الذي يتناولها في المرحلة الممتدة حتى الغزو "الإسرائيلي" لجنوب لبنان عام ١٩٧٨، والفصل الثالث الذي يتناولها منذ هذا الغزو حتى رئاسة أمين الجميل عام ١٩٨٢، والفصل الرابع الذي يتناولها في المرحلة الممتدة منذ هذه الرئاسة حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩. ونظراً لوجود فقرة في نهاية كل فصل حول أبرز النتائج المتعلقة بدراسة العلاقات السياسية السورية - اللبنانية في المرحلة المعنية فيه، ومنعاً من التكرار، فقد خصصت هذه الخاتمة للحديث عن النتائج والدروس التي من شأنها تبين أمر هام ورئيس هو مدى تحقيق البحث لهدفه الأساسيين الموضوعين له في مقدمته، والتي أرى ضرورة التذكير بهما ووفق الترتيب الذي سأتناولهما به هنا والذي سيعكس مدى ترابطهما:

الهدف الأساس الأول، والمحوري، هو "الإسهام الجدي في بيان عناصر الوحدة والتقارب وعوامل الفرق والتباعد في العلاقات السورية - اللبنانية، لنأخذ الدروس والعبر المفيدة في استبعاد عوامل التباعد، وتعميق وإغناء عناصر التقارب مستقبلاً"^{٤٧٣}.

والهدف الأساس الثاني هو الإجابة المتعلقة بالإشكاليات المطروحة في مقدمة البحث: حول أسباب الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ أولاً، وحول مشروعية وأغراض الدخول السوري إلى لبنان بعد هذه الحرب ثانياً، وحول تقييم^{٤٧٤} دور الوجود السوري في لبنان عموماً ثالثاً.

(- انظر المقدمة. 473)

^{٤٧٤}- أقر المجمع العلمي في القاهرة صحة استخدام مفردة "التقييم" إلى جانب "التقويم" انطلاقاً من أن شيوعها الشعبي لزم من طویل قد أكسبها المشروعية اللغوية، من حيث ضرورة استيعاب جدلية العلاقة بين تطور الواقع وتطور اللغة في التعبير عنه. والأمر نفسه مع مفردة "الرئيسي" إلى جانب "الرئيس" و"الأساسي" إلى جانب "الأساس".

أبدأ عرض ما توصلت إليه من نتائج ودروس في المرحلة التاريخية المعنية بالبحث، بما يخص هدفه المذكورين، بالنتائج والدروس المتعلقة بعناصر الوحدة والتقارب في العلاقات السياسية السورية . اللبنانية، أولاً، وعناصر الفرقة والتباعد فيها، ثانياً، من حيث أنّ هذه العناصر كانت، وما تزال، بجانبها هذين، العامل المحوري الذي يحدّد مسار هذه العلاقات وطبيعتها وجميع معطياتها. ثمّ سأعرض، ثالثاً، النتائج والدروس المتعلقة بإشكاليات البحث ثم النتائج العامة للبحث.

أولاً) . النتائج والدروس الخاصة بعناصر الوحدة والتقارب في العلاقات السياسية السورية . اللبنانية:

١ . استمرار الدور الفاعل لعناصر الوحدة السورية في التقارب بين سوريا ولبنان، بفعل رسوخ وجودها المستمر منذ العصور القديمة قبل آلاف السنين حتى التجزئة وتشكل دولة لبنان الكبير المنفصلة عن سوريا عام ١٩٢٠، وبخاصة عوامل وحدة الواقع الاجتماعي . الاقتصادي والثقافي السوري، ومنها وحدة المصالح واللغة والتاريخ الذي شهد الدور السوري، ومنه اللبناني، في تمدين العالم كما رأينا. ومن هنا جاء القول الشهير لأندرية بارو(Parrot)، المتخصص في آثار ماري ومدير متحف اللوفر سابقاً، مؤكداً: "إن على كلّ إنسان متمدن أن يقول: إن لي وطنين، وطني الذي أعيش فيه وسوريا"^{٤٧٥}.

٢ . استمرار الدور الفاعل لعوامل وحدة الأمة العربية في التقارب بين سوريا ولبنان، في رسوخها الفاعل منذ العصور القديمة حتى اليوم، كما رأينا، من منطلق كون سوريا ولبنان هما جزء من هذه الأمة، وبخاصة عوامل وحدة الواقع الاجتماعي . الاقتصادي والثقافي العربي، ومنها وحدة المصالح واللغة والتاريخ الذي شهد أيضاً الدور العربي عموماً، ومنه السوري . اللبناني، في عولمة أو نشر معطيات المدنية والحضارة على المستوى العالمي قديماً ووسيطاً، مما رسّخ المضمون الإنساني الحضاري غير العرقي للعروبة، حيث أسقط العرب القدماء النظرية العرقية نظرياً وفعلياً قبل أوروبا بمئات السنين، من خلال رسالة المحبة عند النبي المسيح عليه السلام، ومن خلال رفض العرقية الصريح عند النبي الكريم محمد (ص) في حديثه: "الرب واحد والأب واحد، وليست العربية فيكم من أب وأم وإنما العربية باللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي"^{٤٧٦}، و"ليس منا من دعا إلى عصبية"^{٤٧٧}. ولا شك أنّ هذا المضمون الإنساني الحضاري غير العرقي للعروبة، هو نفسه المضمون الحقيقي لكلّ الأديان التي

^(٤٧٥) - انظر صحيفة: (Bayreuth). L' Orient-Le Jour, 6/10/1974. وسعد صائب، "دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم"، دار طلاس، ١٩٩٤، ص ١٨، وأحمد داوود، "تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحديث"، الطبعة الثالثة، دار الصفدي، ٢٠٠٣، ص ٤.

⁴⁷⁶ - رواه أحمد بن حنبل.

⁴⁷⁷ - رواه أبو داود.

انطلقت برسالتها العالمية من المشرق العربي ومنه سوريا، مما يفسر أنّ أحد أركان الإيمان في آخرها، أي الإسلام، هو الإيمان بها جميعها عملاً بقوله تعالى: "قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى و النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"^{٤٧٨}. وإنّ هذه المرجعية الثقافية العربية هي في حدّ ذاتها عامل وحدة وتقارب ليس في النسيج الوطني في الداخل العربي ومنه السوري واللبناني فقط ، وإنما في النسيج الإنساني ككلّ.

٣ . استمرار الدور الفاعل لجميع مظاهر تجسيدات العناصر المذكورة للوحدة السورية ووحدة الأمة العربية، في التقارب بين سوريا ولبنان، والتي رأيناها سابقاً، أي العلاقات الاجتماعية ومنها الأسرية، والمصالح التجارية والوحدة الجمركية، والموقف الموحد من الخطر الصهيوني المشترك وتحرير الأراضي العربية المحتلة، ومن المقاومة الوطنية والوحدة والتنمية وبقية القضايا القومية الهامة في المشروع القومي العربي النهضوي.

٤ . استمرار ارتباط العلاقات السياسية بين سوريا ولبنان، إن المباشرة البينية الثنائية، أو غير المباشرة من خلال موقع البلدين في جامعة الدول العربية، بآلية وطبيعة كلّ من القرار السوري واللبناني: من الملاحظ لدى إدارة الأسد في سوريا وجود استقلالية القرار الوطني ووحده وشرعيته المؤسسية وثوابته القومية^{٤٧٩}، بينما القرار في إدارة لبنان كان متأثراً بمتغيرات التوجهات السياسية لرؤساء المؤسسات الثلاث الأساس فيها، وبغض النظر عن انتماءاتها الدينية والمذهبية: رئاسة الجمهورية التي لها الكلمة الأولى، ورئاسة النواب، ورئاسة الوزراء، من جهة أخرى. ومقابل الدور المتغير للقرار اللبناني ما بين عامل توحيد وتقريب أو عامل فرقة وتباعد بين سوريا ولبنان وفق الانتماءات السياسية لرؤسائه المتغيرة، تبرز استمرارية دور القرار السوري كعامل توحيد وتقريب بشكل دائم.

٥ . استمرار دور السياسة السورية الوطنية القومية كعامل رئيس في دعم عناصر الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان، وذلك على مستويين: مستوى دعم القوى اللبنانية الوطنية العروبية على جميع الصعد وخاصةً السياسية والإعلامية منها، مما ساعدها على أن تكون مؤثرة بقوة في تمتين العلاقات اللبنانية . السورية، إن على المستوى الرسمي أو الشعبي، ومستوى السعي الدائم والناجح لأجل ضمان تفشيل المخططات الاستعمارية لتحالف قوى الغرب والصهيونية في تقسيم لبنان وتغريبه، وبالتالي ضمان وحدتها وعروبته. هذا الدور السوري تمثّل بشكل خاص في إسهاماته المذكورة في محاولات إيقاف الحرب الأهلية اللبنانية المندلعة عام ١٩٧٥،

(- سورة آل عمران، الآية ٨٤، ٤٧٨.

(- راجع فقرات "أولاً" من القسم الثاني من هذا البحث. ٤٧٩

وفي حفظ التنوع الفئوي اللبناني بكل أطيافه، الإسلامية والمسيحية، اللبنانية والفلسطينية إلخ... وفي التصدي والمقاومة الوطنية للغزو "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، وللإحتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢، والدعم الكبير لهذه المقاومة بعد ذلك وعلى رأسها حزب الله، وفي الوصول إلى اتفاق الطائف وإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٨٩، إنها "مشقة الأخوة"^{٤٨٠} الواجبة كما تفهما سوريا.

٦. بروز دور عنصر مهم من عناصر الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان حتى اليوم، وهو وجود الطابع الديمقراطي لنظام الحكم في الدولتين، مع الاختلاف في طبيعته وطبيعته تأثيره في كل منهما. الطابع الديمقراطي لنظام الحكم في دستور الدولة السورية هو برلماني قائم على رابطة المواطنة ومساواة المواطنين أمام القانون، ومن المفهوم بالطبع أن يكون هذا الطابع الديمقراطي لنظام الحكم السوري هو عنصر وحدة وتقارب إن في الداخل السوري أو في علاقاته مع لبنان على أساس احترام مواطنة جميع طوائفه، ودعم وحدته الوطنية وأحزابه السياسية العربية والوطنية بما فيها العلمانية. بينما الطابع الديمقراطي لنظام الحكم في الدولة اللبنانية هو برلماني قائم على ما دعي بـ"الطائفية السياسية"، وعليه فهو عنصر وحدة وتقارب من خلال زاوية وحيدة هي إسهامه، من خلال رعايته لمناخ الحريات السياسية لجميع اللبنانيين، بتنامي النفوذ القوي للقوى السياسية اللبنانية الوطنية من كل الطوائف والأحزاب اللبنانية، في المرحلة المعنية بهذا البحث والممتدة من رئاسة فرنجية في لبنان والحركة التصحيحية في سوريا عام ١٩٧٠ إلى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، كما رأينا. أما فيما خلا ذلك فهو عنصر فرقة وتباعدا في النسيج اللبناني العربي الواحد، لأن الطائفية قد شوهت وأنقصت الديمقراطية فيه، كانتخابات وتمثيل نيابي ونظام وقيم وثقافة، فكما يؤكد الحصّ: "إنّ في لبنان كثيراً من الحرية وإنما قليل من الديمقراطية"^{٤٨١}.

رأينا دعوة رياض الصلح السياسية في بيانه الوزاري أمام مجلس النواب اللبناني منذ عام ١٩٤٣، إلى "العمل على إلغاء الطائفية تدريجياً نظراً لما يعكسه وجودها من مساوئ تسمم روح العلاقات بين السكان"، ورأينا دعوة كل القوى اللبنانية المساهمة في ميثاق الطائف عام ١٩٨٩ إلى إلغائها أيضاً، لكنها إلى الآن لم يتم إلغاؤها، بفعل عوامل داخلية وخارجية لا مجال لذكرها هنا، وهي ليست خافية على أحد.

ومع ذلك فقد نجحت القوى الوطنية اللبنانية ذات التوجه السياسي الوحدوي العربي الحرّ في تعميق جذورها في المجتمع اللبناني، وأثبتت للعالم كله أن لبنان لا يمكن إلا أن يكون عربياً

^{٤٨٠}-(انظر: أبو خليل جوزيف، لبنان وسوريا، مشقة الأخوة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩١.

(- راجع الحصّ، سلاح الموقف...، مصدر سابق، ص ١٣٦-١٤٩-٤٨١.

وجزءاً من الأمة العربية، وسبيلها إلى ذلك، والذي يجب أن يحتذى، كان "سلاح الموقف" الوطني الفاعل كما يبين سليم الحص^{٤٨٢}، سلاح النضال الوطني الديمقراطي العربي المقاوم.

ثانياً) . النتائج والدروس الخاصة بعناصر الفرقة والتباعد في العلاقات السياسية السورية . اللبنانية:

١ . استمرار الدور المؤثر للتدخلات الاستعمارية الخارجية كعنصر في الفرقة والتباعد بين الدول العربية عموماً وبين سوريا ولبنان على وجه الخصوص، بهدف منع وحدة العرب وقوتهم ونهضتهم، بدءاً بالمراحل الطويلة للاحتلال العثماني ثم الأوروبي للوطن العربي ومنه سوريا ولبنان كما رأينا، وليتمّ التركيز على التوظيف السياسي للتنوع الجميل في المجتمعات العربية، والذي هو موجود في جميع المجتمعات البشرية وعنصر فاعل في تطويرها، بحيث يتحوّل إلى عنصر فرقة وتخريب للنسيج والبناء الوطني في كلّ مجال، ولنغبرك مشكلة "الأقليات" وبخاصة في لبنان، بدءاً بادعاء حمايتها في الامتيازات الفرنسية منذ العهود العثمانية، مروراً بتحويل الجبل اللبناني إلى متصرفية وتأجيج الحرب الأهلية فيه عام ١٨٦٠، وصولاً إلى تجزئة سوريا . الشام وخلق دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ .

وتمثلت التدخلات التأميرية الاستعمارية فيما يتعلق بالمرحلة التاريخية المعنية بالبحث، بالتدخلات الغربية عموماً والأمريكية والصهيونية على وجه الخصوص، وبخاصة بعد بداية إرهابات نهاية الحرب الباردة لصالح السيطرة الأمريكية العالمية الأحادية إثر بداية حكم غورباتشوف في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٥ . ولم تكن محاولات إجهاض نتائج انتصار حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ وما رافقها من تضامن عربي ومن استخدام لسلاح النفط العربي، وكذلك الضغوط المستمرة على سوريا، وإشعال الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، والغزو "الإسرائيلي" للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، والاحتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢، سوى بعض من هذه التدخلات والمحاولات الاستعمارية التأميرية لصالح المشروع الصهيوني في ضرب الصمود السوري، وتدمير المقاومة الوطنية، وتجزئة المجرزاً في دول كانتونات دينية طائفية تبرر الأساس الديني لدولة الكيان الصهيوني المحتل، وتكون دولة الموارنة فيها عوناً له في حدوده الشمالية المزعومة، وكلّ ذلك لضمان استسلام سوريا ولبنان وجزّهما إلى الوقوع في مستنقع التسوية الاستسلامية الثنائية للصراع العربي . الصهيوني على طريقة كيسينغر "الخطوة خطوة"، ووفق الرؤية "الإسرائيلية" واتفاقيات كامب ديفيد. ولقد رأينا دور سوريا في

(- المصدر نفسه، وبخاصة المقدمة حول اسم الكتاب: سلاح الموقف. 482)

تقشيل الكثير من هذه المخططات، منطلقاً من جميع معطيات التوحيد السوري . اللبناني، متصديةً لجميع معطيات الفرقة والتباعد.

وهكذا كان العامل الصهيوني في الساحة اللبنانية ومازال أحد أكبر العوامل وأكثرها خطراً من حيث استماتته في محاولات خلق واستغلال كل ما من شأنه الإسهام في تغذية عوامل الفرقة والتباعد ما بين سوريا ولبنان مما يضعفهما معاً، ومنها استغلال ما دعي بـ"القوى الانعزالية" للجبهة اللبنانية الطائفية والمرتبطة به، والتي كانت وراء إشعال الحرب الأهلية الموجهة بشكل خاص ضدّ الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني، من أجل السيطرة على لبنان وتحويله إلى سلاح بيده يستخدمه كيف شاء ومتى شاء وبخاصة ضدّ سوريا.

٢ . استمرار الدور المؤثر لهذه "القوى الانعزالية" اللبنانية الطائفية العميلة للعدو الأمريكي . الصهيوني، مستغلةً ما دعي بـ"الديمقراطية الطائفية التوافقية" في لبنان، في تغذية عوامل الفرقة والتباعد بينها وبين سوريا. أسهمت هذه القوى، من جهة، في إضعاف الوحدة الوطنية على صعيد الداخل اللبناني، من خلال المطروحات الشخصية والطائفية والعنصرية والحروب الأهلية، وأسهمت، من جهة أخرى، في ضرب عناصر الوحدة والتقارب إن في العلاقات بينهما أو في العلاقات العربية . العربية ككل، من خلال تغذية عوامل التجزئة والتبعية والإقليمية والصراعات البينية والفساد إلخ... وعليه لم تكن القوى الانعزالية الطائفية في لبنان أقل خطورة على العلاقات السورية . اللبنانية على المستويين النظري والعملي من القوى الخارجية الأخرى التي كانت تنشط بالتنسيق معها على الساحة اللبنانية، والتي قدمت خدمات مجانية للكيان الصهيوني من حيث هي تدري أو لا تدري، وخدمت أهدافه وتطلعاته التوسعية في لبنان.

وما يثير أكثر من هذا كله هو التلاقي الذي حصل على الأرض اللبنانية بين هذه القوى وبعض القوى والأنظمة العربية الاستسلامية، وعلى رأسها نظام السادات في مصر العربية الذي زار المسؤولين "الإسرائيليين" في القدس المحتلة عام ١٩٧٧ وعقد معهم اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨، وبعده نظام مبارك الذي استلم الحكم بعد اغتياله عام ١٩٨١، والذي بارك هذه الاتفاقيات والسياسة الساداتية ككلّ متجاوزاً إياها في خدمة المصالح الإسرائيلية، وليصبح الهمّ الأول للسادات، ولنظام حسني مبارك بعده، وللأنظمة الاستسلامية ككلّ، ضرب العلاقات السورية - اللبنانية، ومساعدة الكيان الصهيوني في تحقيق أهدافه وضرب محور المقاومة العربية ممثلاً بسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الوطنية اللبنانية بكافة أطرافها وأحزابها السياسية وقواعدها الشعبية، الأمر الذي عكس حقيقة التحول الخطير الذي بدأت تشهده المنطقة العربية، ووجد له انعكاساً مباشراً على الساحة اللبنانية، وهو التآمر على

قضية العرب المركزية والمصرية، القضية الفلسطينية، بحجة الواقعية السياسية، وليتم إضعاف التضامن العربي لصالح الانقسام العربي ما بين حكومات الصمود وعلى رأسها حكومة سوريا، وما بين حكومات الاستسلام وعلى رأسها نظام السادات ومن بعده نظام مبارك.

ولكن يجب القول: إن استمرار ارتباط الوضع الداخلي والخارجي للبنان، ومنه علاقاتها مع سوريا، بصورة مباشرة، بمتغيرات وقوى وتوجهات وانقسامات الوطن العربي والوضع الإقليمي، كان في آن واحد، عامل فرقة وتباعد فيما يخص تأثير ارتباط القوى الجبهوية الانعزالية الطائفية في الداخل اللبناني مع القوى العربية والإقليمية الاستسلامية وعلى رأسها نظام حكم السادات ومن بعده نظام حكم مبارك في مصر، وكان عامل وحدة وتقارب فيما يخص تأثير ارتباط القوى الوطنية العروبية في الداخل اللبناني مع قوى الصمود الإقليمي وعلى رأسها إيران بعد ثورتها الخمينية، وقوى الصمود العربي وعلى رأسها سوريا الأسد.

ثالثاً) . النتائج والدروس الخاصة بإشكاليات البحث:

هذه النتائج متعلقة ببيان الحقائق التاريخية حول الإشكاليات المطروحة في المقدمة، والخاصة بأسباب الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، أولاً، وبشرعية وأغراض التدخل السوري السياسي والعسكري في لبنان بعد هذه الحرب حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، ثانياً، وبتقييم دور التدخل السوري في لبنان عموماً، ثالثاً، فقد توصلت إلى النتائج التالية:

١ . النتائج بالنسبة للإشكالية الأولى، الخاصة بأسباب الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، رأينا أن البعض من السياسيين والباحثين يرى أنها داخلية فقط ومتعلقة بالنظام الطائفي، والبعض يرى أنها تعود إلى خلفيات إقليمية ودولية. وآخرون يرون أنه كان لها ولأطرافها ارتباط ما باحتلال "إسرائيل" لجنوب لبنان ثم اجتياحها للبنان حتى بيروت عام ١٩٨٢. وهناك من يربط بين توقيت حدوثها واستمراريتها وبين توقيت مسيرة السادات الاستسلامية ومنها اتفاقيات كامب ديفيد في عام ١٩٧٨، وعلى أنها قد أتت، أي هذه الحرب الأهلية، كحدث لتحويل الاهتمام والغضب الشعبي العربي ضدّ هذه المسيرة وهذه الاتفاقيات.

وما توصلت إليه هو أن جميع الأسباب المذكورة قد أسهمت في صنع حدث هذه الحرب، بدون شك، ولكن مع التأكيد على محورية أسبابها السياسية بالدرجة الأولى وللأغراض التي تعرفنا عليها سابقاً: منها ما هو متعلق بالتآمر الاستعماري للاتجاه الأمريكي . الصهيوني . الكيسينجري . "الإسرائيلي" لجرّ سوريا ولبنان إلى مسيرة الاستسلام، وإلهاء الأمة العربية في الانشغال بمعارك عربية بينية عن معركتها الأساس ضدّ العدو الصهيوني. ومنها ما هو متعلق بانعكاسات الواقع العربي الضعيف والمنقسم، والمنعكس على الساحة اللبنانية، وتدخلات

الحكومات العربية ذات التوجّه الاستسلامي والتي هي بعض أدوات هذا التآمر، بهدف امتصاص الغضب العربي بعيداً عنها. ومنها ما هو متعلق بالأوضاع اللبنانية الداخلية، من سوء للأحوال المعيشية والاقتصادية، وفساد في السلطة والمؤسسات والزعامات الإقطاعية الطائفية، وصراعات ثقافية وفئوية وانقسامات.

وهنا يجب التأكيد على ما لاحظناه من خلال البحث بأنّ العامل الأساس في الانقسامات اللبنانية في الحرب الأهلية، رغم اللبوس الطائفي لبعض فصائلها، لم يكن في يوم من الأيام العامل الطائفي الذي لم يكن سوى أحد أشكال الصراع ليس إلّا، بل كان دائماً العامل السياسي، ومعياره الموقف الوطني الفاصل بين اتجاهين مختلف تنظيماتهما:

الاتجاه السياسي الأول الوطني العربي الذي يرى في العدو "الإسرائيلي" الخطر الأول الذي يجب الإعداد لمجابهته، والمنطلق أساساً وهدفاً من تعميق عوامل الوحدة والتقارب مع سوريا وبقية الوطن العربي، والملتزم بقضايا الأمة العربية المصيرية، والمحتوي لكلّ الطوائف اللبنانية ومنها المسيحية، إلا أنّ أكثرية إسلامية، وهو الغالب.

والاتجاه السياسي الثاني المنطلق أساساً وهدفاً من تعميق عوامل الفرقة والتباعد مع سوريا وبقية الوطن العربي، لصالح الارتباط بالغرب واقعاً ومصيراً، وأكثرية مارونية، الاتجاه الذي يصرّ أصحابه على أن لا خوف من "إسرائيل" ولا خطراً منها على لبنان، مردّدين: "قوة لبنان في ضعفه"، موحين بأن لديهم وسائل خاصة لحماية أرض الوطن، وبالتالي لا لزوم لأي شيء آخر على صعيد تحضير المواجهة ضدّ "إسرائيل"، والخطر هو ما دعاه العملاء منهم بـ"الاحتلال الفلسطيني" قبل التدخل السوري، و"الاحتلال السوري" بعده، مما يدلّ على مدى تشبعهم للفكر الصهيوني.

جاء إصرارهم على عدم الاعتراف بوجود خطر "إسرائيلي" لأنّ هذا الاعتراف من شأنه إدانة جميع القواعد التي يرتكزون عليها في موقفهم. "فمع الاعتراف بخطر "إسرائيل" يكون التمسك بالطائفية جريمة... ومع الاعتراف بخطر إسرائيل تكون المراعاة لمراكز النفوذ الأجنبية السياسية والاقتصادية والثقافية جريمة"^{٤٨٣}.

ورغم صعوبة التوفيق بين الاتجاهين، واستناداً إلى "الروح القومية السليمة"^{٤٨٤} التي انطلقت منه سوريا، في إدراكها بأنّ "المطلوب ليس القوة العربية، بقدر ما هو مطلوب العقل القومي العربي بكلّ ما فيه من مبدئية وسعة أفق وسماح نفس، فالعقل القومي هو وحده الذي يوحد، لا

(- منح الصلح، مصدر سابق، ص ١٢-١٣. 483)

(- المصدر نفسه، ص ١٦. 484)

على صعيد الأمة العربية ككل فحسب، بل على صعيد الوحدة الوطنية داخل كل قطر^{٤٨٥}، فإن القيادة السورية قد نجحت في مساعيها وإسهاماتها في وقف الحرب الأهلية اللبنانية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٩، وبالتالي في إفشال المخططات الأمريكية . الصهيونية في لبنان.

٢ . النتائج بالنسبة للإشكالية الثانية، الخاصة بالاختلاف حول شرعية وأغراض التدخل السوري السياسي والعسكري في لبنان بعد اندلاع الحرب الأهلية فيه، حيث ترى غالبية اللبنانيين من السياسيين والباحثين أنه كان تدخلاً شرعياً وبغرض إيقاف هذه الحرب، والقلّة ترى أنه كان مفتقداً للشرعية ولأغراض أخرى متعلقة بعدم اعتراف سوريا بدولة لبنان المستقلة، وبتطلعها إلى السيطرة عليها.

ما توصلت إليه بما يخصّ شرعية التدخل السوري هو أنه كان من المستحيل، بالطبع، أن يتمّ التدخل في لبنان إثر الحرب الأهلية فيه، إن سياسياً أو عسكرياً، بدون قرار شرعي لبناني أولاً، وقرار شرعي سوري ثانياً. وقرار شرعي عربي ثالثاً. وقد تبين أنّ هذا التدخل قد تمّ واستمر بناءً على طلب رسمي من كلّ من رئيسي الجمهورية اللبنانية: سليمان فرنجية والياس سركيس، ومن وفود رسمية وشعبية لبنانية، ومن "قمة عرمون" التي جمعت القيادات الإسلامية كافة مع ياسر عرفات إلخ...

أما عن القرار السوري، الذي تعرفنا سابقاً على ثوابته القومية ومصدره المؤسّساتي في إدارة الأسد^{٤٨٦}، وما هو أغراضه و"لماذا وافقت سوريا على إرسال قواتها إلى لبنان وهي تعرف أنها ستتكبّد تلك الخسائر الفادحة"، فالجواب في قول الرئيس الخالد حافظ الأسد: "لقد ذهبنا إلى لبنان لوقف الحرب الأهلية، واستبعاد الأخطار التي تحملها هذه الحرب، وتلبيةً لطلبات الناس هناك رسميين وغير رسميين، الذين قالوا نريدكم في لبنان... ومن أجل هذا دخلنا وهكذا دخلنا"^{٤٨٧}، وقال: "أولاً: إن المؤامرة فيما تسعى إليه من أهداف تستهدف ضرب قضية هي قضية كل مواطن عربي سوري في هذا البلد. ومن تلك الأهداف: ضرب المقاومة الفلسطينية، وتقسيم لبنان، فكيف يمكن لسوريا أن تقف موقف المتفرج من مؤامرة تستهدف تحقيق هذه الأهداف؟ نحن معنيون بهذه المؤامرة، وعلينا أن نعد أنفسنا بالقدر الذي نستطيع فيه أن نتصدى للمؤامرة والمتآمرين، الأمر يعيننا، ولا مفر من المواجهة. ثانياً: سوريا ولبنان عبر التاريخ بلد واحد، شعب واحد. الشعب في سوريا ولبنان عبر التاريخ شعب واحد، ويترتب على هذا مصالح حقيقية مشتركة، وأمن حقيقي مشترك، إضافةً إلى وشائج القرى بين الناس

(- المصدر نفسه. 485)

(- راجع فقرات "أولاً: من القسم الثاني من هذا البحث. 486)

(٤٨٧)- كلمة الرئيس حافظ الأسد في افتتاح المؤتمر العام العشرين للاتحاد العام لنقابات العمال في ١١/٢٠/١٩٨٢ (مركز المعلومات القومي، أرشفة هيئة الأبحاث القومية).

في البلدين، فالآلاف الكثيرة من العائلات في سوريا لها امتداد في لبنان، والآلاف الكثيرة والكثيرة جداً من العائلات في لبنان لها امتداد في سوريا^{٤٨٨}. أما القرار العربي فقد بينت أنه صدر في القمة السادسة التي انعقدت في العاصمة السعودية الرياض. وسنتبين بقية أغراض التدخل السوري في لبنان، وفق إدارة الأسد، ومدى مصداقيتها في الحلّ الآتي لإشكالية البحث الثالثة حول تقييم دور هذا التدخل.

٣ . النتائج بالنسبة للإشكالية الثالثة، الخاصة بالاختلاف حول تقييم دور التدخل والوجود السوري في لبنان الممتد منذ الحرب الأهلية ١٩٧٥ حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩: هل كانت سوريا على مسافة واحدة من كل الأطراف، أم دعمت طرفاً ضد طرف آخر؟ هل كانت أسباب سوريا في وقف الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وإلغاء اتفاق ١٧ أيار خدمة لمصالحها وحدها، أم خدمة لمصالح لبنان خصوصاً ومصالح الأمة عموماً؟ هل كان لسوريا دور في اتفاق الطائف الذي أوقف الحرب الأهلية أم أتى رغماً عنها؟ توصلت إلى الآتي:

أ . وضوح حرص سوريا من خلال معالجتها للأزمة اللبنانية، عبر مراحلها المتعددة، على التعامل مع جميع الأطراف، انطلاقاً من أن القضية اللبنانية هي قضية وطنية أولاً، وقضية قومية ثانياً. وانطلقت في موقفها منها من ضرورة الحرص على سيادة واستقلال ووحدة لبنان، أرضاً وشعباً، وإعادة الأمن والاستقرار والسلام إلى ربوعه، ودفع مسيرة تطوره الديمقراطي، وتحقيق الوفاق الوطني بين أبنائه وحمايتهم من أنفسهم بما يضمن الحفاظ على تنوعهم الوجودي، مما استلزم المساواة في الحوار مع جميع الأطراف، ولكن دون أن يعني ذلك المساواة في التقييم وفي التقدير بين القوى اللبنانية الوطنية العروبية التي كان على سوريا دعم توجهاتها و تحالفاتها النضالية، وبين القوى اللبنانية الانعزالية الطائفية التي كان على سوريا محاربة توجهاتها وممارساتها وتحالفاتها العميلة.

كان هذا الدور هو الرد السوري الفعلي النبيل على ذلك الاعتقاد لبعض اللبنانيين بأن سوريا مطامع في لبنان، وأنها تسعى إلى ضمه إليها، أو إلى استعادة بعض أجزائه على الأقل. ولقد ردّ الرئيس حافظ الأسد على هذا الاعتقاد الخاطئ حين قال: "لبنان لا بدّ إلا أن يكون موحداً سيداً مستقلاً بكل معنى الكلمة من حيث المحتوى وليس من حيث اللفظ... وبهذه المناسبة أقول إن لسوريا مصلحة أساسية عقائدية في استقلال لبنان وفي وحدة لبنان وفي قوته وفي ازدهاره وفي تقدمه، ولها مصلحة أيضاً في استقلاله، وفي مقدمة هذه المصالح إن صح أن نسميها مصالح، هي أن الاستقلال الذي يوفر الطمأنينة والهدوء والأمن للمواطنين اللبنانيين، يستجيب للعواطف الأخوية العميقة التي يحس بها السوريون عامة. فالتقسيم ممنوع، ونحن نسير نحو

^{٤٨٨} - من خطاب الرئيس حافظ الأسد خلال لقائه مع أعضاء مجالس المحافظات، مصدر سابق.

الوحدة، ونحو تنفيذ استقلال حقيقي، الاستقلال الذي ينشر المحبة والوئام والوحدة بين اللبنانيين، وينشر المحبة والوئام أيضا بين اللبنانيين وإخوتهم السوريين وليس العكس^{٤٨٩}.

ب . هل حقق وجود القوات السورية أهدافه في لبنان؟ يجب الرئيس الراحل حافظ الأسد: "نعم، القوات السورية أوقفت الحرب الأهلية في لبنان بعد دخولها، وأوقفت بالتالي تلك الأخطار المحتملة التي كان يمكن أن تأتي بها الحرب الأهلية... حافظت على وحدة لبنان، لأن التقسيم كان خطراً مخيماً، ولا مفر منه في ظل استمرار الحرب الأهلية. وأقول أكثر من هذا، إن التقسيم لم يكن أفدح الأخطار المنتظرة في حال استمرار الحرب الأهلية، بل كان منتظراً مساوئ أخرى ومصائب أخرى، فيما لو استمرت الحرب الأهلية، كالتقسيم والاحتلال والضم وإقامة كيانات هزيلة عميلة، فالردع حقق هدفه من دخولنا لبنان"^{٤٩٠}. إن تضحية القوات السورية وبسالتها برهنت على أنّ هذه القوات قد آمنت بشرعية أعمالها، وحولت هذا الإيمان إلى واقع ملموس في ميدان المعركة. وهذا يعود الى تركيبة تلك القوات، التي تعتمد أساساً على وجود نسبة كبيرة من المتعلمين والمتقنين في صفوفها، وعلى الوعي السياسي والنضوج الفكري، والإيمان المطلق بعقيدة حزب البعث العربي القومية. تلك هي المعادلة التي كانت، وما تزال، تتحكم بعلاقة سوريا مع لبنان وبسياسة سوريا العربية عموماً، فالحفاظ على كل الدول العربية الشقيقة قوية حرة مستقلة مبدأ ثابت في السياسة السورية غير قابل للتفاوض أو التغيير.

يتبين من خلال معظم المصادر المعنية، بما فيها مصادر العدو الصهيوني، الدور السوري الفاعل في إنقاذ وحدة لبنان. وعلى سبيل المثال فإن الوثيقة التي نشرتها مجلة "كيفونيم" عام ١٩٨٢، والصادرة من المنظمة الصهيونية العالمية، بعنوان "إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات"^{٤٩١}، تبين "أن مخطط تقسيم لبنان إلى عدد من الدويلات الطائفية، الذي حاول الكيان الصهيوني تنفيذه في السبعينيات والثمانينيات من خلال الغزو الأول عام ١٩٧٨ لجنوب لبنان والاجتياح الشامل للبنان، عام ١٩٨٢، فشل في تحقيق أهدافه بفضل التلاحم السياسي السوري . اللبناني.

ويجب التأكيد على وجود الكثير من النتائج والدروس الهامة الأخرى المتعلقة بمنجزات هذا التلاحم السياسي السوري . اللبناني في المرحلة المعنية بالبحث والممتدة من بداية رئاستي

^{٤٨٩}- حديث الرئيس حافظ الأسد للصحفيين اللبنانيين والسوريين ومراسلي الوكالات الإخبارية ١/٢٣/١٩٩٠ (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

^{٤٩٠}- كلمة الرئيس حافظ الأسد في افتتاح المؤتمر العام العشرين للاتحاد العام لنقابات العمال في ١١/٢٠/١٩٨٢ (مركز المعلومات القومي، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

^{٤٩١}- نُشرت هذه الوثيقة باللغة العبرية، وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة عام ١٩٨٨. انظر نص الوثيقة كاملة في الموقع الإلكتروني: <http://www.resala.org/forum/archive/index.php/t-2327.html>

الأسد وفرنجية عام ١٩٧٠ حتى اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، والذي أنقذ وحدة وتنوع واستقلال وعروبة لبنان، إن على المستوى الرسمي ومستوى جامعة الدول العربية، حيث خدم بدون شك تعميق واقع التضامن العربي لصالح كل من القضية الفلسطينية والمسألة اللبنانية، أو على المستوى الشعبي، حيث شهد علاقات التعاون والتنسيق مع القوى اللبنانية الوطنية، وعلاقات الحرب مع القوى العملية المتحالفة مع العدو "الإسرائيلي"، ولكن أكتفي بذكر أهمها:

١٠. الإسهام في حل أزمة الحرب الأهلية التي اندلعت عام ١٩٧٥، وفي التصدي، مع المقاومين الفلسطينيين الوطنيين، للغزو الصهيوني للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، وللإحتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢، وإسقاط اتفاق ١٧ أيار الاستسلامي بين لبنان و"إسرائيل" عام ١٩٨٣، والذي فرضه تحالف قوى الانعزالية اللبنانية الطائفية ومنها قوات لحد مع السلطات "الإسرائيلية"، ورأينا خطورته وبخاصة بالنسبة لأمن لبنان قبل أمن سوريا.

٢٠. وكان من أهم منجزات التلاحم الوطني السوري . اللبناني أيضاً، على المستوى الشعبي، تنظيم قوى المقاومة اللبنانية الوطنية ونجاحاتها، وعلى رأسها حزب الله، ووضوح الدعم السوري المستمر لهذه المقاومة حتى اليوم. وكان من أهم منجزات هذا التلاحم، على المستوى الرسمي ومستوى جامعة الدول العربية، اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ الذي أوقف الحرب الأهلية اللبنانية تماماً، والذي أتى كنتاج لكل المساعي اللبنانية . العربية وبخاصة السورية . اللبنانية منها التي مهدت له وقادت إليه كما رأينا^{٩٢}، منطلقاً من دورها " القومي المنطلق من التراث التاريخي للأمة العربية والمنطلق من كل القيم الحضارية لهذه الأمة العربية العريقة"^{٩٣}.

رابعاً) . النتائج والدروس العامة:

من خلال هذه الدراسة أبرزنا عمق العلاقة التي لا يمكن فصل ركانها بين البلدين، فصلات القربى والتاريخ والموقع الجغرافي والانتماء يجمعهما، وهما يتمتعان بصفات تكاملية إذا أحسن استغلالها وعملاً على تطويرها من شأنها أن تكون مصدر ازدهار واستقرار. فسوريا بلد يتحلى بطاقة بشرية شابة ومنتجة، وهو يحظى بموارد طبيعية ويؤمن الاكتفاء الغذائي، كما يتمتع باستقرار داخلي وقوة عسكرية مهابة وثقل عربي ومكانة دولية، وكلا البلدين يتميز بطبيعته الخلابة ومناخه المعتدل وجباله الاستراتيجية ومخزون مياهه الجوفية، وكلاهما عريق بحضارته وغني بثروته الثقافية وهناك انتشار واسع لجاليته في العالم، ويفخر بلد لبنان بطاقاته الفردية العالية وعشق شعبه للحريات والتجارة وعلاقاته الدولية. وهكذا وباندماج تلك المميزات

(- انظر خاتمة القسم الرابع. 492)

^{٩٣} - من خطاب الرئيس حافظ الأسد خلال لقائه مع أعضاء مجالس المحافظات للإدارة المحلية في ١٩٧٦/٧/٢٠ (مركز المعلومات القومي، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

المتنوعة الموجودة في كلٍ منهما يمكن أن يتكامل البلدان، وهذا ما يجعلنا نؤكد على مجموعة من النقاط أبرزها:

١ . يتحكم العامل الجيو سياسي بالعلاقات السورية . اللبنانية إلى حدّ بعيد، ويجعل من مسألة تطوير هذه العلاقة حاجة ماسّة وضرورة ملحة، أكثر منها رغبة حكومية أو شعبية للبلدين، لأنها ترتبط بصورة مباشرة بضرورة المواجهة المشتركة لأحداث وتحديات مصيرية وأخطار كبيرة مصدرها الغرب (وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية) بشكل عام، والكيان الصهيوني بشكل خاص منذ تأسيسه عام ١٩٤٨ م. وبالتالي لايمكن مقارنة العلاقات السورية اللبنانية مع علاقات أي منهما بأي دولة أخرى ليس فقط على المستوى العربي، بل على مستوى العالم كله. من هنا نستطيع القول: "إن العامل الجيو سياسي كان وما يزال وسيبقى العامل الضاغط باتجاه ضرورة جعل هذه العلاقات عميقة ومميزة ومتشعبة في كافة المجالات، وإن ترقى إلى مستوى التعاون والتحالف الإستراتيجي السياسي والاقتصادي والعسكري (بصرف النظر عن محطات التوتر والتأزم التي شهدتها في الماضي ويمكن أن تشهدا في المستقبل) لكونها علاقات مصيرية، وتتحكم بمستقبل البلدين، وبوضعهما السياسي على الخارطة السياسية الإقليمية، وربما الدولية في الكثير من الأحيان.

٢ . تضمّن الميثاق الوطني اللبناني الذي صدر في ٢١ أيلول ١٩٤٣ تخلي القيادة السياسية الإسلامية في لبنان عن مطلب الوحدة السورية، أو الانضمام إلى أي كيان عربي آخر، مما يعني الاعتراف بالكيان السياسي اللبناني ضمن الحدود التي أقامت سلطات الانتداب الفرنسية عام ١٩٢٠ بين سوريا ولبنان. وهذا بحد ذاته اعتراف منها بواقع التقسيم الذي فرضته سلطات الانتداب، وتكريس لقبول لبناني صرف به. غير أن القبول العربي به شكل مصدراً آخر للشك والريبة، خاصة وأن هذه الموافقة كانت نتيجة أوضاعٍ عربيةٍ هزيلة، وفي وقت كانت فيه القوى السياسية العربية الحاكمة المرتبطة بالغرب هي صاحبة القرار على الأرض على المستوى الداخلي، في وقت كانت الإرادة الشعبية وال جماهيرية محيّدة، وغير قادرة على فعل شيء يذكر لوقف حالة التدهور الخطيرة التي عاشتها المنطقة العربية في حينها، وتطلبتها مسألة إنشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية، فمحيط فلسطين يجب أن يتكون من كيانات سياسية ضعيفة ومتصارعة بين بعضها البعض خدمة للمشروع الصهيوني وكل كيان سياسي عربي فيها يجب أن يكون مصدر قلق للكيان العربي الآخر، وخاصة ضعيفة يمكن اختراقها عندما تدعو الضرورة، ولا نبالغ إذا قلنا: إن خلق الكيان اللبناني المستقل توضع في صلب إستراتيجية التقهيط العربية لهذه المنطقة المهمة من العالم وليكون الخصرة الضعيفة لسوريا.

٣ . يعدّ قبول لبنان مبدأ أيزنهاور عام ١٩٥٧ المنعطف الأكثر خطورة في تاريخ العلاقات السورية . اللبنانية، لما كان يشكله من خطر حقيقي على أمن سوريا واستقرارها، وبدا واضحاً أن شريحة من القيادات السياسية اللبنانية آنذاك كانت تسعى جاهدة إلى إبعاد لبنان عن القضايا المصيرية للأمم العربية والانخراط في المشاريع والمخططات التي أعدها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لفرض الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية على المنطقة العربية، حتى وإن كان على حساب أمن لبنان واستقرارها مما كان يعني جعل سوريا في وضع إستراتيجي صعب ومعقد للغاية، وتوجيه مسار قدراتها السياسية والعسكرية التي تستخدمها لمواجهة العدو الصهيوني نحو مواجهة المخططات التي تحاك ضدها انطلاقاً من الساحة اللبنانية. غير أن الحسابات الأمريكية والصهيونية التي دعمت القوى الانعزالية في الداخل اللبناني لم تكن دقيقة، وأدى ذلك إلى بعث التيار القومي العربي على الساحة اللبنانية، وكان من الطبيعي في ظل الانقسام الدولي الحاصل آنذاك أن تعيش الساحة اللبنانية حالة من الانقسام الداخلي الذي أدى إلى الصدام المسلح وتدخل القوات الأمريكية عام ١٩٥٨، التي قادت إلى تشكيل حكومة توافقية وانتخاب الرئيس فؤاد شهاب. وبالتالي أصبحت لبنان بعدها تتأثر بدرجة كبيرة بالصراعات الإقليمية والدولية، وبدأ التيار السياسي الانعزالي الموالي للغرب فيها يراهن على تأييد الغرب ومن ورائه الكيان الصهيوني ومناصرته لها في كل قضية لا تروق لسوريا وتتناقض مع المصالح القومية.

٤ . أصبحت لبنان بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧، وعشية طرح مايسمي المشاريع السلمية لحل القضية الفلسطينية وإزالة آثار العدوان؛ نقطة ارتكاز وقاعدة متقدمة لتصفية الحسابات مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث اعتمدت واشنطن وتل أبيب على القوى الانعزالية في لبنان وبخاصة بعض أطراف المارونية السياسية، وربطت نفسها ومصيرها، وحاولت ربط مصير لبنان كله بالكيان الصهيوني، مما أسهم في استنزاف جزء مهم من القدرات السورية في مواجهة المشاريع الاستسلامية التي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على العرب في نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن العشرين، ومع ذلك نجحت سوريا في قطع الطريق عليها. من هنا كان لابد للولايات المتحدة الأمريكية وحليفها الاستراتيجي الكيان الصهيوني والمتعاملين معه في الساحة اللبنانية من اللجوء إلى التصعيد الذي أصبح الصفة الملازمة للأوضاع الداخلية في لبنان بدءاً من عام ١٩٦٩، وحتى اندلاع الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥.

٥ . بعد قيام الحركة التصحيحية في سوريا بقيادة الرئيس الراحل حافظ الأسد طرأ تطور كبير على الساحة السياسية فيها وأثر بصورة مباشرة في سياستها الخارجية وعلاقتها الدولية،

وأصبحت أمام تحول كبير لجهة الموقف من قضية العرب المركزية (القضية الفلسطينية)، والعلاقات مع الدول العربية، وبخاصةً دول المواجهة مع العدو الصهيوني بما فيها لبنان، وجرى التركيز على دعم حركة المقاومة الفلسطينية، وتوجيه الجهود العربية من أجل دعمها ومناصرتها، فكان من الطبيعي أن تتأثر العلاقات السورية . اللبنانية إلى حد بعيد بموقف القيادة السياسية اللبنانية من منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المقاتلة على الساحة اللبنانية، وبالتالي شهدت هذه العلاقات . تبعاً لموقف لبنان الرسمي من المقاومة الفلسطينية . الكثير من المدّ والجذر، خاصةً وأن أبواب الساحة اللبنانية مفتوحة في غالب الأحيان أمام أجهزة الاستخبارات الخارجية، وتشكل تربة خصبة لحياكة المشاريع المشبوهة ذات الصلة بتصفية القضية الفلسطينية، مما تطلب من القيادة السياسية السورية برئاسة القائد الراحل حافظ الأسد أن تولي اهتماماً كبيراً بما كان يجري في لبنان، دون التدخل في شؤونها الداخلية، حفاظاً على الموقف المبدئي والثابت الذي تنتهجه سوريا في علاقاتها العربية والدولية.

٦ . واجهت القيادة السورية في لبنان وضعاً معقداً خلال الحرب الأهلية اللبنانية. اختلطت فيه العوامل المحلية بالإقليمية والعربية والدولية، مما جعل مسألة الإمساك بخيوط الأزمة اللبنانية وإيجاد الحل المناسب لها مهمة صعبة للغاية، خاصةً وأن القوى والدول التي وقفت وراء التصعيد المستمر في الساحة اللبنانية كانت قد وضعت نصب عينيها أهدافاً يمكن وصفها بالإستراتيجية وسعت إلى تحقيقها عبر التشجيع على الاقتتال الطائفي والمذهبي. غير أن الأخطر من هذا كله كان يتمثل بمسعى هذه القوى والدول إلى محاولة نقل هذا الصراع والاقتتال إلى الداخل السوري، بما ينتجه هذا النقل من تحديات خطيرة أمام القيادة السياسية السورية، وما يمكن أن يترتب عليه من نتائج كارثية على سوريا دولةً وشعباً ومؤسسات، وعلى الوضع العربي بشكل عام.

من هنا لجأ القائد الراحل حافظ الأسد إلى تبني سياسة امتصاص الصدمات المتتابة، والتركيز على تحييد العوامل السلبية الخارجية مجتمعة بدءاً من المحلي اللبناني، عبر الإقليمي والعربي وصولاً إلى الدولي، وحققت هذه السياسة نجاحاً باهراً، اعترف به العدو قبل الصديق، وعكست حرص سوريا على عروبة لبنان ووحدتها أرضاً وشعباً مهما بلغت التضحيات. وبالتالي لم تخرج السياسة السورية في حينها قيد أنملة عن الموقف القومي والثابت الذي تعودت سوريا أن تتخذه دائماً تجاه قضايا الأمة العربية المصيرية.

٧ . تأثرت العلاقات السورية . اللبنانية في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين مباشرةً بالدور الجديد الذي بدأ يلعبه بعض السياسيين اللبنانيين من التيار الانعزالي في الترويج للمخططات الاستسلامية التي بدأ تنفيذها في المنطقة، فقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية

والكيان الصهيوني بالتعاون مع النظام الساداتي في مصر إلى تحويل لبنان إلى ساحة حرب مفتوحة لتصفية الحسابات مع سوريا بعدما رفض الرئيس حافظ الأسد السير في ركب المفاوضات التي رعتها واشنطن، وكانت تهدف إلى حل قضية الصراع العربي . الصهيوني وفق الرغبة الأمريكية . الصهيونية، وعلى حساب الحقوق العربية المشروعة، وتعريب الصراع على الساحة اللبنانية وجعله صراعاً عربياً . عربياً (لبنانياً . فلسطينياً) . وأدركت القيادة السورية أن عليها أن تواجه المخطط الأمريكي . الصهيوني . الساداتي على أرض لبنان بكل ما لديها من طاقات وإمكانات سياسية واقتصادية وعسكرية، خاصة وأن هناك شريحة من السياسيين اللبنانيين تعودت على المراهنة على الدعم الأمريكي . الصهيوني المباشر لها في سبيل تحقيق أهدافها السياسية والمصلحية على حساب الدولة والشعب في لبنان، وتشتيت قوة الممانعة والرفض السوري. ونجحت السياسة الحكيمة التي اتبعتها الرئيس الأسد في تقويت الفرصة وقطع الطريق على الثالث المذكور وعملائه في الداخل اللبناني، ولم يوفر القائد الراحل الجهد والوقت وكل ما لدى سوريا من إمكانات من أجل وقف التدهور الحاصل في الوضع العربي وبخاصة على الساحة اللبنانية، ووقف نزيف الدم العربي خلال الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٦، ونجح في تحجيم الدور الأمريكي في المنطقة، مما جعل واشنطن تعيد حساباتها السياسية في لبنان لبضع سنوات لاحقة اتكأت بعدها على العصا الصهيونية وآلة الحرب التدميرية الصهيونية بدءاً من عام ١٩٧٨.

٨ . أصبح لبنان في دائرة الخطر وهدفاً للأطماع التوسعية الصهيونية منذ نشأة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، نظراً لتركيبته السياسية الهشة المبنية على أسس وقواعد طائفية أوجدها المستعمر الفرنسي وكرّسها قبل خروجه من لبنان عام ١٩٤٦، من خلال الاعتراف بواقع الطائفية السياسية في المواثيق الموقعة وفي الدستور اللبناني نفسه، ونظراً لغنى لبنان بالثروة المائية التي تشكل عنصراً رئيسياً في إستراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين العربية. من هنا بدأت الدوائر العسكرية والسياسية الصهيونية تفكر وتضع الخطط من أجل اقتطاع الجنوب اللبناني حتى نهر الليطاني وإحاقه بالكيان الصهيوني رغم عدم مشاركة لبنان بأية أعمال عسكرية ضدّ الكيان الصهيوني منذ التوقيع على اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩، وهذا يؤكد حقيقة أن حياد أي دولة عربية في قضية الصراع العربي . الصهيوني لا يمكن أن يحيد عنها عن هذا الصراع من وجهة النظر الصهيونية، ولا يمكن أن يردع الكيان الصهيوني عن مهاجمتها وتحقيق أهدافه السياسية فيها بالاعتماد على القوة العسكرية. ولما كانت سوريا وما تزال وستبقى ترفع راية الدفاع عن القضية الفلسطينية والمصالح القومية العربية في وجه الكيان الصهيوني، كان من الطبيعي أن تتأثر علاقاتها مع لبنان بطبيعة المخططات الصهيونية ضدّ

هذا البلد العربي وموقف القوى السياسية اللبنانية من هذه المخططات، وأن تمنع تنفيذ المخططات الصهيونية على أرضه، وبخاصة منع محاولات تقسيمه على أسس طائفية ومذهبية أو احتلال أي شبر من أراضيه وإحاقه بالكيان الصهيوني.

٩ . لم يكن الموقف العربي من الأحداث الخطيرة التي شهدتها لبنان بين عام (١٩٧٦ . ١٩٨٢)، في المستوى المطلوب، وجاءت مواقف الدول العربية متباينة إلى درجة التناقض، وبدأ ذلك بوضوح خلال مؤتمرات القمة العربية التي عقدت خلال تلك الفترة، مما أسهم في تعقيد الأزمة اللبنانية، وساعد الكيان الصهيوني مباشرة في السعي إلى خلق واقع جديد في المنطقة (لم تكن الساحة اللبنانية بعيدة عنه)، يخدم بصورة مباشرة الأهداف الصهيونية. وسعت القيادة السورية بقيادة الرئيس الأسد إلى إصلاح الخلل في العلاقات العربية . العربية، وعملت قدر الإمكان على تصحيح المسار العربي العام، وتقويم الاعوجاج الحاصل في مسار العمل العربي المشترك. غير أن الواقع السياسي العربي كان أصعب بكثير من أن يُصح نظراً لتداخل العوامل المحلية بالإقليمية والدولية، وعدم توفر الرؤية السياسية الصحيحة لدى بعض العرب، وعدم رغبة قسم كبير من مسؤوليهم في التصحيح لأنه يتعارض مع مصالحهم الشخصية الضيقة، مما جعل سوريا في كثير من الأحيان تقف وحيدة في خندق المواجهة مع الموجات المتتالية للهجمة الصهيونية على لبنان التي تهدد العلاقات السورية . اللبنانية إلى حد بعيد. وقد نجح الرئيس الأسد في ذلك إلى حد بعيد فحفظ بذلك سوريا ولبنان ونهجهما القومي العربي، وجعل من كل انتصار كان يحققه في مرحلة ما قاعدة وأساساً للانتصار في المرحلة اللاحقة.

١٠ . صحيح أن التحالف الأمريكي . الصهيوني أثناء الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢، نجح في تسليم السلطة في لبنان للقوى الانعزالية فيه، وتمكن من إخراج قوات حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية بموجب الاتفاق الذي أشرف عليه المبعوث الأمريكي فيليب حبيب، إلا أن سوريا تمكنت من شل حركة السلطة السياسية اللبنانية المتعاملة مع العدو الصهيوني في وقت لاحق، وقطعت الطريق على المخططات الأمريكية . الصهيونية عندما تمكنت من إسقاط اتفاق ١٧ أيار، وأثبتت للعالم كله أن الأسلوب الأمريكي . الصهيوني في التعامل مع قضية الصراع العربي الصهيوني ليس هو الأسلوب الصحيح، وأن قوى المقاومة لن تسلم به، وأن الطريق الوحيد للسلام يمر عبر استعادة الأراضي العربية المحتلة، والاعتراف الكامل بحق الشعب العربي الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.

١١ . عكس موقف حركة المقاومة الوطنية اللبنانية من القوات المتعددة الجنسية التي عادت إلى لبنان بعد مجزرة صبرا وشاتيلا ونسف مقرات تواجدتها في لبنان، ومن الانعطاف الخطير الذي قام به الرئيس اللبناني أمين الجميل وقبوله بالتعاون مع الكيان الصهيوني والتوقيع على اتفاق ١٧ أيار سبيء الصيت، عكس حقيقة تصميم هذه الحركة على إنقاذ لبنان، ومنع العدو الصهيوني والمتعاونين معه من القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق أهدافهم السياسية من عملية الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان. من هنا جاء التدخل الأمريكي المباشر في الأزمة اللبنانية وقصف البارجة الحربية الأمريكية (نيوجرسي) لمرتفعات الشوف والمنطقة الجبلية المطلة على سوق الغرب، فكان الرد الطبيعي من جانب سوريا المشاركة الفاعلة في التصدي للعدوان الأمريكي على لبنان وعلى القوات السورية الموجودة فيه. ومرة أخرى أثبتت سوريا صحة موقفها الداعم للبنان وحركة المقاومة الوطنية اللبنانية، وحرصها الشديد على حرية لبنان واستقلالها ومنعة أراضيها، والحيلولة دون الانجرار والوقوع تحت رحمة المخططات الأمريكية . الصهيونية.

١٢ . كما واجهت سوريا المخططات الأمريكية . الصهيونية وحالت دون تنفيذها على الساحة اللبنانية، واجهت أيضاً مشاريع الحلول والدعوات الاستسلامية التي سعى بعض الزعماء العرب الترويج لها سواء كان خلال الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان عام ١٩٨٢، أو بعده، وتصدت لها في كل مكان بدءاً من الساحة الداخلية اللبنانية، وصولاً إلى مقرات القمة العربية، وتمكنت من تحييد دور النزعات الاستسلامية، ومحاولات إلحاق لبنان بقطار التسوية الأمريكية . الصهيونية، مما أقنع جميع الأفرقاء السياسيين اللبنانيين بحقيقة أن الحل الوحيد للمشكلة اللبنانية والمخرج الوحيد من الأزمة المعقدة التي تعيشها لبنان يجب أن يكون لبنانياً بامتياز، وبإشراف سوري مباشر، بعدما أثبتت سوريا للبنانيين أولاً، وللعرب ثانياً، وللعالم كله ثالثاً، أنها حريصة على أمن لبنان وسلامتها ووحدة أرضها وشعبها أكثر حتى من الكثير من السياسيين اللبنانيين. واقتنع اللبنانيون والعرب والعالم بشكل عام أن أي حلّ للمشكلة اللبنانية لا يمر عبر بوابة دمشق سيكون مصيره الفشل. وهذا ما أثبتته على الأرض اتفاق الطائف الذي وقعته الأطراف اللبنانية عام ١٩٨٩.

١٣ . يشكل وجود الكيان الصهيوني خطراً كبيراً على أمن لبنان واستقرارها، وبالدرجة نفسها التي يشكلها على أمن سوريا واستقرارها ، وتتطلب مواجهته بناء علاقات مميزة بين البلدين الشقيقين في جميع المجالات وبخاصة السياسية والعسكرية والاقتصادية، ودرجة عالية من التعاون والتنسيق المشترك. فوجود عدو واحد لكلا البلدين يتطلب منهما العمل الجاد والمشارك على المستويات المحلية والإقليمية والدولية من أجل ردعه ومواجهته . وهذا ما تحرص عليه

سوريا دائماً ، وكانت وما تزال إلى اليوم وستبقى في المستقبل تعمل على تقديم كافة أشكال الدعم للبنان حكومة وشعباً ومقاومة. فالقضية هنا ليست قضية تدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية ولا قضية توحيد قسري، أو أطماع إقليمية سورية في لبنان كما يصورها البعض، وبخاصة عملاء الغرب من اللبنانيين، بل هي قضية كرامة ووجود مصير وحفاظ على الهوية العربية، وحماية لبنان والأمن القومي العربي، وإسقاط المخططات الغربية . الصهيونية، والحيلولة دون تحقيق الأهداف والأطماع الصهيونية عبر البوابة اللبنانية. من هنا تأتي أهمية العلاقات السورية . اللبنانية المميزة، ووحدة المسارين السوري واللبناني، وضرورة التنسيق الكامل بينهما للوصول إلى حل متكامل لقضية الصراع العربي . الصهيوني.

١٤ . تسعى الدوائر السياسية الغربية بالتنسيق مع الكيان الصهيوني منذ بداية الحرب الأهلية اللبنانية وحتى يومنا هذا إلى خلق حالة من العداء بين سوريا ولبنان تمهيداً لنسف العلاقات السورية . اللبنانية، ودفع البلدين إلى حالة الصدام والمواجهة، لأنهما يشكلان التيار الممانع والمقاوم للمشاريع والحلول الاستسلامية الغربية . الصهيونية في المنطقة. وتطرح بين الحين والآخر مقولات وشعارات تحمل مضامين خطيرة جداً منها "الخطر السوري على لبنان يتقدم أي خطر" و"حياد لبنان في مواجهة المشروع الصهيوني" و "قوة لبنان في ضعفه" و"استقلال المسارين السوري . اللبناني بدلاً من تلازمهما" وأخيراً "ترسيم الحدود كأولوية بالغة الأهمية" مما يعكس حقيقة الدور الفاعل والمؤثر لسوريا ولبنان في ظل احتفاظهما بعلاقات قوية ومميزة في التأثير على مجريات الأحداث في المنطقة، والقوة الضاغطة التي يمكن أن تشكلها هذه العلاقات لجهة خدمة مصالح البلدين الشقيقين وقضيتهم المصيرية. كما يعكس بصورة مباشرة الأهمية الكبيرة للدور القومي الذي قامت به سوريا في لبنان، ومدى صوابية السياسة السورية وقدرتها على تخطي كل الصعوبات والعراقيل التي وضعت في وجهها، لأنها نبيلة وكبيرة بأهدافها وشعبها ورئيسها.

خامساً . كلمة الختام:

بتنفيذ مضامين اتفاق الطائف ١٩٨٩ في وقف الحرب الأهلية واحترام العلاقات السياسية السورية . اللبنانية المتميزة، وبالدور السوري في تفعيل عوامل الوحدة والتقارب بين سوريا ولبنان عموماً وفي تقليص تأثير عوامل الفرقة والتباعد بينهما، وبوجود المقاومة اللبنانية الوطنية التي كان دعم سوريا لها ونجاحاتها، وما زال، هما في آن واحد، نتاجاً هاماً لهذه العلاقات وعاملاً فاعلاً في تحديد مسارها الوطني . العربي، تمت ولادة دولة لبنان الجديد، دولة لبنان التي كانت قد حملت في أحشائها، منذ الغزو الصهيوني لجنوبها، جنين المقاومة الوطنية اللبنانية الشريفة ضد العدو المحتل، وعلى رأسها حزب الله. المقاومة التي نمت وترعرعت وأصبحت خير مدافع

عن مبادئ العروبة الحقيقية، والإسلام الصحيح، وكرامة الإنسان العربي، وانتصرت في عام ٢٠٠٠ وطردت العدو الصهيوني من الجنوب اللبناني من دون شروط، وانتصرت في تموز ٢٠٠٦، وهددت الكيان الغاصب كوجود، ومازالت مصرّة على استرجاع بقية الأراضي اللبنانية المحتلة، وتقف داعمة بقوة كلّ ما يتعلق بالقضايا العربية وعلى رأسها قضية تحرير فلسطين.

هكذا برزت لبنان السيادة والاستقلال والعروبة والعلاقات المتميزة مع سوريا، لبنان المقاومة التي اختفت فيها مقولة القوى اللبنانية الانعزالية الطائفية العميلة: "لبنان قوي بضعفه"، المقولة التي يرفضها أي إنسان عاقل وطني حرّ، لصالح توهج مقولة القوى اللبنانية الوطنية العروبية المقاومة: "لبنان قوي بقوته"، المقولة التي يتمسك بها كلّ إنسان عاقل وطني حرّ.

مصادر ومراجع البحث

أولاً . المصادر والمراجع العربية:

١ . الوثائق الرسمية:

. بعض محاضر جلسات كلّ من مجلس الشعب السوري ومجلس النواب اللبناني ومنها:
. وثيقة الوفاق الوطني اللبناني التي أقرها اللقاء النيابي في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٩ والتي صدّقها مجلس النواب، التي سميت " اتفاق الطائف ".
. الدستور اللبناني الصادر في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦ مع جميع التعديلات التي أقرت في مجلس النواب اللبناني وفقاً لوثيقة الوفاق الوطني اللبناني (اتفاق الطائف) ١٩٩١، بيروت، مجلس النواب، ١٩٩١.
. الدستور مع تعديلاته في: محاضر مجلس النواب اللبناني، مضبّطة الجلسة الثالثة في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٥.

. بعض خطب ورسائل وأحاديث الرئيس حافظ الأسد .
. رسالة الرئيس حافظ الأسد إلى الرئيس العراقي صدام حسين في محاولة لإقناعه بانسحاب القوات العراقية من الكويت في ١٢ / ١ / ١٩٩١ . (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

. نص التصريحين اللذين أدلى بهما الرئيسان الياس سركيس وحافظ الأسد حول لقاءهما في اللاذقية في أول حزيران ١٩٧٨. (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية).

. بعض خطب وأحاديث رؤساء الجمهورية اللبنانية: بشارة الخوري، كميل شمعون، فؤاد شهاب، سليمان فرنجية، الياس سركيس، أمين الجميل.

. القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية.

. بعض الوثائق المعنية في أرشيف وزارة الخارجية السورية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).

. بعض الوثائق المعنية في أرشيف وزارة الخارجية اللبنانية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).

تقرير السفارة المصرية، بيروت رقم ١٣، تاريخ . بعض وثائق وزارة الخارجية المصرية ومنها: ١٩٥٨ / ٢ / ٢٨ (وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم ١٠٧، ملف رقم ٣ / ٨٦ / ٧٥٢ ج ٣).

. بعض الوثائق المعنية في أرشيف جامعة الدول العربية (١٩٧٠ . ١٩٨٩).

. بعض منشورات أهم الأحزاب السياسية اللبنانية والسورية.

. وثائق الحركة الوطنية اللبنانية: ١٩٧٥ . ١٩٨١، بيروت: المجلس السياسي المركزي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان.

. محفوظات محمد جميل بيهم الوثائقية.

٢ . المقابلات :

. مجموعة من المقابلات مع الرئيس حافظ الأسد (القيادة القومية، أرشيف هيئة الأبحاث القومية) ومنها:

مقابلة للرئيس حافظ الأسد في مجلة: (Le Monde Diplomatique, Paris, du 9 mars 1973)

مقابلة للرئيس حافظ الأسد مع مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٧٥/٦/٢٢.

مقابلة للرئيس حافظ الأسد مع باتريك سيل (نشرتها مجلة الوسط، لندن، العدد ٦٧، ١٩٩٣/٥/١٠، ص ١٢ . ٢٠).

. مقابلة أجراها الدكتور حسان حلاق مع الرئيس تقي الدين الصلح بتاريخ ٩ آذار ١٩٧٩ (راجع حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر... ص ٢٣٦. مرجع مشار إليه في القائمة).

. مقابلة شخصية مع الأستاذ وليد المعلم وزير خارجية الجمهورية العربية السورية، أجريت بتاريخ ٢٠ / ٤ / ٢٠١٠.

. مقابلة شخصية مع الأستاذ نصري الخوري أمين عام المجلس الأعلى السوري اللبناني، أجريت بتاريخ ٨ / ٤ / ٢٠١٠.

مقابلة مع طه ياسين رمضان (نشرتها صحيفة الثورة العراقية في كانون الثاني ١٩٨٢) ..
. مقابلة مع ياسين سراج ، نائب رئيس حزب الوفد ورئيس الهيئة البرلمانية في مجلس الشعب المصري في (نشرتها صحيفة تشرين السورية، العدد ٥٥٦٥ ، ٢٨/٢/١٩٩٣).
. مقابلة مع الضابط اللبناني غابي لحود ضمن سلسلة غابي لحود يتذكر، نشرتها: الوسط، في العدد ٣٣٩ (١٩٩٨).
. مقابلات منشورة أخرى.

٣ . المذكرات:

. الحص سليم ، عقد القرار والهوى، تجارب الحكم في حقبة الانقسام (١٩٨٧ . ١٩٩٠)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١.
. الخوري بشارة حقائق لبنانية، بيروت، أوراق لبنانية، ١٩٦١، جزء أول، وثاني.
. الخوري بشارة حقائق لبنانية، بيروت، أوراق لبنانية، ١٩٦١، جزء ثالث.
. الصلح سامي، أحتكم إلى التاريخ، بيروت، ١٩٧٠ ..
. طلاس مصطفى، مرآة حياتي العقد الأول . والعقد الثاني ١٩٥٨ . ١٩٦٨، والعقد الثالث ١٩٦٨ . ١٩٧٨، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٦.
. مذكرات أبو خليل جوزيف، قصة الموارنة في الحرب، سيرة ذاتية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٠.
. مذكرات كيسنجر هنري البيت الأبيض، ترجمة خليل فريجات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، طبعة رابعة، ١٩٩٣، الجزء الرابع.
. مذكرات المشير الجمسي عبد الغني، مذكرات(مجلة كل العرب ١٨ / ١٢ / ١٩٨٩).
. مذكرات الحص سليم في كتابيه: "ذكريات وعبر"، و"عقد القرار والهوى، تجارب الحكم في حقبة الانقسام ١٩٨٧ . ١٩٩٠".

. مذكرات الحكيم حسن: رئيس وزراء سوري سابق. صفحات من تاريخ سوريا الحديث، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٥٨.

. مذكرات الشاذلي سعد الدين، حرب تشرين، الطبعة الثالثة، دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤، نشرتها مجلة الوطن العربي، الصادرة في باريس، السنة الثانية، العدد ٩٥، تاريخ ٧-١٣ / ١١ / ١٩٧٨.

. مذكرات شمعون كميل: مراحل الاستقلال. لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية.

. مذكرات القاوقجي فوزي: فلسطين في مذكرات القاوقجي، إعداد أ. د. خيرية قاسمية.

٤ . منشورات ذات صيغة وثائقية:

. أبو شقرا يوسف خطار، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان وأحواله يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان .
. أحمد الشقيري، الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، تونس: دار بو سلامة، ١٩٧٩.

. أشتي فارس، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩. ١٩٧٥،

المختارة، الدار التقدمية، المركز الوطني للمعلومات والدراسات، بيروت، ١٩٨٩.

. الجريدة الرسمية في سوريا ولبنان.

. الجريدة الرسمية، محاضر مجلس النواب اللبناني، محضر جلسة ٧ تشرين الأول ١٩٤٣.

. الجسر باسم، الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣: "مقدماته، ولادته، مضمونه، تطبيقه" (مركز .

الحريري الثقافي، مج ٢، الفصل ١٨).

. الدين منير نقي، الجلاء: وثائق خطيرة تنشر لأول مرة تكشف النقاب عن أسرار جلاء القوات

الأجنبية عن لبنان وسورية عام ١٩٤٦، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧.

. المحاضر السرية الكاملة: ثرثرة فوق بحيرة ليمان، تقديم طلال سلمان، ط٢، المركز العربي

للمعلومات، بيروت، ١٩٨٤.

. بري نبيه، أوراق في تراب المقاومة، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٩.

. بقرادوني كريم، السلام المفقود، عهد الياس سركيس (١٩٧٦ . ١٩٨٢)، عبر الشرق

للمنشورات، بيروت، ١٩٨٤.

. تقرير لجنة كاهان، التحقيق في مذبحه صبرا وشاتيلا (صحيفة السفير اللبنانية، ١٠/٢/١٩٨٣).

. جورج بكاسيني، أسرار الطائف من عهد أمين الجميل حتى سقوط الجنرال: مع وثائق ومحاضر، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٣.

. جوليت حداد (جمعت) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من ١٩٥٤ إلى ١٩٩٢: نصوص مختارة؛ إشراف الأب أوغسطين دوبرة لاتور وهشام نشابة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥. جامعة القديس يوسف (بيروت): معهد الدراسات الإسلامية المسيحية،

حميد راشد، "الكثائب اللبنانية، تاريخها، عقيدتها، تنظيمها" (مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٤٦، حزيران ١٩٧٥).

. خوري يوسف قزما (إعداد وتحقيق) البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب (١٩٢٦ . ١٩٨٤)، مؤسسة الدراسات اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، المجلد الأول (١٩٢٦ . ١٩٦٦).

. خليل أحمد خليل، مع كمال جنبلاط شهادة وتاريخ ومقاربة فلسفية، المركز الثقافي العربي . المغرب وبيروت، ٢٠١٠. و مؤلفات كمال جنبلاط .
شعيب علي عبد المنعم، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨ - ١٩٤٦، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤.

. مركز أبحاث صحيفة السفير، تاريخ المارونية السياسية، سيرة ذاتية، بيروت، ١٩٧٨.

. مركز الدراسات العسكرية، تاريخ الجيش العربي السوري (١٩٧٠ . ٢٠٠١) الطبعة

الأولى، ٢٠٠٤، الأول والثاني والثالث.

. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٩، بيروت.

. وثائق الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، (أرشيف الأمانة العامة المؤقتة في تونس، والدائمة

في القاهرة)، حول وثائق ومقررات القمم العربية المتعلقة بمرحلة البحث بين عامي ١٩٧٠ . ١٩٩٠، وهي كالتالي:

. مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر على ١٩٧٣.

. مؤتمر القمة العربي السابع الرباط ٢٦ . ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٤.

- . مؤتمر القمة العربي الثامن القاهرة ٢٥ . ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٦.
- . مؤتمر القمة العربي السداسي غير العادي الرياض ١٦ . ١٨ / ١٠ / ١٩٧٦.
- . مؤتمر القمة العربي التاسع بغداد ٢ . ٥ / ١١ / ١٩٧٨.
- . مؤتمر القمة العربي العاشر تونس ٢٠ . ٢٢ / ١١ / ١٩٧٩.
- . مؤتمر القمة العربي الحادي عشر عمان ٢٥ . ٢٧ / ١١ / ١٩٨٠.
- . مؤتمر القمة العربي الثاني عشر فاس ٢٥ / ١١ / ١٩٨١ (الدورة الأولى)، ٦ . ٩ / ٩ / ١٩٨٢ (الدورة المستأنفة).
- . مؤتمر القمة العربي غير العادي الدار البيضاء ٧ . ٩ / ٨ / ١٩٨٥.
- . مؤتمر القمة العربي غير العادي عمان ٨ . ١١ / ١١ / ١٩٨٧.
- . مؤتمر القمة العربي غير العادي الجزائر ٧ . ٩ / ٦ / ١٩٨٨.
- . مؤتمر القمة العربي غير العادي الدار البيضاء ٢٣ . ٢٦ / ٥ / ١٩٨٩.
- . مؤتمر القمة العربي غير العادي القاهرة ٩ . ١٠ / ٨ / ١٩٩٠.

٥ . الدوريات والصحف:

- . صحيفة النهار اللبنانية، العدد ٣٧٠٠ ، ٣٠ أيلول ١٩٤٧.
- . صحيفة النهار اللبنانية، العدد ٦٧٩٧ ، ٢ / ٢ / ١٩٥٨.
- . صحيفة اللواء اللبنانية، بيروت، عدد ٢٩ / ٩ / ١٩٨٠.
- . صحيفة تشرين السورية، عدد ١٩٨٢١٦١٩.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ١٩٨٢١٦١٧.
- . صحيفة السفير اللبنانية، عدد ٩ حزيران ١٩٨٢.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ١٠ حزيران ١٩٨٢.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ١٦ حزيران ١٩٨٢.
- . صحيفة تشرين السورية، عدد ١٦١٦١٦١٩٨٢.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ١٩ حزيران ١٩٨٢.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ٢١ حزيران ١٩٨٢.
- . صحيفة النهار اللبنانية، عدد ٢٥ تموز ١٩٨٢.
- . صحيفة تشرين السورية، عدد ١٩٨٢١٦١٩.
- . صحيفة الرأي الأردنية، عدد ١٢٤ / ١٠ / ١٩٨٢.

. صحيفة النهار اللبنانية، ١٩ آب ١٩٨٢.

. صحيفة الديار اللبنانية، العدد /٧٧٤٤/ الصفحة الثالثة، محليات، تاريخ ٧/٨/٢٠١٠.

. مجلة الكفاح العربي اللبنانية، عدد ١٤/١٠/١٩٨٢.

. لسان الحال، عدد ٨٩٤٥، تاريخ ١ حزيران ١٩٢٣.

٦ . المصادر والمراجع من الكتب:

. الأزعر محمد: "النضال من حرب لبنان للانتفاضة" (مجلة الفكر الاستراتيجي، معهد الإنماء، .

بيروت، يوليو . ١٩٩٠.

. أمين سمير: " النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد "(الوحدة ، الرباط، العدد

٩٠، آذار ١٩٩٢، ترجمة عن الفرنسية من قبل مصطفى مسناوي).

. الوعلاني محمد علي، التلاحم السوري . اللبناني، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، ١٩٩٨.

. الحسن بدري وآخرون، حرب رمضان الجولة الإسرائيلية الرابعة، الشركة المتحدة، القاهرة،

١٩٧٤.

. أنطوان حكيم، "العلاقات اللبنانية السورية ١٩١٨ . ١٩٥٠" (الحركة الثقافية، انطلياس، .

كتاب العلاقات اللبنانية . السورية، ١٩٩١).

. اللواء حسام سويلم، "ثغرة الدفرسوار الأسباب والنتائج" (مجلة السياسة الدولية، القاهرة، القسم

الخاص ، العدد ١٣٤، أكتوبر ١٩٩٨).

. بشارة منسي، الطائف بين الطوائف، شركة المشرق للنشر، بيروت، ١٩٩٤.

. بشور معن، "مستقبل العلاقات السورية . اللبنانية" (مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت).

- بو حبيب عبد الله، الضوء الأصفر، السياسة الأمريكية تجاه لبنان، شركة المطبوعات

للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩١.

. تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان: الجذور والتطور التاريخي بيروت: دار ابن خلدون،

[د. ت].

. تويني جبران، في وضوح النهار - مقالات مختارة، بيروت، ١٩٣٩.

- حلاق حسان: التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ . ١٩٥٢، معهد الإنماء العربي، بيروت، . ١٩٨١.
- دراسات في تاريخ لبنان المعاصر (١٩١٣ . ١٩٤٣): من جمعية بيروت .
- الإصلاحية إلى الميثاق الوطني اللبناني بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.
- . "مسيرة الوحدة في تاريخ سوريا ولبنان" (جريدة السفير، بيروت، تاريخ ١٩٩١/٦/٨).
- . داغر كارول، جنرال ورهان، دار العالم العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- . رزوق أسعد ، "إسرائيل" الكبرى، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٣.
- . سركييس نعوم، ميشيل عون، حلم أم وهم، بيروت، ١٩٩٢.
- . سليمان تقي الدين، التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية (١٩٢٠ . ١٩٧٠) ، دار ابن خلدون، بيروت.
- . سويد ياسين، عملية اللبثاني ١٩٧٨ نظرة إستراتيجية، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٣.
- . ضاهر مسعود، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية في لبنان، ١٦٩٧ . ١٨٦١، معهد الإنماء العربي (الدراسات التاريخية)، بيروت، ١٩٨٤.
- . طرابلسي فواز، صورة الفتى بالأحمر، أيام في السلم والحرب، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧.
- . عارف العبد، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل، طبعة أولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.
- . عباس إبراهيم، حافظ الأسد ودوره القومي في لبنان الجزر الأول والثاني، وقف النزيف والتصدي للمؤامرة، طبعة أولى، بيروت، ١٩٨٤.
- . عرسان عقلة علي: احتفال جماهيرنا تأكيد لثوابتها (الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٢٨٩، ١٩٩١/١١/٢٨).
- . عوض إبراهيم عبد الحميد: "الجماعة الأوروبية والصراع العربي . الإسرائيلي" (مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ٨٣، كانون الثاني ١٩٨٦).
- . فوزي محمد، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/١٩٧٠ مذكرات الفريق الأول محمد فوزي، طبعة ثانية، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٣.

- . محمد مراد، "العلاقات اللبنانية . السورية" دار الرشيد للعلوم، دمشق، ١٩٩٣.
- . محمد نجاح: "القومية العربية في تاريخنا القديم: الجذور والصيرورة"(مجلة المعرفة، العدد ٣٥٦، أيار ١٩٩٣).
- . "الواقع الاجتماعي العربي القديم: خصوصية أم "أسلوب إنتاج آسيوي"؟ (مجلة الوحدة، الرباط، العدد ٥٧، حزيران ١٩٨٩).
- . المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.
- . "منهج الفكر عند حافظ الأسد" في (البعث الأسبوعي، دمشق، العدد ٨٧٩١، تاريخ ١٩٩٢/٣/٩).
- . ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- . اسكندر رياشي، قبل وبعد ١٩١٨ . ١٩٤١، بيروت، ١٩٥٣.
- . البراوي راشد، من حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.
- . الحص سليم ، سلاح الموقف، طبعة ثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.
- . الصباغ ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٨١.
- . المسعودي: مروج الذهب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.
- . المعلم وليد ، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨ (التحدي والمواجهة)، شركة بابل للنشر، نيقوسيا - قبرص، ١٩٨٥.
- . بشور أمل ميخائيل: سوريا ولبنان في عصر الإصلاح العثماني، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ٢٠٠٦.
- . بيهم محمد جميل، لبنان بين مشرق ومغرب، ١٩٢٠-١٩٦٩، بيروت، ١٩٦٩.
- . تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، المجلد الأول.
- . دروزة محمد عزت، الوحدة العربية، بيروت المكتب التجاري للطباعة، ١٩٥٧.

- . سعد صائب، "دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم"، دار طلاس، ١٩٩٤، ص ١٨، وأحمد داوود، "تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحديث"، الطبعة الثالثة، دار الصفدي، ٢٠٠٣.
- . سلطان محيسن، آثار الوطن العربي القديم، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٩.
- . طلاس مصطفى، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧.
- . عبد المجيد وحيد، انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربي-الإسرائيلي، سلسلة مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٤٩، القاهرة، ١٩٨١.
- . عمر باشا صلاح الدين، وباغ أديب: المدخل لدراسة الجغرافية البشرية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٦٥.
- . الوجيز في الجغرافيا البشرية، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥.
- . مجموعة مؤلفين، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠.
- . نجلا عطية، لبنان المشكلة والمأساة، طبعة أولى، بيروت، ١٩٧٧.
- . نواف كبرة، "الشهابية مشروع بناء الدولة في لبنان، ١٩٥٨-١٩٧٠" (في: مركز الحريري الثقافي، أبحاث وتوثيق، لبنان في تاريخه وتراثه، مج ٢، الفصل ١٩).
- . هيكمل محمد حسنين، الطريق إلى رمضان، نقله إلى العربية يوسف الصباغ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥.
- . المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل".
- . المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل... الكتاب الثالث.
- . المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل"...، الكتاب الثاني.
- . وضاح شرارة، السلم الأهلي البارد، سلسلة الدراسات السياسية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج ١.
- . يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، بيروت، ١٩٦٠، الجزء الثاني.

ثانياً (. المصادر والمراجع الأجنبية:

١ . وثائق رسمية:

_ American Foreign Policy, 1950-1955, Basic Documents,.

- _ The French Ministry of Foreign affairs - archives
- _ Spears to F. O. No . E. 497, of 14 Nov. 1943 in F. O. 371/62193/89.
- _ See Foreign Office, 371/131323/.From British Embassy in Washington to Foreign Office June 24-1958, Secret.
- _ President BUSH George , State of the Union Speech, January, 1991, United States Information
- _ Nixon Richard, Mémoires de Richard Nixon, Editions Stanké, 197.

٢ . الصحف والدوريات الأجنبية.

- . صحيفة التايمز البريطانية، لندن، عدد ٥ / ٦ / ١٩٨٢ .
- . صحيفة النجم الأحمر السوفيتية، يوم ١٩٨٢/٧/٢٩ .
- . صحيفة معاريف "الإسرائيلية"، عدد/٧/١٠/١٩٨١، ونشر مضمون المقال المأخوذ منها في مجلة الأرض العدد الرابع /٧/١١/ ١٩٨١ .
- . صحيفة هآرتس "الإسرائيلية" . عدد ١٩٨٢/٥/٢٧ .
- . صحيفة هآرتس "الإسرائيلية" من تاريخ ١٩٨٢/٥/١٥ حتى تاريخ ١٩٨٢/٦/٢٠ .
- . صحيفة: L' Orient - Le Jour, 6/10/1974. (Bayreuth).
- . "حرب الليطاني" (مجلة "هاعولام هازيه"، العدد ٢١١٧، تاريخ ٢٩ آذار ١٩٧٨).

٣ . الكتب الأجنبية:

- _The Economist, U.S.A., September 18th-24th , 1993,.
- _ Gorbachov,s New Thinking (Foreign Affairs, 68, no. 1, 1988-1989).
- _ New Outlook, n. August 1971,
- _ ANN Williams, Britain and France in the Middle Eastand North Africa, Londonm 1968,
- _ A.MONTAGU and E.DARLING ,Is that a Fact? A Falcon Book, Noble and Noble New-York,
- _ Aruri Nasser, The United State, Israel, and the Palestinians, Common Courage Press, 1995,
- _ AMIRAHMADI Hooshang: "Global Restricting , the Persian Guff War and the U.S Quest for World Leadership"(V.C. The U.S. and M.E. pp- 363-429); New York Times, December 15, 1988, p. A.

- _ BAUGH Albert C. and CABLE Thomas, History of the English Language, London, 1980.
- _ COLLING, Banques et Banquiers de Babilone a Wall-Street, Plon, 1940;
 - _ Cf HUNKE Sigrid: Allahs Sonne uber dem Abendland Unser Arabisches Erbe,3. Auflage, Germany, 2002.
- _ Gomaa Ahmad M., The Foundation of the League of Arab States...,London, 1977.
- _ ROSSI Pierre, La Cité d'Isis Histoire Vraie des Arabes, Paris, 1976.
- _ GORDON C.H., Ugarite Handbook, Rome,1948.
- _ RABBATH Edmond, La formation Historique du Liban politique et Constitutionnel, Beyrouth, 1973.
- _ LONGRIGG, Stephen H.; Syria and Lebanon Under French Mandate London 1958,
- _ CATROUX generat G, Dans la Bataille de la Mediterranée, Egypte – Levant – Afrique du Nord 1940 – 1944 , paris, 1949,
- _ IAKOVLEV Alexandre: Ce que Nous Voulons Faire de l'Union Sovietique
 - Chomsky Naomi, World Orders, Old and New, Colombia University,1994.
 - Service (USIS). (Entretien avec Lilly Marcou) , Seuil, Paris.
- _ Debat,:"L'origine de L,homme Contemporain" (R. La Recherche, no. 277, 1995).
- _ Department of State archive website
- _ FALK Richard: " U. S. Foreign Policy in the Middle East: The Tragedy of Persistence" United States and the Middle East, edited by Hooshang Amirahmadi, State University of New York
 - _ Press, 1993, 89-124); COTTAN Richard : "U.S Policy in the Middle East"(V.C. The U.S. and M.E.
 - _ Department of State archive website
- _ GOODMAN Melvin: "Moscow and the Middle East in the 1991,s.
- _ Hunter Robert, The Palestinian Uprising: A War By Other Means, Colombia University,1993,
- _ Heacock Roger, Intifada: Palestine at Crossroads, Hardcover, 1990,
 - _ MOUTELS Laffon, Les Etapes du Capitalisme de Hammourabi a Rockfller, Paris, 1938;
 - LE BON Gustav: "la Civilisation des Arabes" ,Paris, 1996,
- _ Ministère des Affaires Étrangères Français(M.A.E.F.), Serie S.D.N.: Rapport Du Consul 19 September 1921,

- _ PIPES Daniel: "Can the Palestinians Make Peace" (Various Contributors: The Middle East,
- _ Postel W., Les Origines des Langues, Paris.
- _ Rabbath, La formation historique du Liban politique et constitutionnel Essai de synthèse, Beyrouth, 1973,.
- _ SACHAR Howard M , Europe Leaves the Middle East 1936-1954, London, 1974
- _ Maurice Meuleau, Le Monde Antique, Bordas, Paris, ,
- _ Uncovering the Myths, Papers prepared for conference sponsored by Writers and Artistes for peace in the Middle East, Anti Defamation League, U.S.A., 1991, 48).
- _ Various Contributors, The United States and the Middle East, State University of New York, Press New York , 1993 , pp. 65-86) ,
- _ WILMAT Chester, The Struggle for Europe , New York : Harper. 1963. vol.1,

ثالثاً (. المصادر والمراجع المترجمة:

- . إيفلاند ويلبر كرين: حبال من رمال.
- . إيدن أنطوني "مذكرات السير" .
- . بيتزلان لوسيان: حافظ الأسد مسيرة نضال.
- . تيودور هانف: لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة.
- . مذكرات ديغول شارل.
- . زيتراين إيزنبرغ لورا: عدو عدوي: لبنان في التصورات الصهيونية المبكرة.
- . شولتز كيرستين: دبلوماسية "إسرائيل" السرية في لبنان.
- . شيفر شيمون: كرة الثلج: أسرار التدخل "الإسرائيلي" في لبنان ١٩٨٤.
- . مذكرات كيسنجر هنري.
- . مائير غولدا، كتاب "التقصير
- . المحدل"، لرئيسة وزراء الكيان الصهيوني سابقاً ومجموعة من الصحافيين الإسرائيليين،
- ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.
- . هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم.
- أشتور آ.: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور القديمة، ترجمة: عبد .
- الهادي عبلة ومراجعة أحمد غسان سبانو، دمشق.

إيمار اندريه وأوبواية جانين: روما وإمبراطوريتها، المجلد الثاني من سلسلة تاريخ الحضارات .
العام، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ربحان، منشورات عويدات، بيروت . باريس، الطبعة الثانية،
١٩٨٦.

(ادوار: القرون الوسطى، المجلد الثالث من سلسلة تاريخ الحضارات PERROY. برّوي)
العام، ترجمة يوسف داغر وفريد داغر، طبعة ثانية، منشورات عويدات، بيروت . باريس،
١٩٨٦.

ديورانت ول، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، .
١٩٧١، الجزء الثاني من المجلد الأول.
كوانت ويليام، أمريكا والعرب وإسرائيل، ترجمة عبد العظيم حماد، دار المعارف، القاهرة،
١٩٨٠.

هيرش برنار فندر، ترجمة مدني قصري بعنوان: "أصل الإنسان المعاصر" (مجلة الثقافة
العالمية، العدد ٧٨، أيلول ١٩٩٦.
حتّي فيليب، تاريخ العرب مطول، ترجمة د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، ١٩٥٢، جزء
أول.

حتّي فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس
فريحة ونقولا زيادة، ط. ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨.
حتّي فيليب وجرجي أدورد وجبور جبرائيل: تاريخ العرب، طبعة سادسة، دار غندور، .
بيروت، ١٩٨٠.

رابعاً . أبرز مواقع الإنترنت:

- U.S. Department of State Archives website
- British Foreign Office Archives
- Archives du Ministre des Affaires Etrangère Français
- . موقع الجزيرة الإخبارية.

. موقع الجزيرة وثائقية.

. موقع المعرفة.

. مواقع بعض القيادات النضالية السياسية.
